

عالم الكتب

عبد الرحمن الشرفاوي

الغزاة



عبد الرحمن الشرقاوي

الفلاح

الناشر
عالم الكتب

٢٨ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة

فجأة قررت أن أعود الى قريتي •
لا أعرف من أى أغوار النفس انفجر بغتة هذا الحنين الجارف
الى كل شىء هناك •• فى ذلك الركن الهادىء من الدنيا على
نهر صغير !

غير أن الصباح كان حزينا ••
الشمس لا تريد أن تشرق ، رغم أن النهار يطوى ضحاه ، وفى
السماء سحب كثيفة بلا ألوان ، وأنا أتنفس دخانا لكثرة ما أحرقت
من سجائر ليلة أمس ، وقد أقسمت ألا أدخن بعد ، ومع ذلك
فالسجارة فى يدي ، ولا شىء فى رأسى ، الهواء بارد ولكنه ساكن
لا يتحرك كأنه لحظات هموم متجمدة تضغط على القلب ••
هذا الصباح الحزين عرفته أكثر من مرة •• ولكن فى غير
وطنى !

عرفته •• وعرفت معه الشوق الى السعادة عندما كان البعد
والحنين الى الوطن والبحث وراء المجهول يمنح الحياة أحزانا
غريبة •• عذبة على الرغم من كل شىء ! ••
والسحب تلقى ظلالها على المباني القديمة فى شارع قصر النيل •
لكأنى عشت هذه اللحظات ألف مرة من قبل •• !

هاهو ذا صباح حزين آخر ، وظلال سحب على البيوت القديمة ،
ونساء أنيقات .. وواجهات المحلات التجاربه يخفى ما بها عن
العابر زحام فتيات وأطفال وامهات ، ورجال قليلين ..
لكأني مرة أخرى أطوف في أحد شوارع باريس ، التي لم أعش
بها كما كنت أحلم قبل أن أراها منذ سبعة عشر عاما ! ..
كيف أتقبلها لو سافرت اليها الآن ؟ .. أشعر هناك أنني ثقلت
فوق تيار الزمن كصعلوكها العظيم الشاعر فرانسوا فيون الذي
تحدى بها الليل والخطر والملك .. تم غاب عنها سنوات ، وعندما
عاد وجد كل شيء قد تغير .. حتى لويس الحادي عشر .. غريمه ،
وسيده ، وعاره !! ..

كل شيء قد تغير في باريس .. رفيقاته ترهل كل ماهو غض
فيهن ، وزملاؤه أصابهم الوهن وهم مع ذلك حول الخمسين ..
السن التي يستعرضها رجال اليوم ليجذبوا الى فراشهم فتيات
يقلدن « لوليتا » .. لكم سرت على الأرض التي عاش عليها
الشاعر التعس ، ودفعني الشغف بمغامراته الى أحياء تضاء شوارعها
في النهار ، تقوم تحت شوارع على ظهر الأرض ، ويصخب فيها
أفاقون ، وصعاليك ، وغجريات ، ومهربون ، وشحاذون يشعرون
بالكبرياء ، ورجال تتدلى لحاهم المصبوغة الى أحزمتهم المشدودة
على ثياب من العصور الذاهبة تحت عباءات غريبة ، كأنهم سلاطين
« الريالتو » في مسرحية تاجر البندقية ! ..
أنت ..؟! لكم تذكر باريس ، وهناك ما عرفت غير الحاجة الى

الاستقرار وهناك ما عرفت كيف تستقطر صفاءها وثرأها ! ..
ولكنك مع ذلك طفت بها مشيا على الأقدام وتعرفت الى كل
أركانها .. واندفعت الى كل مكان تجلله دماء الثوار الأوائل ،
وخالطت الليل الذي يضيء بالشعب ، وناديت بالتحريم
للمستعمرات ، وبالحرية للإنسان الأفريقي ، ولعنت الحرب القذرة
على فيتنام .. على الهند الصينية !

كان ذلك منذ سبعة عشر عاما .. وما زالت الأصوات ترتفع
تلعن هذه الحرب القذرة .. وربما كانت مظاهرات اليوم عامرة
بفتيان وفتيات لم يكونوا قد ولدوا بعد منذ سبعة عشر عاما ..
أعزاء هذا أم عذاب ؟!

ولكنك الآن تسير في شارع قصر النيل .. وفي ليلة الأمس
سهرت تكتب وتدخن حتى الصباح .. ثم مزقت كل ما كتبت ،
وأصبحت بصدر يجرحه الدخان ! ..

وهزنى ابن عمى الذى يسير الى جوارى :

— انت سرحان فى ايه ؟

ماذا أقول لك ؟ يا أخى .. خلنا نسر ..

وعاد ابن عمى يقول لى :

— ان ماكنتش عاوز تسافر البلد بخاطرك .. لكن أنا باقول
يعنى ! ..

عندما كنت فى باريس ، كنت أحب دائما أن أسير وحدى فى
جو كهذا ، ولكنى هناك بدأت أحس الشوق الجارف الى الشمس

•• كان اختفاء الشمس وراء السحب الكثيفة يثير بى رغبة فى
البكاء ••

واقترينا من تمثال « مصطفى كامل » ، لكأنى أراه لأول مرة
ووقفت أتأمله •• ولكنى تأملت تمثال « داتون » أكثر مما تأملت
تمثالك أيها القائد الذى أيقظ الأجداد !!

لماذا يحدث لنا دائما عندما نكون فى الخارج أن نهتم بالآثار
والمتاحف وبصمات الحضارة على وجه الأرض الغريبة؟! •• أما هنا
فى الوطن ، فنحن نعبر بها ولا نكاد نشعر •• أتكون هى الألفة ••
لكم وقت أمام التماثيل فى شوارع وميادين باريس !
وهممت : « باريس » ! ••

وزعق ابن عمى وهو يلوح بيده فى وجهى ويكاد يلطم كنفى
بكم جلبابه الأزرق الواسع :

— خرج لباريز؟ •• دى ماكاتش سنة عميا اللى عشتها
هناك •• دانت ياجدع مابنتشوقشى لبلدك اللى فيها عضم جدودك
زى مابنتشوق لباريس •• طيب تعال كده اقعد سنة على بعضها
فى البلد ! ••

وشعرت باهانة فأمسكت بيده قائلا :

— مين قال، لك •• انت يعنى دخلت فى نفسى وعرفت أنا عايز
ايه؟ •• أنا من أول ماصحيت ناوى أروح البلد ••

— أهو يوم والا يومين وتتلسوع على مصر •• طب بالله العظيم
انت دلوقت ما تعرف ولا واحد من العيال الجداد أولاد البلد ••

بلاش أولاد البلد حتى أولاد العيلة .. أنا عارف ايه قعدة مصر
على طول كده .. وقال ايه يوم الواحد مايجب يروح هنا والا هنا
ينظ لي على أوربا .. تقولشى يعنى كان أصلنا فى حال الأصل
خواجات .. ياعم تعال أقعد لك جمعتين فى البلد .. دا الوطن
الأم .. آمال بس اشتراكيين وانتم قاعدين لى بين مصر وأوربا!؟

الوطن الأم!؟ .. اشتراكيين؟! ما هذا كله يا عبد العظيم؟! ثم
يتح لى منذ سنوات طوال أن أتحدث معك . كنا ندرس معا فى
مدرسة القرية الأولية ولم يتح لك أن تخرج الا قليلا من القرية ..
لم يتح لك حتى أن تذهب الى المدرسة الابتدائية فى عاصمة الاقليم
.. فلم يكن عند أبيك ما يكفى من المال لتواصل تعليمك .. وقد
تراخى العهد بينك وبين القراءة ، فأنت لاتكاد تقرأ غير ما حفظته
وأنت طفل من القرآن وبعض عناوين الصحف بصعوبة .. أنت
لا تكتب الا توقيعك .. وتقرأ أسماء الشوارع فى القاهرة بصعوبة
وأنت لاتأتى القاهرة الا مرة كل عام أو كل عامين لتزورنى ، وتزور
بعض أقاربك .. آه .. نسيت أن لك ابنا فى كلية العلوم .. أنت
الآن تزور القاهرة أكثر مما كنت تصنع من قبل .

وقلت له فجأة :

– ازى الواد فتحى ابنك؟

– يعنى بتسأل عليه؟ .. أهو فى المدينة الجامعية ، و ...
وبعون الله كده عاوز يدرس ذرة .. ان شاء الله يطلع عالم ذرة ..

يمكن يطلع زى العالم ده .. اللى اسمه كورى .. البت ماهو من
باريز !

كورى يا عبد العظيم ؟! .. دعنا من باريس ، وقل لى .. قل لى
أنت .. ولكن لم لا يكون كورى آخر ابنك فتحى هذا ؟ .. أنا
والله أسأل عنه يا شيخ ولكنك تتخيل القاهرة قرية صغيرة وتطلب
منى أن أراه كل يوم .. وهذا مستحيل .. ابنك فتحى يزورنى
أحيانا وأطمئن عليه .. متى رأيته يا ترى آخر مرة؟ .. منذ شهر ،
لا .. أكثر .. من العام الماضى .. لك حق .. ماذا أقول لك
ودوامه الحياة فى القاهرة تأخذنا ، وغول رهيب يقتات بالوقت
ويلتهمه ونصبح فجأة فاذا الشهر قدام وراء الشهر والعام وراء
العام .. وانا أتناقش مع أصدقاء لى حول صراع الزمن والتحدى
الذى يواجه شعبنا لكى يمتلك مصيره ، وواجب المثقفين والأدب فى
المجتمع الاشتراكى .. الكلمات تبتلع أيامنا .. وماذا تقدم بعد؟! ..
حتى المودات الصغيرة لا نجد لها وقتا .. لك حق يا عبد العظيم ..
واستدرت عائدا من شارع قصر النيل أبحث عن مكان أقعد
فيه مع عبد العظيم .. وتاه منى فى زحام أمام واجهة أحد المحلات ..
وسمعتة يزعق ضاحكا وهو يمد لى يده ليضعها فى يدي من جديد
ونحن نمشى :

— هم ستات مصر دول ما عندهم شغلة ولا مشغلة غير اللف
على المحلات .. ايه ده ؟! .. طب ما طبعا الحاجات اللى فى المحلات
لازم تخلص .. طلوعوا منين دول كلهم ؟ .. طب دا لونسوان بلدنا

داروا فى الشوارع كده البلد لاهى زارعة ولاهى قالعة .. مايعملوا
لهم مصنع غزل زى اللى عملوه فى المحافظة عندنا خليههم ينشغلوا
شوية .. أنا عارف يا أهل مصر بتجيبوا منين الفلوس اللى بتشتري
بيها النسوان الحاجات دى كلها؟! الفلوس دى منين يا حريم مصر!؟

قاطعته :

— انت ليه يا عبد العظيم بتكره مصر؟

فوقف وانفجرت ضحكاته حتى التفت الينا بعض المارين
والمارات فى الشارع .. ووقفت فتاة أنيقة تتأمله بجسمه الطويل
وجلبابه المنسدل فى شموخ والطاقيه على رأسه .. ورفع ولد صغير
رأسه الى فوق وهو يتأمل عبد العظيم بعوده النحيل ووجهه المتص
الأسمر وشاربه الكثيف وضحكاته تدوى ..

وقال عبد العظيم :

— أنا باكره مصر؟ .. يا أخى يمكن با أحب باريز!

وسبقنى الى المشى واستمر يقول :

— شفت البنت اللى كانت بتبص لى دى؟ .. حلوة ماقلناش
حاجة ، لكن يعنى .. يعنى مش عيب عليها تطلع وفستانها فوق
ركبها .. بقى دى لو كانت بتشتغل فى غيط والا فى مصنع زى
المصانع اللى عندنا كنت تلاقيها متعرية كده .. بقى المخسوفة دى
لها أهل ييشموا؟! .. ماشية كده .. ليه؟ مش مكسوفة ..

خواجاية يعنى .. وكمأن بتتقصع .. يا أخى ده كل بلد وله
سلوه .. طب خليها تهوب ناحية بلدنا باللبس الفضاح ده كده
وشوف اللي حايجرى .. بقى دى لو كانت فيه حاجة شاغلاها غير
التفكير فى جسمها كانت لبست كده ؟ .. والأكاداة يا أخى عينيها
يندب فيها الرصاص .. متعرية كده ولا هامها برد .. ولا حيا
ولا كسوف ، هو احنا على شط البحر .. وبتتلعبط كده ليه ..
زى بتوع السينما الافرنجى .. ياخسارة يامصر !!

— احنا يعنى عارفين ظروف الناس ..

— وظروف ايه يعنى دى اللي تخल्ली واحدة تعرى نفسها
بالشكل ده !! ما عندهاش تكمل بقية الفستان .. بقى تلبس كده؟
ما هو اللي ماشى فى الشارع رايح شغله لازم يقف يبص ، الرجالة
معدورة ، والله أنا خايف على ابني فتحي من الحاجات دى .. أكيد
النوع ده من الستات لا بيتتج ، وكمأن بيضع وقت الاتجاج ..
بيقلدوا بتوع بره .. ما هم بيوردوا لنا اللبس والمشية المعوجة
كمان ! .. طب وازاى تنتج !!

لا ينتج؟! ويضيع وقت الاتجاج؟! من أين تعلمت كل هذا
يا عبد العظيم يا ابن عمى .. أنت تقول كلاما أكبر منك بكثير ..
من أين تعلمت هذا كله ؟!

أوشكت أن أسأله ، ولكنى أحسست أن سؤالي سيجرحه .

ودفعته الى باب مشرب في شارع قصر النيل .. لنشرب
شيئا ..

فقال لي بصرامة :

— أنا مش فاضى لا أقعد على قهوة ولا على بورصة .. أنا
جاي أشوفكم وآدينى اطمينيت عليكم وعلى ابنى وعندى ميعاد
في وزارة الاصلاح الزراعى الساعة واحدة .. هى ساعتك كام ؟ ..
لا بد عن مقابلة الوزير .. الجدع المشرف بتاعنا مزروط الدنيا
ومنيها بنيلة .. لازم أقابل الوزير أو أى مسئول اشتراكى في
الوزارة ..

وعجبت لابن عمى عبد العظيم .. كانت الساعة تقترب من
الثانية عشرة وما زال لديه وقت ..

وألححت عليه أن يدخل الى المشرب وسأصعبه الى الوزارة
في تاكسى .. ولكنه وقف معترضا :

— تاكسى ؟ .. يا سيدى المشى صحة .. خلينى أروح في
البراح .. بس انت وصلنى لهنالك ، شور لى على باب الوزارة
وماتدخلش معايا .. دى وزارتى أنا ، وانا ليه هناك كلام وشغل
تانى ما تعرفوش انت .. حاكم انتم بقى ناس بتوع كتب والحكاية
عندكم كلها كتب في كتب وكلام في كلام .. احنا بقى اللى ايدنا في
النار .. دى حكايتنا يا آبا ..
وضحك ..

عدت يا عبد العظيم تقول كلاما كبيرا ..

أفك تدين المثقفين بكلماتك دون أن تعرف .. ولكنك تعرف!
تعرف أكثر مما أستطيع أن أتخيل .. مع ذلك يا عبد العظيم فالكتب
لازمة .. لا بد منها يا أخى ..
وقلت اه :

– ما هو يا عبد العظيم الناس لازم تقرا ..
– ما قلناش حاجة .. لكن اللي بيحجروا فى الغيط عمرك
ما حتعرفه من كل كتب الدنيا .. ما هو أنا كمان رجعت أتعلم
القراية تانى .. لكن اللي فى الغيط حاجة تانية .. مهمة قوى .
– طب تعال بدل وقفة الشارع تقعد نشرب قهوة فى خمس
دقائق وأوصلك للوزارة .

وأزاح الطاقة عن شعره القصير وحك مقدمة راسه قليلا
وهو يتأمل الرجال والنساء الذين يسرون فى الشارع وابتسم
فجأة وهو يتأمل امرأة تلبس ثيابا قصيرة تكشف ما فوق الركبة
بكثير .. كانت شقراء وساقاها المشربتان بالحمرة يثيران فضول
كثير من العيون ، وقال وهو يتابعها بنظراته :

– خواجاية .. معلهش .. سلو بلدهم كده .. لكن احنا
مالناش فى اللبس ده ولا فى المشى المخلع الملعبط الأغبر ده ..
واصطدمت به امرأة فى تمام زينتها ملفوفة القوام تمشى
مسرعة جدا وكل جسدها يختفى تحت ملابس ثقيلة ، ونحت

عبد العظيم باشمزاز وغلظة لتدخل المشرب .. وتنحى لها
عبد العظيم ساخرا :

– اتفضلى يا هانم .. ما أنا فلاح ما يصحش أقف قدام
محلات زى دى .. هو لسه الصنف ده والأفكار دى موجودة
عندكم .. يا سلام يا مصر !

والتقطت أذناى همسات رجل كان يتابعها هو وزميل له :

– اتفضل يا سيدى .. عيني عينك .. حا تقابله هنا ..
الراندى فو دايمًا هنا ، كل يوم سبت من ١١ – ١٢ يخرجوا من
الباب الخلفى فى العربية .. وترجع الشغل الساعة ٢ تمضى وتروح!
مواعيد الليل بقت موضة قديمة .. آدى آخرة شغل الستات ! ..
ولا بسة حشمة عالآخر حتى ايديها فى الجواتتى .. والله احلويت
يا بلدى ..

ورد زميله :

– واحدة منحرفة مش معناها ان كل الستات اللى بيشتغلوا
وحشين .. ما ستات البيوت فيهم كده وكده برضه !

وتدخل عبد العظيم فى الحديث :

– واحدة منحرفة لازم تنحش .. زى النبتة الفسادانة فى
وسط الغيط لازم تنحش من جذرها بدل ما تخسر الزرعة كلها ..
دى النعجة الجربانة تعدى النزل كله .. المجتمع الاشتراكى مسئول
عن تطهير نفسه !

وضحك أحد الرجلين ، وهو يتابع سيره ، بينما نظر الآخر
الى عبد العظيم فى امتعاض ، وتابع سيره وهو يقول فى سخرية
واضحة يخالجهما القرف والغيظ :

— دا باين عليه فلاح اشتراكى من بتوع اليومين دول !
يا سلام يا سيدى على الفلاح الاشتراكى ! .. ولسه ياما حاشوف!
والله احلويت يا بلدى ! ..

وهز رقبتة من داخل ياقة القميص الحريرى فعدل من وضع
رباط عنقه الفرنسى الفاخر ، ومسح بيده شعره الفضى ، وتاه فى
الزحام بعطره الفواح الذى ترك آثاره الثقيلة حيث كنا تقف أنا
وابن عمى عبد العظيم .

وصاح عبد العظيم :

— على الطلاق الراجل ده رجعى .. طب أحمد ربنا اللى احنا
لسه محتملينك .. كمان حاتتريق .. قال والله احلويتى يا بلدى ..
أى احلوت وزهزعت ..

وقلت له وأنا أحاول أسكنه :

— هس .. دا رئيس مجلس ادارة مؤسسة ومسئول سياسى
كبير .. أمين الاتحاد الاشتراكى فى المؤسسة .
وضحك عبد العظيم ..

ثم غاضت ضحكته شيئاً فشيئاً وتقلص فمه ، ودهمه شىء
كالهم المباغت .. ولاح لى أنه يفكر فى بعيد .. كانت نظراته تائهة
.. لم يعد زحام النساء على المحلات يثير تعليقاته ..

ومرت أمامنا فتاة سمراء تلبس فستانا قصيرا جدا أقصر من كل ما رآه فلم يشعر بها ..
وخرج من المشرب رجل أعرفه والسيجار الهافانا في فمه ووقف يحدثنى ، وراى عبد العظيم ، وأدرك أننا معا فتقدم منه يحييه ، ولكن عبد العظيم لم يشعر .. وسأله الزميل عن الحالة فى القرية وحديثه عن الفلاحين فى لهجة شعرت فيها بالتودد وقليل من النفاق .. ولكن عبد العظيم لم يسمعه ..

كانت نظراته شاردة ، وفى أعماق عينه يضطرم شعاع غريب ..
لم يكن هنا فى شارع قصر النيل على التحقيق ..

وهزنى فجأة بعنف كأنه يهز نفسه من خواطره ليفيق :

– اسمع .. فىن المحروق ده اللى اسمه .. اسمه .. ش ..
شب .. شبرد !! فىن ؟ .. فأكر لما انطردنا منه من قيمة خمسة وعشرين سنة وخذنا لنا يومين فى القسم .. ان كنت عاوز تسقينى قهوة ياللا بينا على شبرد ..

– لكن انت مش عندك ميعاد الساعة واحدة فى وزارة الاصلاح الزراعى ..

– ميعاد؟! .. أنا لسه حاروح أناكف علشان أقابل الوزير أو أى مسئول اشتراكى .. قالوا لى فى لجنة الاتحاد فى البلد ان أحسن وقت للمقابلة بعد الساعة واحدة .. ودينى على شبرد ..
لك حق يا عبد العظيم .. لماذا ذكرت هذا الحادث فجأة ..
كنت اذ ذاك تزورنا – ونحن تتعلم فى مصر – أكثر مما تفعل اليوم

•• لم تكن قد تزوجت بعد • وأخذتك يوماً الى كلية الحقوق
وجلسنا معا في بوفيه كلية الآداب وانت مبهور ورأيت البنات
يتناقشن مع الصبيان •• وتمنيت أن يكون لك أولاد يتعلمون
ويتكلمون بمثل ما كنت تسميه اذ ذاك الفصاحة ! ••

وأحببت أصدقائي وأحبوك •• وكلت احدى الطالبات فلم
تنفر منك فقلت لى انها لا بد أن تكون من أصل ريفى •• من يومك
وانت ترى كل الفضائل من أصل ريفى ••

وفى الليل ذهبنا الى السينما •• كنت تراها لأول مرة ••
شاهدنا « بنات الريف » •• وبكيت لمصير البطلة •• وقلت لى
وقتها ان يوسف وهبى رجل شجاع وفاهم •• وانهم هؤلاء البكوات
يصنعون هكذا بنات الريف ••

وخرجنا من السينما •• أنا بيدلتى ، وانت بجلبابك الأزرق
المقلم •• انت تحب هذا اللون دائما •• ما يبلى عندك جلباب حتى
تأتى بعد سنوات بآخر من اللون نفسه •• وكنت وقتها تلبس على
الطاقة شالا وتجعلها كالعمامة •• كنت تخشى أن تجيء الى مصر
بالطاقة •• لم تكن فخورا بها دائما كما أنت اليوم •• وكنت تلبس
حذاء فصلته خصيصا لزيارة مصر •• كان بنيا هذا الحذاء كنت
تسميه « الجوز العنابى » •

وخرجنا من السينما ولم تشأ أن نعود من فورنا الى البيت فى
بركة الفيل ، قرب الحلمية الجديدة •• كنا نحن نسمى الحى أحيانا

الحلمية الجديدة تطلعا الى السكن هناك قبل أن نسكنها
بسنوات .. وكان ذلك المساء من الربيع يزحف فيه على
البرد الذاهب دفء جديد يثير في النفس الرغبة في الانطلاق ..
واردنا ن نشى الى البيت لنطيل المسافة .

ومررنا بحديقة الأزبكية ، واستنشقنا هواءها بملء صدورنا
.. وعسرت رائحة الخضرة من حديقة الأزبكية قلوبنا المتفتحة
للحياة .. كنا فى نحو العشرين .. وقلت لى فجأة :

— فى أنبلد دلوقت تلاقى ريحة البرسيم ريانة وحلوة ..
وضغطت على كلمة حلوة .. ثم تابعت كلامك :

— وروايح البرتقان ! .. البرتقان زهر .. زهره فتح .

آه ما يصنع بى عطر البرتقال يا عبد العظيم ! ..
وتوقفنا أمام حديقة الازبكية وقلت لى :

— ما فيش قهوة تطل على الجنية دى تقعد فيها جبتين ..

ودرت بك على شبرد القديم .. وقصصت عليك شيئا من

تاريخه .. وقلت لى انه سراى عظيم ! .. نعم .. كان كذلك .
أتذكر ما قلته يوم حدثتك عن نابليون بونابرت .. لا تخف فلن
أتحدث عن باريس .. ويوم حدثتك عن كليبر ؟ هنا أقاما الواحد
بعد الآخر والأرض تنفزز تحتهم باللهب .. داسوا الأزهر وكل
قداسات الحضارة بسنابك الخيل ، ولكن نار القاهرة شوتهم ..
هرب نابليون فى زى امرأة ! لكم ضحكت وأنت تسمع هذا وشعرت

بالزهو والكبرياء .. أما كليبر .. تعال يا عبد العظيم .. أترى
هذه الشجرة .. هنا سقط كليبر تتويجا لاتتصار مقاومة شعب
لا ينام ولا يستسلم .. أجدادنا صنعوا هذا يا عبد العظيم ..
أخذنا تتأمل الشجرة من بعيد ونحن ندور حول شبرد وصمت
على أن ندخل شبرد .. لنستريح ولنجلس حيث انتصرت بطولة
الأجداد .. صرخت اذ ذلك : « يا واد يا حلبي يا بطل .. ولا
الادهم في زمانه وعزه » .

ولم نكد نجلس في الشرفة حتى جاء « جرسون » نوبى ..
له لون جلدنا نفسه يا عبد العظيم .. وسألنا متحرجا عن نتظر ..
ظن أننا نتظر أحد الرواد الكبار .. كانوا يجلسون هنا ،
هم والعاهرات الفاخرات والضباط الانجليز والغوانى الكبيرات ..
وطلبنا منه شايًا لك وقهوة لى ..

فذهب متحرجا .. وتأملت أنت عددا من الضباط الانجليز
الكبار يجلسون مع امرأتين مصريتين وصحت :

- بقى ما فيش حد هنا يعمل عملة الحلبي ده يا رجاله
.. ولم أكد أقول لك أن الجهاد ضد الانجليز لم يتوقف
حتى جاء رئيس خدم الفندق ، وهو رجل أجنبى فخيم مهيب ،
فطلب منا بلغة عربية ركيكة أن نخرج .. وصحت أنت فيه
بغضب :

- ليه بقى يا خواجه .. احنا قاعدين فى حتة من بر مصر
وقاعدين بفلوسنا ..

وبعد قليل جاء بضابط مصرى .. وأفهمنا ان الجلوس
بالطواقي والجلاليب ممنوع !

أتذكر ؟ .. لقد قلت انت له :

– المرة الجاية حاجى لك متتك فى بدلة وبرنيطة ..

ولكنه تجهم

وقلت له انا انتى طالب بالحقوق أعرف حقوق المواطنين
والدستور يمنع هذا ، ومن حق كل مواطن أن يجلس فى أى مقهى
.. انها الحرية المقدسة .

ولكن الحديث تطور .. لا نعرف كيف .. وانتهى بنا الى
يومين فى حجرة خائفة بقسم الازبكية .. حجرة كدس فيها عشرات
الأشخاص ..

وأقبل الليل بلا نور ، وبلا نوم ، فما كان فى الحجرة مكان
يتسع بعد لرجل واحد يقعد على راحته .. لم نخرج الا عندما
استدعى أحد الضباط كل الموجودين فى الحبس ، وحين عرف
قصتنا ضحك .. ثم أبدى اعتذاره الصادق وقال بمرارة :

– نحن غرباء فى بلادنا .. معلش ! .. ثم ان كلمة المواطنين
دى اللى قلتها فى شبرد كلمه خطر ! المواطن دى كلمة اخترعتها
الثورة الفرنسية والعايز بالله . احنا مملكة مش جمهورية ! على
كل حال معلش .

وعندما قلب أنا له اننا حبسنا بلا ذنب ، وهذا ضد الدستور،
اعتذر لي .. وعدت أنت تقول له كيف يعوضنا عما لقيناه ...
وكيف نحبس ويكون العوض هو كلمة « معلهش » .. اعتذر
مرة أخرى وقال انه سيحاسب المسئول عن هذا ، فصحت أنت
تجيبه :

— يحيا الرجل الشهم .. يحيا الرجل الوطنى ويسقط الرجال
الحيوانات !!
لك حق ..

لن أنسى ذلك الضابط الشاب ، وضيقة الذى غمر ضحكاته
عندما أدرك ما أصابنا لأننا أردنا أن نقعد فى جزء من أرض الوطن
.. هو فى النهاية مقهى مبذول لمن يدفع ثمن الطلبات !

كل هذه الذكريات عن شبرد يا عبد العظيم هى التى تدفعك
الآن الى أن تجلس فيه ولكن المسكان تفسير .. ذهب فى حريق
القاهرة .. ألا تعرف يا أخى .. والشجرة التى كتت تطوف حولها
من بعيد كالعابد الورع .. الشجرة التى شهدت قمة المقاومة ضد
الجيش المحتل .. لم تعد بعد .. لقد قطعت !

أنا أعرف ماذا يعنى قطع شجرة عند فلاح مثلك .. ولكن هذه
الشجرة بالذات ، والأرض التى كان يحتلها شبرد أصبحت الآن
ملعب كرة يقلد فيها أبناء الحى نجوم الكرة الكبار الذين يقرأون
عنهم فى الصباح والمساء .. لا تحدثنى فى الكرة كما يحدث هنا
دائما فى القاهرة ...

ولكن شبرد الجديد سيرحب بك .. لا داعى للامتحانات •
وعلى باب شبرد فتح « جرسون » مصرى الباب ، وابتسم
مرحبا .. وعبد العظيم يدخل •

ونظر الى عبد العظيم بزهو .. وقال لى :

— بلاش منه بقى .. كفاية كده •

واستدار قائلا :

— ياللا بنا على الاصلاح .. ياللا بنا ..

— ما تيجى نشرب القهوة •

— مافيش وقت للقهوة ، بلاش تضيع وقت فى القهاوى ..

أنا كان نفسى ألس بنفسى التغيير ده .. دلوقت أنا فرحان ..

وحاسس بحق وحقيق انى فى حنة من أرض الوطن .. أن كل حنة

من أرض الوطن هى حقيقى بتاعتى •

أرض الوطن !!

كنت تقول من عشرين عاما « البر » .. أرض الوطن؟! .. ماأروع

رنين الكلمة .. ولكن يا عبد العظيم .. أين تعلمت هذا كله ؟!

ولم أشأ أن أسأله .. فقد خشيت أن يجرحه السؤال ..

وانطلقنا أوصله الى وزارة الاصلاح .. وفى الطريق ونحن

صامتان قلت له :

— أنت مسافر بعد المقابلة دى ؟

– بعون الله أسافر منصور ، بعد ما أساعد على تصفيئنا
العقليات الرجعية والمخربة دي ..
ما هذا أيضا يا عبد العظيم .. العقلية الرجعية والمخربة ..
من أين تعلمت هذا كله ؟

ورآنى أنظر بدهشة وبشء كالحيرة .. فنظر الى مبتسما :
– أوعى تكون زعلان منى .. أنت فاكرنى يعنى باشد
المسخرة على الكتب واللى بيقرأوا الكتب .. لا والله العظيم .. أنا
مش ضد الكتب والله .. ما تزعلش منى لما أهاجم الناس اللى
قاعدين يقرأوا ويتكلموا وسايين مواقع العمل ! .. دول
ما يساعدوناش مع انهم كفاءات برضه واحنا أعداءنا كثير ، لكن
حانصفيهم بعون الله .. انت فاكرا اللى زقتنى عشان تخش القهوة
الى كنا واقفين قدامها .. فاكرا الراجل اللى بص لى بقرف وقعد
يتريق على الفلاح الاشتراكى .. والبنات اللى ماشيين ملعبطين
وكاشفين أفخاذهم .. بقى دى كلها مش معوقات .. مستغرب
كلامى ليه .. يعنى أرطن لك بالفرنساوى .. والا أكلمك زى
الملاحين اللى بيطلعوا فى السیما والاذاعة والتليفزيون عشان
ما تستغربش .. على كل حال كلها عشر سنين بالكثير قول خمسة ،
ولا يمكن تلاقى فى الجمهورية كلها حاجات معوقة زى دى ..
دا الزحف الثورى زى الموج .. اللى يقف قصاده يتعب ، واللى
يعاند الموج يجره بعزم مافيه .. ربنا يطول فى عمرنا ويدينا
الصحة واحنا بكره ياما نشوف .. بكره تروق وتحلى كسان وكسان

•• بعد عشر سنين يا عالم! •• يمكن الواد فتحى يكون بقى حاجة
تانية •• بقى عالم ذرة •• يساهم فى عمل ذرى للسلام •• زراعة
بالذرة • علاج الأمراض بالذرة •• توفير الأكل بالذرة •• بكره
تشوف بعد عشر سنين البلد دى حاتبقى ايه •• والوطن العربى
كله! ••

يا عبد العظيم ارحنى وقل لى أين تعلمت كل هذا؟! •• كيف
تعلمت هذا كله ••؟! ••

ونظرت اليه بأعجاب •• أترانى حقا كنت أنتظر منه أن
يتحدث كما ألقته منذ عشرين عاما •• أين اذن التطور الذى
أؤمن به ••

أنت يا عبد العظيم مع ذلك محير ••
وقاومت فى نفسى الاستعلاء الذى سيدفعنى الى الاعجاب
بفلاح يتكلم هكذا •• شعرت أن فى اعجابى به - حتى اعجابى -
نوعا من التيه سيجرحه •
وسألته فجأة :

- أنت مسافر النهارده بعد ما تخلص مشوار الوزارة ••؟

- ان شاء الله •

- ما تشوف لنا خدامة ••

- ما عايش فيه حاجة اسمها خدامة

- قصدى شغالة!

- يا سيدى المصنع ما خلاش حد من بنات البلد ولا بنات

الناحية كلها محتاج للشغل فى مصر .. البنات الكبار حتى اللى
كانوا بيخدموا فى مصر رجعوا كلهم للبلد وبيشتغلوا فى المصنع
ويياخدوا دروس محو أمية بالليل فى مدرسة البلد .. شفت بقى
.. والبنات الصغار بيتعلموا .. أجيب لك هيابة شغالة منين بقى ؟
وصت قليلا قبل أن يكمل :

– زمان الجهل راح .. ما كل حى يخدم نفسه .. والا
شغلوهم بالساعة زى بتوع بلاد بره .. زمان الجهل راح وماحدث
يقدر ياكل عرق حد .. زمان الاستغلال راح وراحت أيامه !
زمان الاستغلال .. الاستغلال ! هكذا يا عبد العظيم ..
وزعت فيه فجأة وقد نفذ صبرى :

– قل لى انت اتعلمت الكلام ده فىن ؟
وضحك قائلا ونحن تقرب من وزارة الاصلاح الزراعى :
– يمكن من باريز ؟! والا يمكن من باريز ؟! حاتعلمه فىن
يعنى .. من الكتب والحاجات اللى أتم مغروزين فيها لشوشتكم
ليل نهار !؟ اتعلمته من على رأس الغيط يا بتاع مصر .. وده سؤال
ده ؟ اتعلمته من البلد .. طب تعال البلد كده أقعد لك كل سنة
شهر والا اتنين وانت يا ما تتعلم .

لك حق يا عبد العظيم .. يا ما يمكن أن أتعلم .. من قررتى ا
وعندما خرج عبد العظيم من وزارة الاصلاح كنا معا فى
الطريق الى قررتنا .. كان الهواء البارد قد بدأ يتحرك ، وعاصفة
تقرب ، والسماء تمطر ، ولكن النهار كان يعنى .

نسمة فاترة مثقلة بدفء الشمس ، هبت على الحقول
المترامية حتى الأفق .. والأعواد اللينة الجديدة تتدافع أمام
الرياح وتتموج ، كأنها شعر امرأة شقراء فاتنة .. لا .. فما كانت
الأعواد قد اصفرت بعد وأصبحت ذهبيات السنابل ..
كانت الأرض السوداء الطيبة تبدو تحت الأعواد المتأودة إلى
المدى ، كأنما غمرتها أمواج ناعمة خضراء تختفي حيث أشجار
التوت تشمخ في البعد كحراس خالدين ! ..
كل ما حولي عن يميني حقول من القمح الجديد .. وعن
يساري على الطريق الزراعي تقفز العين على مساحات ضيقة من
حقول البرسيم تجاور حقول الفول وحدائق البرتقال .. ورائحة
الخضرة والأرض والخصوبة والنماء تملأ الهواء بشذى دسم ،
رقيق شفاف مع ذلك ، يثير في النفس الرغبة الجامحة إلى الانطلاق
وسط هذه الخضرة الرخصة ..

لكم يتنفس الإنسان هنا بحرية ! .. لكم يشعر بالقدرة على
أن يكون مفيدا للآخرين ، وبالحاجة إلى أن يحب أكثر مما صنع ،
وأن يعطي أضعاف ما يأخذ ، وأن يقول أروع الكلمات ! ..
والعربة تمضي بنا أنا وابن عمي عبد العظيم .. ثم تتوقف
بعيدا عن القرية .. فهنا موقعتها ، وما زال على مدى البصر هذا

الموج الناعم المثير الذي تصنعه الريح الحانية المعطرة الخفيفة
بأعواد القمح الجديد .

وسألت عبد العظيم :

— هى كل البلد زارعة قمح الناحية دى والا ايه ؟ ..
— الناحية دى فيها تجميع زراعى .. كلها قمح .. والناحية
التانية اللى على شمالك متروكة حرة كل حى يزرع فيها على
هواه .. وفيها خلق زارعة قمح برضه . لكن شوف بقى الفرق
بين ده وده .. شوف العيدان بتاعة التجميع عاملة ازاي ؟ العود
طول الراجل .. والتانية ماتخيش حتى ديب .. فرق بين الجهد
الفردانى والمجهود الجماعى .

أنا لم أزر قرىتى فى الشتاء منذ سنين .. ألفت أن أزورها فى
الصيف ليوم أو يومين ثم أمضى .. !

هذا المطر ؟ .. كيف سنسير الآن ؟ قديما عندما كنت فى
القرية غلاما صغيرا كنت أفرح بالمطر .. كنا نجرى أنا وعبدالعظيم
وأطفال القرية ، حفاة والمطر يغمر شعورنا المتلصصة من تحت
الطواقى ، ونحاول أن نتلقفه فى الأفواه .. وكانت أقدامنا الحافية
تشعر بلمس عذب للأرض التى يحولها المطر الى شىء لزج بارد ..
وكنا نجرى فى فرح الى المنخفضات التى جعل منها المطر بركا
صغيرة ونسميها بحارا وبحيرات .. ولكن مطر هذا اليوم لا يمكن
اجتيازه بالأحذية .. هاهى ذى البحار القديمة التى كنا نبحت
عنها فى الطفولة تحت المطر .. مستحيل أن نجتازها اليوم !

ووجدت عبد العظيم قد اجتازها بيسر بعد أن شمر جلبابه
ووقف يناديني .. وأنا أبحث عن قطعة من الأرض لا ماء فيها :

— اجمد .. آجى أشيلك .. شمر البنطلون .. مالهاش
لازمة أول جنابك ماتنزل البلد تنفوس فى الطين يابتاع مصر ..
ادلش ماتخافش .

وضحك ثم استمر :

— والا خليك مكانك .. أنا حاجى أشيلك ..

ولكنى نحيته ضاحكا ، وهو يحاول أن يحملنى ليجتاز بى
منخفضا صغيرا ملاء ماء المطر .. وشمرت أطراف البنطلون ،
وبدأت أتحمس طريقي ..

وأمسك ييدى فى رفق وهو يقول :

— ما هو طبعا لافيه هنا طرق مسفلته ولا بلاعات لشفط الميه،
الفلاحين فى بلاد بره عايشين كده برضه ! والطرق الزراعيه
بتاعتهم كده ؟ شويه مطره يلغمطوا الدنيا ؟ .. هه ؟ .. قل لى ..
اشمغنى يعنى كل الأسفلت اللى عندنا حاطينه فى شوارع مصر
واسكندرية .. ما تسيبوا لنا حبة كده نسلك بهم الطرق عندنا ..
وكان مع ذلك يضحك .. ولم أعرف بماذا أجيبه ..
وعدت أسأله :

— انت ليه مش راضى تحكى لى على اللى حصل لك جوا
الوزارة .. ؟

– مشوارى ده كان مهمة من لجنة الاتحاد الاشتراكى ..
ما يصحش تنحكى الا فى مكانها .. فاهمنى .. لو كنت عضو معانا
هنا كنت حكيت لك .. لكن دى حكاية لاتهمك ولا تهم حد غير أعضاء
الاتحاد الفلاحين .. انت عارف اتنا عضو طبعا فى لجنة البلد ..
و كنت حاطم ل لجنة المركز لولا رزق .. اللى مبوهينه .. رزق
بيه .. هى .. سلامات يارزق بيه !

– يعنى وفقت فى مهمتك ؟ ..

– الموفق ربنا ..

وشعرت أنه مصمم على ألا يحدثنى فى هذا الأمر ، رغم
الحاحى عليه فى السؤال منذ خرج من وزارة الاصلاح .. وأدرك
ضيقى ..

– ما تزعلش .. ما هو يا اما الكلام له فائدة ولزوم ..
يا امة يبقى رغى ودوشه ولك فارغ .. ما هو حاكم احنا حاجة
تانيه غير الفلاحين اللى اتعودت عليهم فى مصر من السيما والاذاعة
والتلفزيون .. الفلاحين اللى بيضحكوكم .. بدمتك بيضحكوكم
علينا ليه ؟! ما يضحكونا كلنا على الرجعيين والانتهازيين والمنحرفين
.. ما يضحكوكوا على سى رزق ، والا على المشرف الزراعى اللى
عامل لى شاب طرب وداير بالفرسة بتاع الاصلاح وعاوز يغوى
بنات البلد اللى بيشتغلوا فى أرض الاصلاح .. مش يضحكونا
على الصنف ده أحسن .. والا على البنات اللى لابسين فوق
الركب فى مصر ، والا على الست اللى زقتنى دى ، والا .. على

سعادة البية اللي بيتريق على الفلاح الاشتراكي .. يضحكوهم
ويضحكوكم علينا ليه بس ! دول حقهم يضحكونا احنا على
الأصناف دي .. والا أنا بارغى زيادة ؟! ..

يا عبد العظيم انت تتحدث فى الفن والأدب أيضا .. وبعمر
غريب ، وشائق ! .. كل شىء يسير عندك .. أعماق الأشياء تعبر
بها فى نفاذ خارق ، بأدق الكلمات .. بلا حدلقة .. ولا فلسفة !
فى كلماتك من التحديد لدور الادب والفن فى المجتمع الاشتراكي
أكثر مما ننطق نحن فيه الليالى ، نتحدث ونسخن ونشرب الخمر
الرديئة أو الفاخرة !

وكنا قد اجتزنا الطريق الصغير الضيق المليء بالحفر الذى
يفصل بين الترية والطريق الزراعى الكبير .. وأشرفنا على المقابر
القديمة يعلوها مقام « سيدى مسعود » .. دائما باللون الأبيض .
وسألته :

– البلد لسه بتعمل مولد سيدى مسعود ؟

فأجابنى :

– شى الله يا سيدى مسعود .. آهو سيدنا الشيخ طلبسة
بيفوت دلوقتى على الدور ياخذ اللي فيه القسمة ويجيب شوية من
أهل الله يذكروا لهم شوية وخلاص ! أنت فاكر يعنى زى زمان ..
فقها وصييت وهيصة ورقص ومواويل وكلام من ده .. ماغادش
فيه جهد الحاجات دي .. تعرف الفلوس اللي كانت بتتنصرف
عالمولد ده زمان ؟ دلوقتى بتلمها اللجنة وتشتري بها كسوة للفقرا

اللى مش قادرين يشتغلوا .. مش كده أحسن من النصبة القديمة
.. كده برضه أقرب لله .. ويمكن يرضى سيدي مسعود أكثر ..
بدل الهلك الفاضى نعمل حاجة تنفع .. نور البلد .. نساعد حد
محتاج .. أيها حاجة .

— لكن سيدنا الشيخ طلبه مبسوط كده .

— مبسوط ؟ .. دا مطلع البلد كلها كفره ! .. عاوز الميعة
الأولانية .. وان ما كناش نعمل نصبة وصييت وكل واحد يطلع
له صنبة عالعشا وصنية عالقطار للاغراب والمجازيب اللى كانوا
بييجوا المولد .. تبقى بلد كفره .. لكن بقى ما حدش بيسأل عنه
.. زمن الجهل والتنبلة راح .. دا حتى العيال اللى كانوا عايشين
عالمولد دلوقتى بيشتغلوا بعشرين وبتلاتين قرش فى اليوم .. زمان
عمرهم ما شافوا منهم حتى ريحتهم .. وآهم بقوا فلاحين رضا
والاعمال فى المصنع ، بدل ما كانوا عواطلية ، ينتظروا المولد من
السنة للسنة والواحد منهم يجرمحرات والا حتى ساقية .

ودخلنا القرية والشوارع الضيقة فيها يغطيها الطين وماء
المطر ، على رغم من الشمس الساطعة ، ورغم توقف نزول المطر
من ساعات .

كنا بعد العصر ولم نجد فى الطرقات أحدا .. أين ذهب
الناس ؟ .

قديمًا كنت أعرّس برجل أو رجال يجلسون على المصاطب

ونساء أمام أبواب الدور ، وفتيات رائحات غاديات وأولاد يلعبون
هنا وهناك في طرقات القرية في أى ساعة من النهار ..

— البلد مالها كده زى ما تكون عزلت ..

— أصلك من زمان ماجيتش .. هو فيه حد قاضى .. والا
عاوز البنات والستات يمشوا فى الشوارع يتلطفوا على المحلات
زى بتوع مصر ؟ .. الرجالة فى الغيطان .. والبنات يا إما فى
المصنع أو المدارس أو فى الغيطان .. والعجائز جبهه الدور
مكتونين .. والأولاد الصغيرين لسه فى المدارس زمانهم خارجين
.. عايز ايه بقى .. وقرب المغرب كده تلاقى البلد بتشغى زى
خلية النحل ..

ووقفنا أمام دار عبد العظيم وتشبث أن أدخل معه ، ولكنى
اعتذرت ، وتواعدنا على أن نلتقى بعد المغرب فى بيتنا .. فقال لى
بعد تفكير :

— ابقى تعال لنا اللجنة بعد الساعة تسانية .. احنا حانجتماع
بعد المغرب .. وحانخلص فى قيسة ساعة كده ..

وقبل أن أنصرف أقبل رجل ملء أصغر سنا من عبد العظيم،
يلبس معظفا من النوع الذى يباع جاهزا فى شوارع القاهرة مهزبا
من غزة ، ويمسك عصا ثمينة ، وفى أصبعه خاتم ذهبى يلمع ..
وجلبابه أنيق من الصوف الانجليزى الفاخر .. وتقدم مرحبا بى
وقدم لى سيجارة انجليزية من الصنف الذى لم يعد يستورد ..

كان وجهه مكتنزا مستديرا وأنفه أحمر أفتس فوق شارب أصفر
منسق بعناية .. وشفتاه رفيقتان مطبقتان .. ووجهه يحمل طابع
التحدى .. تحدى أى شىء .. كانت عيناه زرقاوين حادتين ..
وكان عارى الرأس ، شعره القصير المنسق يكاد يقف على فروة رأسه
وكان لكل وجهه منظر قط برى .. وحاولت أن أتذكره فلم
أستطع .. وسأل عبد العظيم :

— عملت ايه يا اخويا فى مصر .. قابلت الوزير .. جيت
الديب من ديله .. الحمد لله على السلامة !

— اللى عمله ربنا خير .. ان شاء الله النهارده فى اللجنة
بعد المغرب أبقى أحكى .. اتفضل القهوة .

— وكنت مسروع ليه كده على مشوار مصر ؟ وهو المشرف
كان عمل ايه ؟ بيقعد عند رزق بيه ؟ وايه يعنى ؟ .. ما الناس
مقامات .. مش لازم يقعد مع واحد من مقامه .. عمل ايه يعنى ؟
ادهى البنت تفيدة بنت سيدنا الشيخ طلبة ققص برتقان من جنينة
الاصلاح .. ما هو مورد فلوسها ، والبنت هى اللى عينها منه
وسيدنا الشيخ طلبة لادد عليه .. مالنا احنا .. وآهو سيدنا بيقرأ
قرآن فى سراية الاصلاح بتمن جنينة بحالها ..

وضحك عبد العظيم :

— ومركبك فدائين من أرض الاصلاح غش يا توفيق يا ابن
حسنين .. خللى الطابق مستور .. ومشغل وابور الجمعية

التعاونية في أرض رزق ييه بتاعك .. البيه اللي ماشافش البهوية
الا بعد ما أتلغت الالقباب .. واحنا اللي ندفع تسن الوابور
لرزق ييه .. هه .. هه .. و .. و .. أقول لك ايه كمان ؟ ما تخلى
الطابق مستور .. اتفضل قهوة وفضك من الكلام ده .

آه .. هذا هو توفيق حسنين .. لم أره منذ أكثر من
عشرين عاما .. كان أبوه مشهورا بالبخل .. ويقولون انه كان
يملك « زلعة » مليئة بالنقود الذهبية وجدها مدفونة تحت الأرض ..
حسين هذا لم أره أبدا حتى في طفولتي ، ولكن قصصا عجيبية
وحكايات كالأساطير كانت تنقلها البلد عن بخله .. كانوا
يسمونه المرابي .. ومنذ مات لم يعد أحد يذكر هذا الاسم ..
حتى عندما كان أحد الرجال يريد أن يشتم ابنه لم يكن يجسر على
الرجل الميت فيقول لولده يا بن المرابي كما كان يحدث والرجل
حي .. حسنين كان يقرض كل الناس بالربا .. حتى اخوته ..
ومن هذه « الزلعة » التي وجدها ظل ينفق وبنى بيتا كبيرا .. وذهب
الى مصر مرة وعاد بامرأة سمينة صغيرة بيضاء الجسد شقراء الشعر
زرقاء العينين وخبأها في البيت .. مع زوجته الأولى التي لم تكن
تنجب .. وسكن في بيته ضابط النقطة وبدأنا نسمع ونحن صغار
عن علاقات بين ضابط النقطة وبين هذه السيدة الشقراء التي لم
نكن نعرف عنها شيئا .. كانوا يسمونها « غندورة » حسنين ..

وعندما ولدت له « توفيق » عرفت في القرية باسم أم توفيق ..
ولكن ضابط النقطة نقل من القرية . وسافر ذات مساء ، وبعد

أيام اختفت أم توفيق .. تركت البيت الكبير الجديد ، وزوجها
حسنين ، وطفلها توفيق ذا العام الواحد .. ونفذت بجلدها ومعها
ما بقى في الزلعة من النقود الذهبية .

وجن حسنين ، وظل يصرخ ويلطم ويبكى ، وعاش بعدها
عامين قعيذا .. ثم مات .

لا أحد يعرف أين ذهبت .. أهربت مع الضابط ؟ .. لا أحد
يعرف .. أسرقت النقود وفتحت ملهى في الأزبكية ؟ .. سمعنا
هذا أيضا .. ولكننا بعد أن راحت من القرية بدأنا نسمع أشياء
عجيبة تنارت من الزوجة القديمة .. كان حسنين يقبل يد زوجته
الثانية ، وكان يتركها تهين زوجته الأولى وتضربها أحيانا ، وكانت
زوجه الأولى في عمر أم هذه الزوجة الثانية .. وكان حسنين
يكبر هذه الزوجة الهاربة بنحو أربعين عاما .. ومع ذلك فقد
أنجب منها ..

ويقسم الشيخ طلبة أن حسنين لم ينجب منها ، ولكنها آخت
عفريتا من الجن جميل الصورة فأنجبت منه ولدها توفيق .. وهذا
العفريت هو الذى أغراها بالهرب .. ولو أن حسنين أقام مولدا
لأهل الله - كما كان طلبة قد نصحه - لما حدث له كل هذا ..
ولكنه بدلا من كل هذا ملأ ذراعيها بالذهب .. وتركها للعفريت
.. والشيخ طلبة يقسم أنه يملك من الدلائل ما يؤكد أنها كانت
عشيقة هذا العفريت ولكنه لا يستطيع أن يبوح بشيء لأن هذا

العفريت شريف ، ولولا أن الشيخ حامل للقرآن الكريم لركبه
العفريت ، وآذاه في بنته تفيدة ..

ان ما يلقاه الشيخ من استهزاء الناس بعطف المشرف الزراعي
على ابنته تفيدة ، ليس الا أذى من العفريت لأن الشيخ منذ
سنوات باح بشيء يسير من السر الخطير !!

وكان توفيق حسنين قد ورث من أبيه ثلاثة فدادين .. زرعا
بنفسه واستعمل فيها عددا من الأجراء في القرية .. وقد شب وهو
يسمع حكايات عن أبيه وأمه ..

وكان أبوه على صداقة بالبك .. رزق .. وكان أحيانا يأخذ
زوجته ، ويزور رزق بك هذا .. يدخل حسنين الى منظره الرجال،
ويترك زوجته الصغيرة السمينة الشقراء لرزق بك يقودها الى
مكان الحریم لتؤنس زوجته .. وأحيانا كان رزق بك يترك حسنين
وحده ساعة أو أكثر ثم يعود اليه معتذرا لأن النساء عطلنه في مكان
الحریم ..

وعندما قال أحد الرجال مرة لحسنين أن رزق بك هذا غير
متزوج ، هاج ولعن القرية وغبائها وحقدتها عليه .. فرزق بك
نفسه هو الذي قال له انه متزوج من سيدة تركية بنت أكابر وأنه
يخبئها في بيته ولا أحد يراها حتى الخدم وهي منذ دخلت قصره
لم تر الشارع .. وعلى أية حال فبعض الناس في القرية يقسمون
أن الست أم توفيق ، لم تهرب مع الضابط ولم تهرب الى القاهرة

وانما تقيم في قصر رزق بك ولا ترى الشارع .. وبعضهم يقولون ان في توفيق شيئا كبيرا من رزق بك .. طوله ، ونفس الوجه المستدير ، والشارب الأصفر والأنف الأفطس الاحمر .. وحتى حجم جسمه الربعة المكتنز ، وعيناه الزرقاوان ، وكل شراسة القبط البرى التى ركبت في الاثنين .. ولكن الشيخ طلبة أقسم للناس أن الولد طلع لأمه !!

وعلى أية حال فلم يعد أحد في القرية يذكر هذا كله .. ولكنى تذكرته فجأة عندما تعرفت على توفيق حسنين بصوته النحاسى الأقرع ، ووجهه المتحدى وهو يتحرش بابن عمى عبد العظيم .

— طيب ما تقول لى بس الوزير قال لك ايه .. بقى انت قابلت وزير فى مصر ؟ .. والله اللى يدور عليك يلاقيك لا قابلت وزير ولا غفير .. طب دا رزق بيه بجلالة قدره لو راح ما يعرفش يقابل حتى سكرتير وزير .. هم الوزرا فاضيين لبلدنا .. والا فاضيين يا عبد العظيم بيه .

— عبد العظيم بيه !؟ .. انت بتشد عليه المسخرة يا توفيق يا بو حسنين !؟ .. اسمع يا توفيق .. اقصر الشر يا توفيق بلا كتره .. انت برضه قدام دارنا وواجب على أكرمك .. الليلة تعرف كل حاجة فى الاجتماع بعد المغرب .. أنا حافوت على الأعضاء بنفسى واحد واحد .. روح انت لرزق بيه بتاعك يحضر الاجتماع .. اتفضل قهوة .

– رزق ييه يا جدع هو اللى يدعى للاجتماع مش أنت ..
الله .. هيه الميه تركب العالى .. يا خبر يا عبد العظيم ..

– البيه بتاعك ده مش هوه العالى .. احنا العالى بتوفيق
.. فوق بقى .. الفلاح هو ال ..

ومرت فتاة فى ثياب مزركشة .. سمراء قانية الأنف ، واسعة
العينين .. مليئة ، متوسطة الطول ، بارزة الصدر على نحو
ملحوظ ، وعلى وجهها راحة هادئة .. فى وجهها وكل بدنها هيئة
أثنى تطعم فى سلام لتمتع فى رضا .. وفاجأتنى بالسلام ، ومالت
على يدي فقبلتها .. وشعرت للمس شفيتها على ظهر يدي بدفء
ودسم .. وتطلعت فيها مرة أخرى فوجدت وجهها رائقا صافى
البشرة مستريحا كأنه لم يحمل هما أبدا .. وعادت تسلم على :

– نورت البلد .. ازيك يا سيدنا البيه ..

وسلمت على عبد العظيم وهى منتصبه القامة متخايلة بقوامها
وصدرها :

– حمد الله عالسلامة يا سى عبد العظيم .. قرئت لنا الفاتحة
فى الحنفى عند أهل البيت .. شى لله يا سلطان يا حنفى شى الله
يا أهل البيت يا أسيادنا يا أهل البيت ..

من هذه ؟ لا عهد لى فى القرية بمثل هذه الراحة المطمئنة على
الوجوه .. وهذا الامتلاء كله ؟! أأأكل عسلا وقشدة وتعيش
بلا عمل ؟!

وقبل أن أسأل عن أسها التفت توفيق الى عبد العظيم ورد
عليه بتأق وحدة :

— انت حاتوعظنى .. حاتفهنى فى الفلاح ، طب سلام عليكم
.. ولنا كلام فى الاجتماع ..

ثم التفت الى الفتاة وهى تتحرك :

— استنى يا تفيدة .. انت جايه مين ؟

— من عند البية المشرف ..

كان صوتها مفعما بحرارة خاصة ، خفيفا ، جسورا مع ذلك .

— رزق بيه هناك ؟ ..

— أيوه .. سبتهم مع أبويا .

وقال عبد العظيم :

— ازى سيدنا الشيخ طلبه .. والله له وحشة !

— يوه .. على يومين يا سى عبد العظيم ..

وضحكت ..

تفيدة هذه كانت منذ عشرة أعوام طفلة يسحبها أبوها وهو
يقرا القرآن كل صباح فى دور الميسورين .. وتفرح بما تأخذ
من خبز القمح .. رأيتها أكثر من مرة منذ عشرة أعوام فى صيف
عام ١٩٥٥ ، واستوقفنى منها جمال عينيها الطفلتين والبراءة الموحية
فى وجهها .. ثم نهما الشديد فى الأكل .. لم أرها أبدا الا وهى

تقضم رغيفا من خبز القمح الطرى .. وأبوها يزجرها ان تبقى له
شيئا من خبز القمح وتأكل هى خبز الذرة فأسنانها تقوى عليه ..
وانصرفت تفيدة .. وانصرف وراءها توفيق حسنين وهو
يقول بصوت مرتفع :

— طب الحقى اليه قبل ما يروح عزبته .. الحقيه عند البيه
المشرف يا تفيدة .. قولى له يشرف اجتماع اللجنة بعد صلاة
المغرب ..

ثم ضحك :

— سى عبد العظيم هو اللى عامل الاجتماع •

ومشت تفيدة تتأود فى حذر ، خوفا من أن تنزلق فى الطريق
الملء بالطين .. وشدت جلبابها الملون وهى تعبر بركة صغيرة
تخلفت من المطر .. وبانت ساقاها .. جميلتان ناصعتان ..
وسرت الى بيتى ، وعبد العظيم يتابعها بنظراته وهو يقول
بصوت مرتفع ضاحك :

— ما تلبسى يا بت فوق الركبة زى بتوع مصر ما دام ماشية
تقصى زيهم كده .. ما اللى بيلبسوا فوق الركبة دول زيك ..
والله تنطلى فيها .. اكل ومرعى وقلة صنعة يا عجر •

ظلت القرية أربعة أيام تنتظر أن تجتمع لجنتها ولكن بلا فائدة ! ..

قال لها رزق انه لا يستطيع أن يغامر بفرسه الأصيل ويخوض به البرك والأوحال التي خلفتها الأمطار .. اردمى البرك يا بلد وأنا تحت أمرك .. عندكم تبين كثير يا أهل البلد .. ارموه في طرقات القرية ليستطيع حصانى أن يسير آمنا ..

يا سلام يا رزق بيه ! .. نرمى خير البلد ليمشى عليه حصانك ! ولا الوالى التركى فى زمانه !! يا رجل ! اخز الشيطان .. انت أمين لجنة الاتحاد الاشتراكى ورئيس الجمعية التعاونية وبيتك العامر على الطريق الزراعى فى مدخل البلد وما بينه وبين مقر اللجنة والجمعية الا مائة خطوة بالعدد .. يا رجل اخز الشيطان فأنت المسئول الأول ..

ولانى المسئول الأول يا بلد فأنا لا أقبل أن أدعى الى اجتماع لم أحده أنا .. أنا الذى يدعو الى الاجتماع .. أنا المسئول ولا أرى داعيا للاجتماع الآن افهمى يا بلد .. افهموا يا ناس .. افهموا ان الاجتماع الذى قرر ارسال عبد العظيم الى القاهرة باطل ، وكل قراراته باطلة .. أنا لا أعترف بها ، ولن أحضر اجتماعا يحكى فيه عبد العظيم نتائج رحلته فى القاهرة ، فهذه الرحلة غير معترف بها ، ومقابلاته غير قائمة بالنسبة لى .. انتهى .. من يعجبه كلامى فهو حبيبي ، ومن لم يعجبه فليشرب من البحر أو من ماء البرك .. !

يا رجل .. ما مسألة الاعتراف وعدم الاعتراف هذه ؟ ..
عبد العظيم سافر يومين ورجع .. عاد بنتيجة طيبة ، ولكنه لا يريد
أن يتكلم الا في الاجتماع .. وأنت في أول الأمر ما قلت أنك ممتنع
لأنك لا تعترف باجتماع سابق أو لا تعترف بسفر عبد العظيم ! بل
اعتذرت بالمطر وبرك الطريق والأحوال .. والشمس تضرب
الارض بحرارتها المفاجئة منذ أربعة أيام .. جفت الطرق والبرك
ولا أحوال .. لا أحوال غير التي تريد أن تصنعها أنت وتغرس
فيها البلد لشوشتها .. اخز الشيطان يا رزق بك ، وتعال احضر
الاجتماع .. أنت لا تريد أن يدعو عبد العظيم للاجتماع لأنه
عضو لا غير .. يا سيدى ادعنا أنت للاجتماع يا سيدى وخلصنا .
ومر يوم خامس ورزق بك لا يريد أن يحضر الاجتماع أو أن
يدعو الى اجتماع .. وقد بدأ يضيق بمن يكلمه في الأمر ..

— خلاص بقى يا عم الشيخ طلبة .. أرجوك .. أنا مش
مستعد أسمع كلام تانى فى الموضوع ده .. ما الأصول ضاعت ا
ما خلاص ما بقيتش البيه بتاع زمان .. خلاص .. لكن ورحمة
أبويا لأعرف ازاي أربى العيال المشاغبين اللي طلوعوا لنا شيطانى
دول .. خلاص على قولة يا سيد رزق .. حتى قولة رزق بيه
مستكترينه على ..

— اهيه .. مهما يكن برضه المقامات محفوظة . ما بقيتش
البيه بتاع زمان ازاي ؟ .. دا اتم أسيادنا من قديم الأزل .. طب
قسما بالله دا المرحوم والدك عطا الله بيه لما كان يقعد فى الشكمة

اللى احنا قاعدين فيها قعدتك دى ، وشوف بيننا وبين الطريق
الزراعى قد ايه ما كان فيها أيها واحد يقوت على السراى راكب ..
كان أجعصها واحد ينزل من على ركوبته قبل السراى بياما ..
ويسحب الركوبة ويمشى قبل ما يقرب للسراى بمدة .. وسعادتك
برضه مقامك على قوى ومحفوظ قوى .. الأصول مرعية ياسعادة
البية .. غيرشى هيه بلد نجسة وكافرة وجاحدة .. دايرة ورا
شوية عيال كفره . لكن الأدب واجب عليهم برضه .. واجب عليهم
ما يخرجوش من طوع سعادتك .. دا اللى مالوش كبير يشتري
له كبير .. واحنا عندنا أسياد الناس من يوم ما فتحنا عيننا ..
نقوم نعصاهم .. ده حتى ربنا يقل بركة البلد .. الدين أمرنا
بطاعة كبرائنا ..

وشعر « رزق » بشيء من الراحة وهو يسمع الشيخ طلبه
يستنكر ما صنعه « عبد العظيم » فى حماس صادق ..
وأخرج عنبة سجائره الفضية ، فضغط عليها برشاقة ومدّها الى
الشيخ طلبه .

وهرول الشيخ طلبه منحنيا فسحب سيجارة من تحت الشريط
الذهبي الذى تجمعت تحته سجائر طويلة أمريكية .. ووضع
السيجارة فى فمه ضاحكا :

— هو كل يوم تدينى سيجارة من الحاجات الهاي لايف دى
.. ربنا يديم عليك عزه .. لكن مش مولعها .. خليها .. هى ..
هى .. خليها كده .. بركة ، حاجة من ريحة البهوات ! الله

يقطعك يا بلد .. ايه يا اخويا السيد رزق دى •
وعاد الشيخ طلبه يلم جلبابه الصوفى الفضفاض على جسده
النحيل .. كان جلبابا فاخرا نحلت بعض أطرافه .. خلعه عليه
« رزق » منذ شهور كما ألف كل عام .. وكان الجلباب واسعا
على الشيخ طلبه ، ولكنه كان سعيدا به يشعر للملمس قماشه الفاخر
على جسده بلذة العز ..

ومسح الشيخ طلبه وجهه الأسمر الذى تلفه لحية قصيرة
شيباء .. من تحت رأسه الذى تغطيه عمامة كبيرة شالها الأبيض
مغسول بعناية وقد شاع فيه لون الزهرة الزرقاء ..

كانت خدوده تبدو غائرة تحت عظام ناتئة تستند عليها عينان
واسعتان عكرتان .. لم يكن من الممكن لهذا الكيان الجاف
بالبدن النحيل الضاوى ، والوجه الاعمج ، أن ينجب فتاة ممتلئة
ريانة ، ترقص الحياة فى عينيها الواسعتين ، ويفيض جسدها الغض
الشهى بريح المتاع ! .. ولكنها مع ذلك هى كل ما يملكه هذا
الرجل فى دنياه .. تعود أن يصحبها دائما منذ ماتت أمها ..
وعندما كبرت وأصبحت أتى كاملة ، خاف أن يتركها فى البيت
وحدها .. والقرية - عنده - نجسة ، شبابها غيلان ، فحرص على
أن يصحبها فى كل مكان يقرأ فيه القرآن .. وهى الآن هنا عند
« رزق بك » تعمل فى الداخل ، وستخرج معه عندما ينصرف ..
أو عندما يريد أن يبعث بها قبله الى الدار لتهىء له الطعام ..
ستخرج محملة بزاد طيب ، فزوجة « رزق بك » سيدة طيبة تحب

تفيدة ولا تتركها تخرج من عندها أبدا بيد خالية .. «رزق بك»
متزوج الآن وله ذرية صالحة : بنت تدرس الآداب في القاهرة
وتقيم مع عمها « فرحات بك » في القاهرة وأربعة أولاد صغار
يركبون العربية الحنطور كل صباح الى مدارس عاصمة الاقليم ،
ويعودون مع العصر ..

وأخذ الشيخ طلبة يتأمل المكان من حوله .. شرفة البيت
الكبير هذه .. انه يذكر يوم بنى هذا البيت .. كانوا يسمونه
« السراى » .. كان البية الكبير قد أحضره وأمره أن يقرأ القرآن
حيث يوضع الأساس لتطرح البركة في البيت .. وهذا النخيل
الذى يحيط بالسراى .. لقد شهد هو زراعته ، وقرأ على كل
نخلة سورة صغيرة .. وأشجار الحور والكافور التى تتخلل
النخيل ، قرأ لها أيضا .

وشاهد البيت وهو يعلو حجرا بعدحجر ، حتى الطابق الثانى،
وهذه الأعمدة المرمرية ، جاءت بها السفن تشق البحر المالح من
إيطاليا ..

لكم تمر الأيام مسرعة !

لم يمض على هذا كله أكثر من خمسين عاما ! .. « رزق
بك » لم يكن قد ولد بعد .. كانت الست الكبيرة حاملا فيه ..
لا .. كانت حاملا في أخيه الأصغر فرحات بك ، كان رزق بك اذ
ذاك يجرى .. ويتعلق بكتف الشيخ طلبة وهو يقرأ القرآن ، ويقلد
حركاته ، ويركبه اذا انحنى للصلاة .. ياه .. خمسون عاما 114

كيف مرت بهذه السرعة؟! ..

بكم كان رطل اللحم أيامها يا شيخ طلبة؟! .. كم كان عمرك؟!
كنت جميل الصوت حسن الصورة .. كنت قد أعفيت من الجهادية
لأنك وحيد أمك وأبيك .. لا ، بل دفع البك الكبير لك البدل
لتبقى عنده تقرأ له القرآن .. كان يحب صوتك .. كنت في الثامنة
عشرة تماما .. يا سلام يا ولد يا طلبة .. كم جلجل صوتك هنا
طوال خمسين عاما تقرأ الموالد ، وترتل آيات القرآن في ليالي
رمضان .. في الشتاء في المنطرة الكبرى على يمين الداخل ، وفي
ليالي الصيف هنا في هذه الشرفة الواسعة .. البك الكبير يجلس
هنا في الصدر على الكرسي الضخم الذي جلبه مع الأثاث عبر
البحر المالح من إيطاليا .. الكرسي نفسه الذي يقعد عليه الآن
« رزق بك » وانت على الدكة الخشبية التي يجلس عليها الآن
عبد المقصود ناظر المدرسة الابتدائية .. رجل لا يحبك عبد المقصود
هذا .. أمامك يتفلسف .. هو يفهم القرآن بطريقة غريبة ..
كلامك الآن لا يعجبه .. فيا طالما قال لك أن الناس أسياذ أنفسهم
وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان لا يجب أن يقول له أحد
سيدنا .. المصطفى عليه السلام وأفضل صلاة .. سيدنا محمد ..
كان لا يجب أن يقول عنه أحد سيدنا؟! .. من أين جئت بهذا
الكلام ياسي عبد المقصود؟! .. بلد كفر ، حتى الذين قرأوا
القرآن فيها كفر ! ..

أنت تنظر الى بعين ثعبان أو وحش كاسر .. كأنك تريد أن

تأكلنى يا سى عبد المقصود .. طبعاً كلامى لا يعجبك، لا يعجبك؟! والله
عال! .. أنا يا ابنى اقرأ القرآن ولى سمعة وأنت فى بطن أمك .. الناس
تسألنى الرأى والفتوى وأنت فى بطن أمك ، وأبوك الله يرحمه فى
بطن أمه .. انت ابن متى ؟ .. ابن ثلاثين .. خمسة وثلاثين سنة،
وتفهم الدين أحسن منى .. وتحرجنى وتغيظنى كلما تكلمت ..!
الحمد لله انك ساكت .. بلد كفرة .. مالك تتنحج .. لا توبخنى
يا ولد ، اياك أن توبخنى .. انت ولدك وأبوك ولد وأنا ما ناديت
المرحوم والدك الا بياولد .. ولكن الحمد لله .. عبد المقصود
لا يريد أن يتكلم .. ظلمت الرجل .. استغفر الله من الظلم ومن
كل ذنب عظيم .. ولكنك يا عبد المقصود أخذت مكانى فى الجامع
.. تخطب بدلا منى وتتركنى كالشحاذ أتناول أجر الخطابة بلا
خطابة ! .. أنت لا تقرأ من الكتب التى ورثناها من عاشر جد
ولكنك تقول كلاما من عندك .. الله يلعنك ! ..

وجاءت تفيدة من الداخل تحمل صينية القهوة ، واتجهت
الى توفيق حسنين ، فقدمت له القهوة أولا .. يامضروبة مالك
وابن حسنين .. ابن العفريت؟! لأنه أشقر الشارب أبيض الوجه
شكل البية رزق؟ انه ابن عفريت ! .. اتجهى الى الأفندى أولا
.. فوالله ما يجدر بك غير عبد المقصود .. اختاروا لبناتكم فان
العرق دساس ..

ولكن عبد المقصود لا يرفع عينيه .. عمى فى عينيك يا رجل،
تأمل .. والتأمل فى الخطبة حلال بل وواجب .. مافى البلد كلها

من ينفك مثلها .. ربيتها على اللحم والخبز الطرى وطيبات الست
حرم « رزق بك » .. خذها على امرأتك .. وانكحوا ما طاب لكم
من النساء مثنى وثلاث ورباع ..

ولم تكذ تفيذة تستدير حتى رفع عبد المقصود عينيه وتابعها
حتى دخلت ..

– ياعم الشيخ طلبة ما خسارة تفيذة تسيبها كده .. أرسلها
يا أخى لفصول محو الأمية .. البنت كبرت وهى جاهلة ..
أرسلها تتعلم ..

وقاطعه الشيخ طلبة :

– أرسلها ايه ياسى عبد المقصود .. أرسلها .. ربنا يرسل
عليك مصيبة .. أبعثها فى وسط الشحوظة بالليل تتعلم ، ربنا
ما قالشى كده ..

– لأ قال بس انت مش فاهم .. على كل حال أحسن لها من
الوضع ده ..

وتدخل رزق بك بحسم :

– فضونا من المناقشات الفاضية دى ..

فزمجر الشيخ طلبة :

– والله البلد خسرت .. البنت من دول تبقى فائرة وتعمر
دار وتخرج بالليل تنحشر وسط الرجالة فى فصول الهباب محو
الأمية .. والصبح تلقى الزراعية مبدورة بنات وصبيان رايحين
المدرسة الثانوى فى المحافظة وينحشروا مع بعض فى العريبات

الكبيرة .. البلد خسرت .. قال ايش حرر النساء .. بعد الرجال
عنهم ..

وضحك عبد المقصود :

— الله .. حاسب ياعم الشيخ طلبة ، دا بنت السيد رزق في
كلية الآداب بتدرس مع الشباب جنبنا الى جنب ..
وامتعضى « رزق » :

— بنت مين ؟ .. السيد رزق ده مين ؟؟

وضحك عبد المقصود :

— سيادتك يعنى .. رزق بيه .. ولا يهك ا .. المهم أن

الشيخ طلبة ..

واحتد الشيخ طلبة مقاطعا :

— اسمع يا عبد المقصود بلاش مناقرة ويايا .. دهدي ..

انت جاى هنا على الصبح تناقرنى .. واقفلى على الغلطة .. ده
يا أخى من حفر حفرة لأخيه وقع فيها .. والمؤمن للمؤمن كالبنيان
يشد بعضه بعضا يقوم يبقى مرصوص .. مش المؤمن يشتهى غلط
المؤمن .. انت جاى يعنى تناكفنى وتزرزرنى وتهزل مقامى .. هو
أنا يعنى ما اعرفش أكلم .. والا باخبط فى الكلام .. علشان يعنى
ما انت بتخطب بدالى خطبة الجمعة تقوم تقل أنستك عليه ..
دا حتى خطبك حرام .

وابتسم عبد المقصود فى هدوء :

— لا ياعم الشيخ طلبة أنا جاى أقنع السيد رزق يحدد موعد

لا اجتماع لجنة الاتحاد الاشتراكي .. لا أنا جاي أخرجك ولا حاجة
أستغفر الله .. انت برضه قريرتنا في الكتاب .

واحتد رزق :

— أنا خلاص يا عبد المقصود بيه .. ماليش دعوة باجتماعات .
— العفو أنا مش بيه .. ما خلاص الا لقب الفيت من زمان .
— لأ لأ .. ما اتم بهوات الزمن ده ..
وضحك :

— ما فيش لا بهوات ولا أفندية .. كلنا السيد ..
كلنا سادة ..

وضحك توفيق حسنين وضج ضاحكا في تبذل وهو يهز
رأسه فتهتز ذقنه المتكرشة :

— سادة !؟ .. لأ .. سكر زيادة .

ولم يضحك أحد ، وشعر الشيخ طلبه بأن توفيق هذا
ثقيل .. هكذا كان حسنين أبوه .. ولو أن أبا توفيق الحقيقي
كان عفريتاً ..

وامتعض عبد المقصود ، وضحكات توفيق حسنين تجلجل ..
وأخذ عبد المقصود يتأمل توفيق حسنين كأنه يكتشف لأول
مرة أنه ثقيل الظل ، ولكنه عبره بنظرة ازدراء وعاد يحدث
رزق :

— امتى ياترى سيادتك تحدد موعد الاجتماع ، لأن الموضوع
هام جدا .

– خلاص .. مافيش اجتماع للجنة الاتحاد .. أنا الأمين .. أنا قررت وقف الاجتماعات .. واللى عاوز يجتمع يتحمل هو مسئولية عمل اجتماع غير قانونى ..
– ليه .. لماذا .. يعنى .. ولتى ..
– ماذا ؟ .. مافيش لا ماذا ولا متى .. الاجتماعات موقوفة
وخلص ..

وضحك عبد المقصود بهدوء :

– يعنى لأجل غير مسمى !

– خللوا عبد العظيم يروح مصر يكلمهم يأمرونى بعمل اجتماع ..

وقال عبد المقصود بهدوء :

– الحكاية مش محتاجة ، تفاهم هنا أحسن .. طيب عاوزين اجتماع جمعية عمومية للجمعية التعاونية ..
وصرخ رزق :

– جمعية عمومية .. ليه .. علشان تقولوا عليه رجعى واقطاعى ؟ يا أخى أنا طول عمرى ضد الأمير ..

– لا .. لمناقشة مسائل هامة .. ولعمل انتخابات جديدة ..

– المجلس الموجود لسه قدامه سنة .. واذكروا أن عيلتى

كانت دايمًا ضد البرنس .. انتم نسيتم مواقف المرحوم والدى ؟

– والله الجمعية العمومية تملك سحب الثقة من مجلس الإدارة

وتملك عمل انتخابات جديدة .. القاعدة الشعبية عاوزه كده ..

ماناش دعوة بقى بحكاية الأمير .. ما الثورة صفتة من قيمة ١٣ سنة
سنة وملكت أرضه للفلاحين .. احنا فى ظروف ثانية وبواجه أعداء
آخرين .. دلوقت القاعدة الشعبية - وهى السلطة الحقيقية -
عاوزه تحاسب المجلس على بعض تصرفات وتعمل انتخابات
جديدة .. يعنى .. لكى .. لكى تتخلص من بعض المنحرفين .
واحمر وجه « رزق » وانتفض واقفا بجسده المكتنز ،
وارتعث جلبابه الكشمير الفاخر ، ونفضت عروق جبهته الناصعة
ورقبته السمينة .. وصاح بأعلى صوته :

- اخرس .. اخرس .. انت عارف انت واقف فين وبتكلم
مين ؟! ..

وأقبلت تفيدة مسرعة من الداخل فوققت فى فتحة الباب ..
وأقبلت السيدة زوجة رزق فوققت وأسندت رأسها على مصراع
الباب .. واندفع رزق يقول :

- أنا لا أسمح تقول فى بيتى كلمة منحرفين دى .. قاعدين
تقولوا السيد رزق وبالعها لكم من زمان .. وتطور وزفت وزحف
ثورى وهباب وقاعدة شعبية .. وبالغ لكم الكلام اللى لا أنا فاهم
أوله من آخره .. وكمان جاى فى بيتى تقول منحرفين .. فيه
منحرفين فى مجلس الادارة ، والا فى الاتحاد فيه حد عنده شذوذ؟!
المنحرف ده يعنى عنده شذوذ جنسى ، مين بقى هنا عنده
شذوذ ؟ ..

وأجاب عبد المقصود بهدوء :

— شذوذ؟ .. شذوذ آيه .. أقعد بس واستهدا بالله كله ،
وما فيش داعى للكلام اللى مالوش لازمة .. انت يعنى أولا بصفتك
أمين اللجنة ورئيس الجمعية عارف من هو المنحرف ..
وقام الشيخ طلبة فاتجه الى عبد المقصود •

— الهى يحرفوك على القبلة وأصلى أنا عليك صلاة الأموات
يا شيخ .. منحرفون يا جاهل يعنى الذين يعبدون الله على حرف
.. فيه حد هنا بيعبد الله على حرف ؟ .. أهو انت •
وحاول توفيق حسنين أن يتدخل فى المناقشة ولكنه لم يجد
ما يقوله .. غير أنه وقف متمسحا برزق :

— اتفضل ياسعادة البيه ، أقعد يارزق بيه ، البلد كلها
برجالتها بعيالها بنسوانها بأحسن ما فيها ، والله ما تستاهل زعلك ..
ماتستاهلشى الوقفة دى .. اتفضل أقعد مطرحك ياسعادة البيه
داللى تقوله يكون •

ووقف عبد المقصود قائلًا بهدوء :

— الطريقة دى فى المناقشة لاتليق بوحدة أو بجماعة قيادية
فى القرية ..

وارتفع صوت تفيده :

— ماتقولوا كلام تفهمه ، بقى ياسى عبد المقصود •

فرد عبد المقصود بهدوء :

— ما هو لازم تتعلمى وتغيرى طريقة حياتك علشان تفهمى •
وزعق رزق :

— خشى يا بت يا تفيدة مالكيث حشرة وسط الرجالة
ووقت تلوح بيديها :

— هم منكادين من سعادتك ليه ، انت والبيه المشرف ••
دا انت خيرك على البلد •• والبيه المشرف راجل ايده سخية وقلبه
أبيض •• يا ناس يا للى ما يتمرش فيكم ، منكادين ليه من البيه
رزق ؟ •• يا بلد جاحدة •

وقال الشيخ طلبة هاشا بعصاه :

— خشى يا بت جوهر •• اسمعى كلام البيه •• هس اسكتى ••
ودخلت تفيدة وزوجة رزق وغابتا فى الداخل بينما عاد
عبد المقصود يقعد فى مكانه ويقول فى هدوء :

— منحرف ياسيادة رئيس الجمعية التعاونية وأمين وحدة
الاتحاد الاشتراكى يعنى حاجة تانية غير المعنى اللى انت فهمته ••
منحرف يعنى خارج عن الخط الثورى ، عن الخط الاشتراكى ، عن
طريق التعاون ••

وسيطر الغيظ على رزق فلم يستطع أن يرد •• ماذا يقول
لهذا الرجل ذى اللسان القارع الجاف الذى يحدثه بهدوء بارد
ويوجه اليه اهانات خفية • كم من أشياء تغيرت خلال هذه الثلاثة
عشر عاما •• !!

عبد المقصود هذا كان أبوه لا يستطيع أن يقعد في الشرفة
يارزق .. كان يعمل عندكم باليومية .. كان يقعد بعيدا على
أرض الحديقة فاذا ضغطت عليه ، جلس القرفصاء على بلاط
الشرفة ، أو قعد دون أن تمس مؤخرته الأرض متكئا على قدميه
ويداه على ركبتيه كما يعذب المذنبون في سجن المركز .. وهاهو
ذا ابنه يجادلك ويحرجك ويوجه اليك ألفاظا غريبة ويستعمل
تراكيب من الكلمات يعرف انك تكرهها ! .. ولكن ماذا تقول !؟
ولى زمان أيبك وزمانك .. يجب أن تصبر على هؤلاء الناس
لكيلا يقال عنك اقطاعى أو رجعى .. ولكنك لا تملك أكثر من
سبعة عشر فدانا لاتستغل فيها أحدا ، فقد زرعها حديقة للمواالح
منذ زمن .. وما عاد لكم أرض في القرية .. أخوك فرحات بك
باع أرضه واشترى بثمنها عمارة في القاهرة ، وأخواتك البنات
السبع تزوجن من زمن .. وباع أزواجهن الأرض وانتشروا في
الاسكندرية وأسيوط والقاهرة .. وأنت لا تعرف بعد ماذا صنع
الله بهذه الأموال .. تشتت العائلة الكبيرة ، حتى أخوك فرحات
بك لا يكاد يجيء الى القرية .. انه مشغول جدا في القاهرة
بوظيفته الكبيرة التى يشغلها .. كان الله فى عونہ وجازاه خيرا
فهو يؤوى بنتك عليات وسيرعاها طول دراستها للاداب فى جامعة
القاهرة .. له الشكر .. ربما لم تخرج عليات من بيته فابنه
ماجد فى السنة الثالثة فى كلية العلوم .. وعينه على البنت ..
انه يكبرها بعامين فقط .. فى السن والدراسة .. زواج بديع

لو تم .. ولكنها ستقيم هي الأخرى في القاهرة أو في أى مكان
آخر .. حتى أولادك الأربعة الصبيان مصيرهم الى القاهرة ..
سيهجرون البلد .. لا عزوة لك هنا بعد .. انت وحدك هنا ..
أعمامك وأولاد أعمامك في القيوم .. وسينقطع جذرك يوم يكبر
أولادك ويتفرقون وتموت أنت .. ماذا سيقى لهم ؟ .. سبعة
عشر فدانا لبنت وأربعة صبيان؟! كان أبوك يملك أكثر من مائتى
فدان ، اغتصب الأمير منها مائة .. اشتراها قسرا ، ومات أبوك
عن نحو مائة أخرى .. فماذا بقى لك ؟ .. هذه السبعة عشر ؟ ..
يجب يارزق أن تشتري أرضا باسم الأولاد ، لكل منهم عشرين
فدانا على الأقل .. فالهديقة الكبيرة تمنحك ثلاثة آلاف جنيه
في العام لاتنفق منها خمسمائة ، والمشرف الزراعى يسهل لك
الخدمات ، شكرا له .. ولكنك تزرع أرضا أخرى بفضل
المشرف ..

ايه .. لا تفكر في الخدمات التى يقدمها لك .. أمن أجل
هذا ثار عبد العظيم والأولاد المشاغبون وشجعهم عبد المقصود
وأمثاله!؟

وجاء عبد المقصود الآن يتحدثك فى المكان الذى شهد مجد
أبيك ، ومجدك .. المكان نفسه الذى لم يكن يجرؤ أبو عبد المقصود
أن يقترب منه الا ارتعد من الرهبة والاحترام .. لو كان عمدة
البلد حاسما لعرف كيف يربى الناس .. ولكنه رجل طيب ! ..
لكم شهدت هذه الشرفة يارزق من رجال عظام جاءوا أيام

أبيك واصطف هنا جنود يرفعون أيديهم بالتحية لك وانت صغير .. حتى فرحات أخوك الصغير ، دعا المستشارين مرة الى هذا البيت عندما كان طالبا في كلية الحقوق .. كان قد خطب ابنة أحد مستشاري الدائرة الجنائية ، فدعاهم وتناولوا القهوة في هذا المكان بالذات ، وجاء معهم المدير .. الباشا المدير ! .. لم يكن هذا من أجل أبيك البك الكبير .. كان اذ ذاك قد مات .. ولكن من أجل فرحات ومن أجلك ! .. زمن !

ثم جاء الزمن الذي تشهد فيه هذه الشرفة كلمات عبد المقصود ، وينادونك فيها ياسيد رزق .. سيد رزق ، هكذا يارزق .. أين العمدة ليؤدبهم .. ولكنه دائما مع أوامر الحكومة ..

وتهد رزق وقال بنبرة خاصة جارحة وهو ينظر الى عبد المقصود :

— الحتة دى ياما شافت .. الله يرحم والدك يا عبدالمقصود
يه ..

فضحك توفيق حسنين والشيخ طلبة ، وصفق الشيخ طلبة طربا من الذكريات :

— أى نعم .. شافت بهوات وباشوات وقضاة ومدريون ..
و .. و .. القصد بقى ، دنيا ، وآهى شافت جمصة عبدالمقصود ..
ولا جمصة ميت فدان !

ونفض عبد المقصود مسرعا فى ضيق :

– طب استأذن أنا بقى .. واحنا سندبر مسألة الاجتماعات
بطرقنا الخاصة القانونية .. ماهو لايمكن حد يتحدى ارادة
القاعدة الشعبية .. لا بالسخرية ولا التهديدات .. ولا مناورات ،
ولا تحكّم ، ولا ذكريات ، ولا أى شىء كان .. سلام عليكم ،
موعدنا الاجتماع ، واللى تراه القاعدة هو اللى يمشى ، واللى
يعمله ربنا بقى هو اللى يكون .. موعدنا الاجتماع ..
وشيعه رزق بنظرة ، وهو يقول ساخرا :

– موعدنا؟! طب يا سيدى .. موعدنا مرج دابق .. هى
حرب؟ عال .. بيقول لى موعدنا؟! طيب يا سى موعدنا .. طيب
ياسى قاعدة !

ومشى عبد المقصود فى صمت ..
ورزق يشعل سيجارة من سيجارة وينحى بيده توفيق حسنين
الذى كان قد أسرع ليشعل له السيجارة الجديدة .
وطوح ببقية السيجارة بأقصى عنف وراء عبدالمقصودالذى
كان فى غضبه يخرج من باب الحديقة ويتجه الى القرية .
بينما كان فلاح صغير يدخل من باب الحديقة ويتجه فى حرج
الى رزق .. كان الفلاح يضطرم من الغيظ ويحك شاربه الجديد
الذى لم يثقل بعد .. ويجبك الطاقة على رأسه ، ويضرب طوب
الأرض بأقدامه الحافية .. واندفع على الشرفة زاعقا :
– السلام عليكم ..

ولم يرد عليه غير الشيخ طلبة ، وقال له توفيق حسنين :
— مالك مدخن كده .. عاوز ايه .. جاى منين .. البيه
المشرف ضربك ؟ ..

ولم يرد على توفيق .. وخرجت « تفيدة » لتحمل صينية
القهوة الفارغة ، واذ لمحت الفلاح الصغير زعقت فيه :
— واد يا سالم .. ينيلك .. انت كمان جاى ورايا لحد هنا،
سايب أرضك اللى واخذها من الاصلاح وجاى ورايا لحد هنا ..
سايب البيه المشرف ؟ ..

فقال الشيخ طلبة متعجبا :
— هو يابت يجرى وراك ؟!

وضاح سالم :

— يا شيخه اتلقى .. جالك الغم ياتفيدة يابت أبويا الشيخ
طلبة .. هى .. جاى وراك قال ؟! .. البيه المشرف قال ؟! طب
وايمان المسلمين دا ماخلاش حاجة لوكيل دايرة البرنس .. دا
ختمنى على ورقة زور ..

ورمى رزق بالسيجارة فى وجه سالم صائحا :

— اخرس يا ولد .. امشى بره .. غور !

وقال الشيخ طلبة :

— تقول على البيه المشرف بيزور ؟! بقى بعد ما أكلك
لحمة .. تقول عليه كلمة غليضة زى دى .. والله ما أنا عاتقك
عن ضرب المركوب .. بقى دا جزاة الاحسان ؟! يا أخى ماجزاء

الاحسان الا الاحسان .. آه يابلد جاحدة .. دا انت كنت مش
لاقي اللضا .. اسمك معدم .. بقى كده بعد ماكلت اللحمه
واشتغلت فى العيش الطرى .. دا المنصور أبوك الله يججمه كان
يشوف اللحمه ينطرب !

وضحك توفيق متشفيا ..

وانفجر سالم :

– استنى بقى يابا الشيخ طلبه هو ده وقته ..

واستمر الشيخ طلبه :

– وبتجرى ورا البت تفيدة ليه ؟ .. علشان ماركبت لك
فدانين فى أرض الاصلاح يعنى فاكر انك تنفع لها .. والله لوركبت
عشر فدادين .. برضه انت مش من مقامها .. اياك يركبوك عشر
عفاريت .. دا انت فى حال الأصل معدم .

وقال سالم بضيق :

– دهدى .. ما انت كمان معدم؟! .. ما تصلى عالنبى

بقى وخلينا فى المهم .. قول لنا بقى يا ..

واتجه الى « رزق » واحترار كيف يناديه فعدل عن مناداته

واستمر يقول :

– ماهو انت تشوف لك تسريفه بقى فى المشرف ده ..

اتصرف معاه بقى .. يارزق ب ..

وعاودته الحيرة .. عبد العظيم طلب منه ألا ينادى أحدا

بكلمة بك ، وكذلك عبد المقصود .. و « رزق » يغضب من
كلمة السيد رزق .. ما العمل ؟ ..

وصاح سالم :

— دهدي .. دا ايه الدوخة دي ؟ .. شوف حل بقي

يا سي رزق !

وهب رزق بغتة في غضب هائل وكل بدنه يرتعش :

— انت بتقول لى ايه؟! سي رزق؟ هي حصلت .. أنا كنت

العرجي بتاع أبوك .. سي رزق؟ .. هي حصلت الخدامين

وأولاد الخدامين بتوعنا كمان؟! هات الكرباج يابنت يا تفيدة ..

ياولد .. بت ياتفيدة هاتي كرباج الخيل من الاسطبل .. ياولد،

يابنت .. أربطه ياتوفيق على شجرة ، لأ على النخلة !

ومضى توفيق حسنين يدفع سالم الى أقرب نخلة .. وخلع

الحزام التيل الذي كان سالم يشد به وسطه فأوثقه به الى النخلة

باحكام .. وسالم يقاوم ، ولكن بلا جدوى .

وعندما جاءت تفيدة بالسوط الطويل المجدول بسلك نحاسي

غليظ .. تقدمت زوجة رزق من الداخل حتى هبطت درجات

الشرفة متوسلة وهي تمسك السوط من يد تفيدة :

— على مهلك يارزق .. حاسب ! موته بس ماتزعلشى

تفسك .. أولادك عاوزينك .. النرفة وحشة علشانك ..

أولادك عاوزينك .. خللى توفيق يضربه لك .. والنبي يا رزق

يه ماترفز نفسك .. ده كلب مايستحقش زعلك .. حاسب على
نفسك .. صحتك ياسيدى ..

وشد منها رزق السوط بعنف وهو ينحيها :

— اتفضلى اتى ياهانم .. ادخلى .. بلاش تقفى كده.

بقيص النوم والروب دى شامبر ..

ولكنها لم تدخل .. ووقفت بقيص النوم من تحت معطفه

منزلى من المخمل الوردى .. دقيقة التكوين كأنها لم تلد خمسة

أولاد .. والجزع يغمر وجهها المستدير الجميل الطفل .. وهى

مع ذلك فى نحو الأربعين *

وانقض رزق بكل غيظه الذى كظمه طوال خمسة أيام ،

وربما ثلاثة عشر عاما ، يضرب « سالم » بالسوط ، وسالم ينظر

إليه فى صمت ، عيناه صامدتان ، ووجهه معذب ، وشفتاه

المضمومتان تحت شاربه الجديد تبسمان فى سخرية :

ورزق يصرخ وهو يضرب .. وسالم مازال يتسهم ..

وصاح رزق :

— قل حرمت .. انطق .. قل حرمت

— ما ناقص تقول لى قل أنا مره !

وعاد رزق يضرب من جديد ..

وهرول الشيخ طلبة الى رزق فأمسك بيده :

— كفاية بقى ياسعادة البيه ، مابلاش من دى .. دى عمرها

ما جرت من أيام البرنس ، كفاية بقى يا سيدنا البيه .. ده البيه
الكبير المرحوم والدك عمره . ما عملها .

ورمى رزق السوط على وجه سالم واستدار فى اعياء :

— هو حد كان يقدر يعمل كده مع البيه الكبير ..

وقال الشيخ طلبه :

— العيال المشاغين مش حايضوتوها لنا .. والحكومة

معاهم .

وأخذه الشيخ طلبه من يده ، فاستسلم ، وأمسكت به امرأته

من الذراع الأخرى ، ووراءه تفيدة تربت على ظهره .. وهو

يعود الى الشرفة منهكا وتوفيق ينفك وثاق سالم ..

وقالت زوجة رزق لتفيدة :

— اعملى ليمونادة لسيدك البيه .

وعندما انطلق سالم كان وجهه يتقلص من الألم وهو

يمسح الجميع والقصر والنخل بنظرة صابرة معذبة ، متفائلة مع

ذلك ، ويتمتم :

— لك يوم يارزق .. ألعن من يوم الأمير ..

ونظرت تفيدة الى وجه المعذب الصابر ، وجسده الشامخ

الترنح .

واستدارت فى أسى وبدنها يهتز فى صمت ، وهى تكتم البكاء ..

يوم جميل رائع من أجمل أيام الدنيا .. لا بد أن آلاف
العشاق يتعاقبون الآن في حدائق اللكوسمبريج وبولونيا ، وعلى
ضفاف الفولجا ، وفي هايد بارك ، وعلى شواطئ استراليا ..
ورجال ونساء كثيرون قد نهضوا الآن في كل مكان من الأرض ،
يمارسون بهجة العمل والابداع ..

ومع ذلك فالصحف تحمل لنا أنباء غريبة عن أماكن مختلفة
من الأرض .. لحم الانسان يمزق بالديناميت في جنوب اليمن
المحتل .. انهم هناك يصوغون من وهج الدم الزكى فجر الحرية
.. ولكن أشلاء الانسان المتطلع المناضل في شرف ما زالت تدهسها
الأحذية الغليظة .. ومئات من الرجال يموتون على مهل في حفر
مظلمة تحت أرض النبي حيث مشت البطولات وعطرت التاريخ ،
وحيث ورثنا من الماضي أصواتا عظيمة تؤكد حق البشر في حياة
أفضل وأن الناس كلهم سواء ، لا فضل لأحد على غيره الا بعمله
وتقواه .. وتحت أقدام جبل الجليل حيث سار النبيون العظام
يشرون بالحق والحرية وأمن القلب ، وحيث بيع دم المسيح
بعشرين قطعة من الفضة ، يطرد شعب بأسره من أرضه وتستمر
الجريمة عاما بعد عام .. وضمير العصر نائم ! ..
وفي فيتنام أصبحت رءوس البشر تقطع بالسكين ، ويلدور

بها السفاحون في الأسواق يتسمون في زهو ، وفي أيديهم
رءوس ثوار ، مازال يقطر منها الدم ، وما زالت تتأجج فيها أحلام
العدالة والحرية .. حتى الوحوش لا تعرف هذا الزهو الآثم حين
تفترس ، ولا تملك كل هذه القدرة على الإبادة .. ولا هذه
الفرحة الهمجية حين ترى شعاع الحياة ينطفئ في عيون
الضحايا !!

ومع ذلك فما زال انسان هذا العصر يستطيع أن يأكل
ويشرب وينام ويستمتع وينطلق ويتسمم ويعشق النساء ..
وينظر في عيون الأطفال ! ..

الكلمات لم تعد تؤدي معناها .. فنحن بعد في حاجة الى
كلمات جديدة مشحونة تصعق وتضئ وتملك الجسارة على
مواجهة الفوضى والعار والجنون .. كلمات خلاقة تنقذ الانسانية
من العار وتشر الحب ، وتجعل السماء للحمامات البيض ،
لا لقاذفات الموت ، وتجعل الأرض عالما للمودات ، لا مصيدة
يقتنص فيها الجشع رءوس الحالمين والفقراء .

وهنا .. حتى هنا في قرنتي الآمنة .. يصلب سالم ! ..
وتأكل الشياطين كبرياءه ، وتمزق جسده الجديد الفتوة الذي
يتجدد ويستطيل ليعانق الحياة والأحلام وأشواق المستقبل ! ..
كل ما فيه يهدر وهو موثق الى جذع نخلة ، يضرب بالسوط الذي
يضرب به الحصان ! ..

قذفت بالصحف التي وصلتني ، واتنفضت واقفا وأنا أسمع

نفيدة تروى لى ما حدث أمس .. وهى تبكى وأبوها يقرأ فى
المنظرة البعيدة حصة الصباح من القرآن .

هناك شىء ما يجمع عبر الزمن بين الذين يعذبون فى أرض
النبي منذ قرون ، والذين تمزق لحومهم بالديناميت فى جنوب
اليمن ، ودم المسيح ، والذين تهتز رءوسهم فى أيدي السفاحين
بفيتنام ، والذين طردوا من أرضهم فى فلسطين .. وبين سالم
هذا الذى صلب بالأمس الى جذع نخلة ، وضرب بأداة ضرب
الحيوان !

وشىء ما يجمع بين كل الذين صنعوا العذاب .. شىء ما ،
غير انسانى ! ..

ماذا يريد « رزق » ؟! أن يسمن ويشبع ويعفى فى هدوء ،
أن تكون له الهيبة بلا كلمة وبلا اعتراض ! .. وهاهو ذا
« سالم » يسقط الهيبة فى براءة لأنه صدق أن رزق ليس فوق
الآخرين ، ولأنه رفض التزوير ، واحتج على الباطل .. أمن أجل
هذا يصلب ؟!

رزق يملك سبعة عشر فدانا .. ولكنه يركب عشرين فدانا
أخرى .. أخذها من المعدمين بعقود ايجار غير صحيحة سيق الى
التوقيع عليها أمثال سالم ! .. وهذا كله ضد القانون !
القانون ؟! يا للرنين الموحش الذى أصبح لهذه الكلمة عند
أمثال رزق !!

وهو يستخدم آلات الجمعية الزراعية فى خدمة أرضه

بالمجان .. فهي تعمل في أرضه ساعات طويلة .. ويوقع أمثال
سالم على أنها عملت في أرضهم هم .. ويحاسبون هم على
الأجر .. يستقطع منهم آخر كل عام ! .. وهكذا يوفر «رزق»
القروش ويكسب الجنيهاً .. وهذا كله ضد العدل !

ولكن هذا لن يجعل « رزق » يأكل فوق طاقة معدته ،
ولن يجعله يلبس فوق احتمال جسده ! انه يدخر المال .. المائة
بعد المائة .. ثم الألف بعد الألف .. والآلاف من الجنيهاً
تكسبه الهيئة والطمأنينة وتجعل من غده قلعة تحمي نفوذه الذي
يجب أن يمتد جيلاً بعد جيل .. وهذا كله ضد التاريخ .

وفي لحظات كنت أطرق باب رزق .. وصورته تتخيل أمامي
مختلطة بصور السفاحين الذين يحملون رءوس ضحاياهم
ويتباهون بها في الطرقات ، والذين يدفنون الناس أحياء في أرض
النبي .. الجشع يحركهم جميعاً .. كل بطريقته .. ولكن هذا
كله ضد منطق الحياة واندفاع الزمن !

وقبل أن أدخل وجدت تفيدة تسبقني الى الباب وهي تهمس
لي في ضراعة يلفحها الفزع ألا أقول لرزق بيه أنها حكمت لي
شيئاً .. فهي وأبوها يعيشان من خير البية ، والبيه لا يرحم ! ..
ولئن طردها هي وأباها ، فلن يجد الشيخ طلبة لقمة طرية كالتى
يجدها هنا .. ولن تجد هي بيتاً تشتغل فيه كهذا البيت .. فما
في القرية كلها دار فيها فائض عن حاجة أهلها .. انها ما حكمت
لي الا لأنها ظلت تبكى طول الليل كلما ألحت عليها صورة سالم

بعد أن فكوا وثاقه ، اذ حاول أن يمشى فلم يستطع ، وظل يتمرغ في الأرض ، وعيناه تائهتان تتأملان السماء وتنظران اليها ولا تقولان شيئا .. ولا هو يقول ا

سالم هذا زميل طفولتها .. كانا معا في الفصول الأولى من المدرسة الابتدائية ، ثم عملا معا في جمع الدودة من القطن ، ولعبا معا ، وبكيا معا حين كان يضربهما ملاحظ الأتقار .. وهو دائما عطوف حنون ، كم ساعدها في جنى القطن .. وكم بكى لها عندما كان يلسعها الملاحظ بعصاه الرفيعة في تنقية الدودة .. وهو بعد قد صار حاميا منذ وثبت بها الحياة الى الأنوثة منذ ثلاثة أعوام وهي في الثالثة عشرة ، وكان سالم في الخامسة عشرة ولقد ذهب مع أمه انصاف يخطبها من أبيها ولكن الشيخ طلبه رفض ..

ولم يغضب سالم فما زالت عينه على تقيدة ، وعشمه أن يرضى عنه الشيخ طلبه .. وتقيدة لاتعرف أهي تريده أم تفضل توفيق حسنين .. توفيق حسنين أغنى .. ولكنها لاتحب وجهه الأبيض السمين ، فقى رأيها أن البياض من صفات نساء البندر لا رجال القرية ! .. وهي على أية حال تكره طريقته في معاملتها .. انها تشعر كلما رآته بأنها أرنبه صغيرة أمام قط يرى .. وهو حين يكلمها يصبح طويل اليد ، يلوح بيده تجاه صدرها ويلمسه أحيانا ، وحين تنهره يغلظ لها أنه لمسه اغفوا وأنها لاتروق لأنها زرقاء ا ..

وأعدت أنا الطرق على باب رزق ولكن أحدا لم يرد ..
وأسرعت تفيدة الى الداخل وعادت تقول لى انه لا أحد هنا غير
الست .. وأن اليه سافر الى القاهرة هو والمشرف في أول ساعات
هذا الصباح .. والست تسألنى أن أدخل لأشرب القهوة
ولتحدثنى ! ..

كيف ؟ .. ما ألفنا أن ندخل الدور فى غيبة الرجال
وعادت تفيدة تستحلفنى الا أذكر شيئا عن موضوع سالم
للمست .

ولكنى لم أكن قد قررت بعد أن ادخل .. وتفيدة تعاود
استحلافى فى ضراعة ألا أذكر اسمها ان تحدثت فى الموضوع
مع الست ، ومن الخير على أية حال ألا أتحدث فى الموضوع الا
اذا كنت أسمعه من أحد غيرها .. فسالم مهما يكن حرصه على
كتمان الأمر ، فهو لن يكتمه طويلا ، ولا بد أن يسوح به
نعبد العظيم أو الاستاذ عبد المقصود .. والاستاذ عبد المقصود
ناظر المدرسة الابتدائية يحب سالم ويعجب به لأنه أنهى دروس
محو الأمية فى مدة قصيرة وكان الأول ..

وسألتنى بالمناسبة أن أقنع أباهما أن يتركها تذهب لفصول
محو الأمية ، فهى تريد أن تعرف العالم الغريب الذى تصنعه
الحروف والكلمات على الورق ..

تريد - كسالم - أن تعرف أسرار هذه الخطوط على الورق

وأن تعيش الدنيا التي تكمن وراء هذه الكلمات .. انها مازالت
تذكر فرحتها وهي في المدرسة عندما كانت تقرأ زرع ، خرج ، ولكن
أباها انتزعها من المدرسة بسرعة ..

كانت اذ ذاك جارة سالم على دكة واحدة في الفصل
وأقبل الشيخ طلبة مهرولا .. وكنت قد تركته في بيتي
يقرأ القرآن :

- واقفة توجعي دماغ البيه في ايه يا بت ؟ ..مالك ومال
البيه ؟ ١٤ ..

أنا أيضا .. بيه ؟! .. لا ياشيخ طلبة ! ..

وأجابته مضطربة :

- لا يا ابا .. دا كان جاي يقابل البيه رزق والبيه سافر
مصر هو والبيه المشرف ، والست عاوزه تتكلم معاه ..

وتقدم أمامي الشيخ طلبة وهو يشدني الى داخل باب
الحديقة الصغيرة :

- طب وواقف بره ليه .. الله .. اتفضل .. ده بيتك ..
يا ساتر .. يا أهل الله .. اتفضل يا سيدنا البيه .. باسم الله
الرحمن الرحيم .. يا ساتر .. اتفضل ..

وفي لحظات كنا في الشرفة التي تظلها أشجار الياسمين
وتمتد أمامها حديقة صغيرة مليئة بأشجار البرتقال والجوافة

والكمثرى والمانجو والخوخ والمشمش .. وأشجار زرعت بلا
عناية ، أمام القصر ذى الطابقين ، الذى يلتف حوله سور حجرى
كبير قديم ترتفع عليه أطراف حديدية مدبية يضم القصر والحديقة
الأمامية الصغيرة .. وحديقة شاسعة تستد من خلفه تبلغ سبعة
عشر فدانا قطعة واحدة .. فيها حديقة موالح متفوقة المحصول .
وطارت نحلة حطت على الشيخ طلبة .. فزق وهو يتأملها
يطاردها دبور :

– حوشوا النحل .. هو البيه يسافر من هنا وانتم تهملوا
من هنا .. شوفى يا بت يا تفيدة النحال فين .. تلاقيه روح .
كان فى الحديقة منحل كبير ، وخلف القصر مكان تربى فيه
بعض الماشية .. ومكان آخر تقوم فيه سيدة البيت على تربية
الدواجن ..

– هو رزق بيه عنده منحل ياشيخ طلبة ؟ ..

– عينك ما تشوف الا نور سيدنا النبى عليه الصلاة
والسلام .. تعال شوف كده .. منحل .. وفدان يربى فيه عجول ،
وشوية خضار معتبرين تحت السجر بطول الجنية .. وتكعية
ففى نفس القضية .. تقول الآيات : ١٣ ، ١٤ من سورة
سحة .. أى والله جنات من نخيل وأعناب ..
عنب من أعناب الجنة .. شوف يا سيدى نخيلا وعنبا ..

آه يا شيخ طلبة .. جعلته من أهل الجنة ! .. هناك أيضا
– ضمن النخيل – هذه النخلة التي صلب عليها سالم .. ما في
الجنة فقراء يصلبون يا شيخ طلبة ! ..

ان رزق يستغل ببراءة كل شبر من أرضه .

– ولما ربنا فاتحها عليه كده .. وبيبيع عسل ودواجن ويربى
عجول ، وطبعاً يبيع خضار وعنب .. ليه يا شيخ طلبة بيطمع في
الأرض اللي خدها المعدمين .. والا ليه بيشتغل آلات الجمعية
بلاش والفقرا يدفعوا له ..

وصاح الشيخ طلبة :

– هو عدوك أهيل ! .. اسم الله على عقلك .. انت
حاشى ورا كلام العيال المشاغبين الـ .. الكفرة ؟ هو رزق بيه
لا سمح الله محتاج لكلام من ده ؟! أعوذ بالله .. لا .. لا ..
دا الأرض اللي بتقول انه اخدها من المعدمين دى دا كانت في
حال الاصل أرض البية الكبير والأمير بيعها له غضب .. فيها ايه
لما يركبها هو ويزرعها ويدى اللي في القسمة لأصحاب التكاليف
.. هم يعرفوا يزرعوها .. يخرج من ايديهم يطلعوا زراعة زى
زراعة البية .. وايه يعنى قولة .. انه بيشتغل آلات الجمعية بلاش
.. ماهم أسياد البلد من قديم الأزل يا أخى .. ما الناس كانت
بتشتغل لهم بلاش .. الناس اللي هم لحم ودم .. على الأقل
ذا مكن .. لا بيتعب ولا بيعرق .. وعلى كل أنا ماليش دعوة
بالكلام ده .. صلى بنا على سيدك النبي .. قل يا باسط ..

كفاية انه من سبعة عشر فدان بيكسب أكثر من اللي عنده مائة
•• الله يكسبه كمان وكمان •• قل يا باسط •

وجاءت تفيدة بصينية القهوة ، وقدمت الى فنجانا فاخرا
مذهبا وطبقه مرسوم عليه صورة عاشقين بملابس العصور
الوسطى ، يتعانقان •• هذه أشياء لم نعد نراها بعد ••

وابتسم الشيخ طلبة وهو يلاحظني :

- دى فناجين اشترها البيه من دايرة الأمير •• هو الأمير
يعنى جابها منين •• ما هي من الارض اللي خدتها غضب من
البيه الكبير بتراب الفلوس •• أهو البيه ورثها •• يا لله ياسيدى
الله يرث الأرض ومن عليها •• وتلك الأيام نداولها بين الناس ••
ودخلت السيدة زوجة رزق •• وسلمت على فى أدب جم
•• وجلست قبالتى وظهرها الى الحديقة الصغيرة الممتدة تحت
الشرفة حتى الباب الحديدى الخارجى وسط السور •• واذا
تأملت المكان الذى أجلس فيه الى جوار الشيخ طلبة على الدكة،
قالت وهى تشير الى كرسى كبير كأنه كرسى عرش ••

- لا والله •• لازم تقعد هنا مكان البيه ، دا كرسى نادر
طراز لوى كانز •• تصور ان الكرسى ده عمره ميتين سنة
تقريبا •• تحفه حقيقى •

فقال الشيخ طلبة :

– طراز ايه يا هانم؟! دا احنا اشتريناه برضه من دايرة
الأمير .. ده طرازنا احنا .. والا دا باين البيه الكبير كان جايه من
بلاد يره ..

فقلت :

– أيوه يا شيخ طلبه ده طراز ملك فرنساوى اسمه لويس
الخامس عشر ..

اسكت .. يا شيخ طلبه لا أريد أن أتحدث عن فرنسا ..
لا تجرني للحديث عن باريس !

وتطلعت الى زوجة رزق بيه أسأله بنظراتي : فيم تريدني ؟
كانت تلبس ثوبا صوفيا محتشما أصفر اللون وتربط
شعرها الأسود بمنديل حريري أخضر .. وكان لها منظر ملكة ..
وجها دقيق التقاطيع هاديء، شامخة واضحة النبالة .. والحديقة
الصغيرة من ورائها .. لاحظت لأول مرة وجود أزهار في الحديقة
.. أزهار هادئة الرائحة متناثرة في الحديقة كلها ، وعلى جانبي
الدرجات الرخامية المؤدية الى الشرفة .. ورأيت بدنها الدقيق
ملفوفة بعناية ، ووجها يحمر عندما تلتقي نظراتها بعيني ..
وأحسست أن هذه السيدة لم تنظر أبدا في عيني رجل ، ربما حتى
في عيني زوجها ، وكان لعينيها لون رائق تختلط خضرتة بلون
عسلي .. ولكني ما كنت أريد أن أتأملها .. وأحسست بحرج
وأنا ابدى في داخلي ارتياحا لشكلها ولون عينيها وتناسق تقاطيعها

•• انها الدقيق الرومانى ، وفمها الواسع بشفتين رقيقتين وجبهة ناصعة عريضة وخدود ملساء •• ورقبة عالية •• أهذه أم طالبة فى الجامعة •• لكأنها هى نفسها فى العشرين ! •• ولكنها لوت رقتها تأمر تفيدة أن تجىء بعلبة « السيجار » من المنظرة الكبيرة لتقدم لى سيجارا •• ووشت استطالة تجاعيد فى رقتها بمرور السنين •• وتخرجت فيما بينى وبين نفسى •• مالى أنا بها ؟! ان تكن كبيرة أو صغيرة ، قبيحة أو حسناء •• فلزوجها •

ولكن كل هذه الرقة يمتلكها رزق ، ويعتبرها بالطبع كالحديقة أو كالمحل ومزرعة الدواجن ! •• مالى أنا ؟

ولكن هذا الصفاء ونبالة الطلعة لربيل يضرب بسوط الخيل فلاحا فقيرا أعزل وهو بعد لا يشعر بالمهانة أمام هاتين العينين الرائقتين •• رزق بيديه يضرب ويعذب الآخرين •• بيديه هاتين اللتين ظلتا تلامسان هذا البدن البديع الذى ينضح بالنبالة الاثوية مدى عشرين عاما أو يزيد ! •• لكن ما لى أنا ؟ ••

وقطعت الصمت بقولها :

— سيادتك عارف طبعا ان رزق كان مهدد بالذبيحة ، وانه فى حاجة الى جو مريح يعيش فيه •• وانا مش حاقول لك انه ابن عز لأنه دى جايز تكون أفكار رجعية ، لكن •• لكن يعنى •• ما يصحش كده •• ده رجل له مكاتته طول عمره بين الفلاحين •• يعنى •• وأبوء الله يرحمه كان محامى الفلاح •• يعنى

كانت نبراتها ثابتة هادئة .. وكلماتها تناسب في يسر ..
وبدت لي مشرقة وهي تتحدث أكثر منها اشراقا وهي صامتة ..
كانت صادقة لاطراف أناملها الرقيقة ..

وبعد أن توقفت قليلا تابعت حديثها :

— لكن يعنى البلد كلها متحفزة ضد رزق بيه والمشرف الزراعى
.. أنا مش عارفة ليه .. ممكن يكون رزق بيغلط لكن لازم
تعرف انه رجل منتج وبيفيد الثروة العامة .. ثم انه مش اقطاعى
دى الحكاية كلها سبعة عشر فدان .. والسراى دى

هكذا؟! أهذا هو حكمك على الأمور!؟

ومع ذلك فقد كانت صادقة أمام نفسها في جها لزوجها
ودفاعها عنه ؛ وفي نظرتها للأشياء .

كان في طريقة كلامها شيء رفيع ، وكانت تبدو أعلى ثقافة من
زوجها بكثير ..

آه .. تذكرت .. هذه هي ! . كانت تدرس في معهد عال
للتربية الرياضية منذ أكثر من عشرين عاما ، ولكن رزق تزوجها
وجاء بها الى القرية وخبأها في بيته .. انها تمارس الالعاب
الرياضية في الحديقة حتى اليوم ، وهي أخف حركة من ابنتها
عليات ومن الأولاد الصغار !

وعندما كبرت ابنتها عليات ، وجاءها الخطاب صممت على
أن تعلمها وأن تتركها تعمل حتى تختار هي زوجها . فعلى

البت اليوم أن تختار .

تذكرت .. هذه السيدة نفسها حاولت في العام الماضي أن تقيم في القاهرة مع بنتها عليات وتنتسب للجامعة وتذاكر مع بنتها وتحصل على شهادة وتعمل ، ولكن رزق رفض وثار عليها وعندما أصرت اتهمها بأنها تريد أن تلب وتجرى وسط طلاب الجامعة .. وسط أولاد في عمر أبنائها .. وحين هاجمت تفكيره ضربها .. ضربها حتى سمع الذين يعملون في الحديقة سراخها .. وهي مع ذلك تدافع عنه ..

- أنا قصدى أن وجودك في البلد اليومين دول فرصة لتهدئة الجو بين البلد وبين جوزى .. وخصوصا أن عبد العظيم ابن عمك متزعم حركة ضده وانت طبعا لك تأثير عليه .. وأؤكد لك اننى مش بطالبك بعمل ضد تفكيرك لان جوزى لا هواقطاعى ولا هو رجعى ولا هو منحرف .. رزق من الشعب العامل المنتج .. وهو حتى حسب التعريف العلمى يعتبر فلاح .. كل اللى حيلته سبعة عشر فدان . ومهدد بالذبحه والانتفالات خطر عليه .. دى مسألة انسانية !

كانت تتحدث بطيبة واقتناع ..

وسألتها :

- طيب واللى عمله امبارح فى سالم ؟ .. ده أسلوب تعامل ؟

.. تسميه ايه الأسلوب ده ؟ انسانية ؟

وتضرج وجهها كله بالدم فجأة .. وأخذت تضع ساقا على ساق .. ثم تغير قعدتها ، وشبكت يديها .. ثم طوحت الهواء بذراعها ، وأخذ الدم يفيض من وجهها شيئا فشيئا تحت المنديل الحريري الأخضر الذى عقدت به شعرها .. وأصبح لوجهها لون ثوبها الصوف الليمونى الأصفر ..

وقالت بصوت جاف خافت :

— مين قال لسيادتك الحكاية دي ؟ أنا صالحت سالم النهارده الصبح وطبيت خاطره واعتذرت له بنفسى .. هو .. هو رزق عيبه انه .. أحيانا • يلجأ للضرب فى حل مشاكله .. لكن .. على كسل حال سالم هنا .. انه له .. يا تفيده نادى سالم •

كنت أعرف ان رزق حتى معها هى نفسها يلجأ للضرب .. ولكنها مع ذلك لم تستطع أن تهاجمه .. وكان قد خيل اليها أن الأمر انتهى لأنها اعتذرت لسالم •

ولكن سالم عندما جاء مع تفيده من خلف القصر ، وهو يقضم رغيفا من خبز القمح طواه على قرص من عسل يتساقط من طرفى الرغيف وهو يقضه .. كان ذا وجه محايد .. وسألته السيدة :

— انت لسه زعلان يا سالم ، انت كنت اشتكيت لحد .. انت مش قلت لى ان ما حدش عرف بمسألة ال .. مسألة النخلة دي ! مش لازم حد يعرف •

وأجاب سالم :

– يا ست أنا مش زعلان منك انت .. انت أميرة الأمرا
.. لكن اللي بينى وبين جوزك ، عمره ما حا يخرج من القلب .
– انت ليه قلبك اسود كده ياسالم !؟ مش خلاص بقى
.. انا اعتذرت لك .

– أنا قلبى اسود ياهانم ؟ الله يسامحك .

ونحى الرغيف بعيدا ، فقالت له :

– انت مش قلت لى انك ما اشتكيتشى لحد .. ليه الفلاح
منكم قلبه اسود كده !

– ولا حاشتكى لحد ، لكن اللي فى القلب فى القلب ..
وكل شىء بأوانه ! .. أنا بس شكيت همى لعبد العظيم ..

كان يتحدث باصرار .

وشعرت ان زوجة رزق بكل شموخها وهدوئها، تخاف سالم!

وقلت لها :

– أسلوب التعامل ده أسلوب غير انسانى .. عقلية رزق بيه
مع الأسف عقلية اقطاعية متأخرة ..

واتفض الشيخ طلبة :

– اقطاعية ايه .. يقطع دى بلد .. أمال يسبب الأصول
تضيق فى وسط البلد .

وقضم سالم الرغيف من جديد وهو يمسح العسل من على
جانبي فمه ، ونظر الى الشيخ طلبة ضاحكا ولم يقل شيئا ..
فقالت زوجة رزق بحسم :

— استنى انت يا عم الشيخ طلبة .. على كل حال رزق
غلط لكن انت ممكن تصفى الجو وما فيش داعى للشوشرة ..
واحنا ننسى حكاية سالم دى وانا تانى مرة قدام سيادتك باعتذر
اه .. حقك على يا سالم .. حقك على يا ابنى ..
وتدخل الشيخ طلبة قبل ان أتحدث أنا أو يتحدث سالم :
— خلاص بقى يا واد يا سالم .. الست هانم .. السبت
ذات نفسها انحقت لك .. جالك كسر حقك ، عاوز ايه بقى ..
ستك بتنحق لك ! .. وبتقول لك يا ابنى ..

ومرة أخرى قالت السيدة فى حسم :

— أسكت انت يا شيخ طلبة .. سته ايه أستغفر الله ..
دا أنا امبارح شتمته قدام رزق بس علشان أهدى رزق لكن ..
اللى حصل .. حقك على يا سالم .. المسامح كريم يا ابنى !
وسألتها :

— هو رزق بيه مسافر ليه مع المشرف ؟
ونظر الشيخ طلبة الى سالم مؤنبا قبل أن تجيب السيدة :
— يا سالم الكلب سامع اليه بيقول ايه ؟ .. بيقول رزق
بيه .. تقوم انت تقول له سى رزق ..
وضحك سالم ضحكة طيبة وقال بخفة :

— طب وانا مالى .. هم بهوات زى بعض يقولوا لبعض
زى مايقولوا .. لكن أنا فلاح يابا الشيخ طلبه أعرف أن البهوية
اتلفت .. وان كل واحد ينادى للثانى باسمه وقبله كلمة
« السيد » ..

أنت أيضا !؟ انك تتحدث عنى كما يكلمنى عبد العظيم ..
كلماتك الطيبة لا تخلو من نبرة تأنيب .. ولكنك لا تنصفتنى
يا سالم .. لا .. لست أنا مثل رزق ! .. ما كان ينبغى أن أضيف
الى رزق لقباً ألقى .. ولكنها العادة .. نحن فى القاهرة لا تقاومها
بالشكل اللائق .. انتظر جيلا آخر .. الا اذا استطعنا هناك أن
نتعلم منكم هنا يا سالم ..

وسمعنا صوت تفيذة يرتفع من الباب الخارجى .. الباب
الحديدي الأسود الذى يتوسط السور الحجرى ذى الحراب
المدبية :

— اليه سافر .. دهدى .. رايح فين .. اليه مش هنا ..
ايه البرود ده .. داخل ليه بقى .. أما برود .. ا
ولكن توفيق حسنين أقبل مندفعاً وهو ينحىها بغلظة وصاحت
السيدة زوجة رزق :

— أقف عندك .. البنت بتقول لك اليه مش هنا .. داخل
ليه ؟ .. أما قلة أدب صحيح

ووقفت شامخة ذات كبرياء ، وقال توفيق معتذرا :

— يا ست هانم ، عبد المقصود افندي مدور عيال المدرسة
عالدور عشان يعمل اجتماع بكره بعد صلاة الجمعة .. اجتماع
للبلد كلها .. اجتماع للجنة والجمعية غصبن عن البيه ..
وعبد العظيم لامم شوية عيال من المشاغبين ودايرين يلفوا البلد
ويقولوا لا رجعية ولا اقطاع .. هي حصلت .. لا اقطاع ولا
رجعية .. ايه العمل بس • دبريني يا هانم .. وسعادتك بتقولى
البيه مسافر .. ايه العمل بقى ؟ .. فين البندقية أطخ فيهم
بالعيار واللى يجرى يجرى •

وقفز سالم وكل وجهه يتهلل من الفرح .. وطوح ببقية
الرغيف والعسل فى الهواء وهو يصيح راقصا :

— وسع يا ولد .. لا اقطاع ولا رجعية .. لا رجعية ولا
اقطاع .. أنا الزير سالم ياجدع .. لا رجعية .. لا رجعية ..
ولا اقطاع .. ولا اقطاع •

وكان يرقص على ايقاع الكلمات ، وهو ينطلق الى القرية
يشق الهواء بقامته الفارعة وبكل بدنه الذى امتلا بحرارة
واحساس عجيب بالقوة التى لا تقهر .. وبالقدرة على أى شىء ..
وقفز وهو على الطريق الى القرية ، فتعلق بفرع من شجرة
كافور ، وانتزعه ، وظل يشق به الفضاء كفارس أسطورى وهو
يعنى :

« والله زمان ياشوم ماهزك الجدعان » •

أخذ عبد العظيم يفتل شاربه العريض الذى تستخفى شعراته
البيض القليلة تحت الشعرات الكثيفة السود ، وهو قاعد فى
قلق ، ملء هدمومه ، على مقعد خشبى جدلت قاعدته بالقش ،
وعيناه على باب المضيفة يتأمل الطريق ، ونظراته المتربصة تتوسل ،
وتضرع أن يقبل الناس ، فقد انتهت صلاة الجمعة منذ ساعة ،
والمقاعد والدكك مرصوفة فى المضيفة فى انتظار أهل البلد ..
ومع ذلك فما جاء منهم أحد بعد الا الاستاذ عبد المقصود ، ناظر
مدرسة القرية ، الذى يجلس الآن الى جواره ، أمام منضدة
تستلقى رخامة متآكلة الحروف على أرجلها الملتوية المتعانقة .

كان فوق الرخام مفرش كبير من الكتان على زواياه نقوش
حمراء وخضراء وزرقاء ، تمثل أشجارا ونخيلا وحيوانات ريفية
وناسا وجرارا بخاريا وأبراج حمام وفلاحا طفلا يركب بقرة ،
ومنظرا للسد العالى تندفق أمامه المياه فى خيوط رقيقة من النسيج
الأخضر .. وعجبت لاستعمالهم اللون الأخضر لماء النيل ! .. انه
حقا سر الخضرة وسلطانها !

هذه النقوش ! أخذت أتأملها وأدير رأسى لأرى كل زوايا

المفرش ..

ورفع عبد العظيم الأوراق التي كانت فوق المفرش وقدمه
الى ، ووجهه المنطفىء من القلق يشرق في ابتسامة فخار :
- دا شغل تلاميذ مدرسة بلدنا ..

وتناول الأستاذ عبد المقصود المفرش وأخذ يعرضه على
بوجهه المطمئن :

- أشغال يدوية عاملينها الأولاد والبنات ذات نفسهم ..
تعبير كده يعنى عن البيئة المحلية .. وعن .. أمل المستقبل ..
السد العالى ..

أمل المستقبل يا أستاذ عبد المقصود ! .. كم من الكلمات
المضيئة تنطلق هنا بغتة في يسر غريب ، كشعاع فجر جديد بعد
الظلمات ! .. ما كنت تعرف هذه الكلمات منذ خمسة وعشرين
عاما يا أستاذ .. كانوا يقولون لك وقتها عبد المقصود افندى ،
وكان راسك هذا العارى الذى يغزوه الصلع يتخايل بطربوش
طويل فاقع الحمرة ، معووج دائما على جبهتك .. ولكم كان
يحلو لك ان تخلعه وتمر بيدك على شعرك الملمع اذ ذاك .. ثم
تتحسس بعناية شاربك القصير المربع ، وأنت تتبختر في الجلباب
السكروتة ، وعصا من الأبنوس مطعمة المقبض بالعاج ، وتغازل
بأثعات البلح ، وبأثعات الفول السودانى والحلاوة السمسامية
القادمات من عاصمة الاقليم في مولد سيدى مسعود !

ولكنك أصبحت حليق الشعر ، وما بقى من شعر رأسك
قصير جدا ، وقد تخليت عن الجلابيب السكروتة ، والعصا

الابنوسية .. لا شيء غير جلباب متواضع من وبر الجمل منسوج
في القرية وعصا غليظة من الخيزران الأصفر ! ..
ووجهك المطمئن هذا وعينك الهادئتان ، وكل هيئتك هذه
توحى لمن يراك انك رجل بيت وأولاد .. لا رجل الليالي
القديمة ..

كيف تسأل اليك هذا الوقار كله .. من يصدق انك أنت
عبد المقصود افندى الذى عرفته منذ خمسة وعشرين عاما ، يسهر
الليل كله يطارد فتاة استعصت عليه ولا يمل .. الليلة بعد الليلة
.. وهو يتابع فى الحاح غريب .. حتى ينال الفتاة أو ينسحب
حذر الفضيحة ! .. أتذكر انصاف أم سالم ؟ .. أتذكر منذ
خمس وعشرين عاما ، كانت أمها تعمل مولدة للقرية ، وكانت
لا تدعى الى العمل الا فى الساعات الأخيرة من الليل .. فالاطفال
لا يجوبون أن يقبلوا الى عالمنا الا فى مثل هذه الساعات .. وكان
أبوها ينام خارج البيت فى حديقة رزق التى يعمل بها خفيرا ،
حيث صرخ فجأة من الألم بعد ذلك بسنوات ، ونزف دما ، ورقد
وهو يتبول دما .. وظل فى رقدته حتى مات ! ..

كنت أنت تعرف أن والد أنصاف ينام خارج البيت ، وان
أمها تستدعى أحيانا فى الساعات الأخيرة من الليل ، وكانت
أنصاف قد شبت فجأة وأذهلتنا جميعا بحسنا الفتى الجديد ..
وما كان أحد يجروء على التعرض لها ، حتى فى الموالد ، فما كان
أيسر عندها من أن تلتقط أى شيء من الأرض .. حجرا أو حتى

روثا ، وتقذف به من يغازلها .. وصممت على أن تناهها ، تلك
الحسنة ابنة الثالثة عشرة التي كان جسدها الفوار ووجهها
المتلىء الجميل ، وكل فتنها توحى لمن يراها أنها في نضج
العشرين ! ..

انتظرت الليلة بعد الليلة .. وكلمتها يوما على حذر فعاملتك
باحترام ، ولم تظن بك سوءا ..

وفي ذات ليلة تأكدت أن أمها المولدة خرجت من الدار ..
كان المولود الجديد سيأتي مبكرا عن المألوف ، فقد استدعوها
بعد صلاة العشاء بقليل .. وانتظرت أنت حتى خلت طرقات
القرية من الناس ، فذهبت الى دارها .. واستقبلتك هي على
الباب ووقفت في فتحته وأنت تحاول أن تدخل .. ولكن البنت
صرخت في وجهك :

— رايح فين ؟ امش من سكات أحسن أفضحك فضيحة
اللحم في السوق .

— بلا جرسه وهتيكة يا أنصاف .. بس أدخلى لما أكلمك
في حاجة مهمة .

— حاجة مهمة .. لا أمى ولا أبويا هنا تخش بتاع ايه ..
انت يعنى تخلينى لوحدى وتنسقط عالدار زى الديب لما ينسقط
على الغنم ! ..

وحاولت أن تدفعها متوددا ، ووعدتها بأى مبلغ تطلبه ان
تركتك تدخل .. ومددت يدك الى داخل الجلباب السكروتة

لتخرج المحفظة من جيب الصديري ، ولكنها فاجأتك ويدك في
جيبك ودفعتك بعنف وهي تطلق صراخا مفرعا .. واتسخ جلبابك
السكروتة من الروث ! ..

وعندما اختفيت عنها ، كان قد خف اليها عدد من الجيران
يسألونها .. فقالت لهم :

– دا الديق ! .. كان حاينسقط عالحولية !

وفي صباح تلك الليلة كنت أنا وعبد العظيم نسألك عن قصة
الذئب والحولية : النعجة الصغيرة ذات الحول الواحد ، ولكنك
شتمت انصاف وقلت عنها انها مغرورة بجمالها تتخيل ان كل
الناس يغازلونها ، رغم أنها طويلة عريضة بلهاء كالفرسة الشاردة ..
فضحك عبد العظيم وقتها قائلا :

– حاكم التعلب لما ما عرفشى ياكل العنب قال عليه حصرم ..
مش الحكاية دى بتقروها للعيال فى المدرسة برضه يا عبد المقصود
أفندى !

ما زالت أنصاف طويلة عريضة كالفرسة الشاردة ، ولكنها لم
تعد مغرورة بجمالها بعد ، فقد ذبل وجهها النضر ، وجف عودها ..
لا يستطيع الانسان أن يتصور أن هذه المرأة المعروقة الوجه ،
التي تجلس على دكة بعيدة فى أقصى المضيئة وسط النساء ، كانت
فى يوم ماتملك فتنة تدير الرؤوس .. وعيناها المتكسرتان ، وفمها
الذى ارتسمت حوله الغضون ، ووجهها المتوتر !!! .. أهذا كله
لامرأة لم تبلغ بعد الأربعين !؟

ولكنها مع ذلك تحتفظ بالقدرة على الضحك ، وما زالت الى
اليوم تداعب عبد المقصود بقصة الذئب والحولية ، عندما تجده
مهموما ..

وأدار عبد المقصود رأسه في المكان ، وتجهم .. مازال المكان
خاليا ، وقد مر أكثر من ساعة على صلاة الجمعة ..
- يعنى الناس ماجوش للاجتماع .. خبر ايه ؟ ما تقوم ياواد
ياسالم تلف لك لفة عالبلد .

وقام سالم ومعه شابان من مثل سنه ..
وقالت انصاف :

- والنبي ياحضرة الناظر عاوزينك تمشى فى جوازة سالم
ابنى .. كلم له سيدنا الشيخ طلبة على تفيدة .. أنا شايفه الواد
غاوى البت والبنيه عينها منه .. الحق كلمه أحسن دا الديق
حايנסقط عالحوليه ! ..

وابتسم عبد المقصود ، وجلجلت ضحكة عبد العظيم ،
فقال عبد المقصود :

- دهدي يا عبد العظيم .. ايه اللي بيدحكك قوى كده ..
الله ينكد عليكى يا أم سالم .. ما الحاجات دى راحت لحالها يابت
يا انصاف !

وردت انصاف :

- يا اخويا خلينا نضحك بدل ما احنا شايلين الهم ليل ونهار ..
ربنا يدحكك .. داهية تقطع الهم وسنيه ..

وأوشكت أن أسأل عبد المقصود وأنا أعيد وضع المفرش على المنضدة وأتأمل النخيل الكثير المنسوج على أطرافه: يا عبد المقصود أفندي ... هذا هو النخيل فأين بائعات البلح ! ..

وغالبت ضحكى .. يجب أن أسأله أيضا عن بائعات الفجل .. كان وهو طالب بمدرسة المعلمين بعاصمة الاقليم على علاقة باحدى بائعات الفجل ألقت أن تبيع نفسها لبعض طلاب مدرسة الزراعة والمعلمين .. وضبطه أحد مدرسيه ذات ليلة في مكان مظلم وراء مقهى يجلس فيه المدرس .. وفي الصباح ، عندما لقيه المدرس في الفصل ، ضربه بالكف على صدغه وطرده قائلا :

— الواحد منكم أبوه طافح الكوتة هنا عشان يعلمه ويخليه بنى آدم .. وبعدين يضيع لى نفسه مع بياعة فجل .. بقرش صاغ واحد !

وسألنى عبد المقصود :

— بكم يباع مثل هذا المفرش فى القاهرة ؟ ..
انهم يريدون أن يحددوا له سعرا معقولا يباع به فى المعرض الذى سيقام بعاصمة الاقليم .

فهمست له .. « بقرش صاغ واحد » ..
وانفجرت ضحكته ، وأضاء وجهه الطيب .. ثم تنهد قائلا :

— أيام وراحت لحالها .. الواحد دلوقت جاوز الخمسين بشهور ، وعنده بقى غير مسئوليات بيته وأولاده مسئوليات

المدرسة والقسم الليلي لمحو الأمية ، ومسئوليات العمل ... في
الاتحاد الاشتراكي والجمعية التعاونية .. واللى عنده مسئوليات
زى دى لازم يعيش كالراهب منقطع لها .. طب والله دا احنا عندنا
في فصول محو الأمية بنات ولا انصاف في زمانها .. لكن بقى دول
أمانة في أعناقنا والواحد منا لا يمكن يميز الحلوة من الوحشة ..
كلهم بناتى .. زى الدكتور تمام .. لكن تعرف نجاح الواحد
منا في عمله أجمل من أى حاجة ..

وغمز بعينه وقد عاوده مرحة القديم !

– ألد من الفول السوداني والفجل والبلح والحلاوة
السسمية ..

واستمر يضحك .. وقد غمر وجهه احساس بالراحة وشيء
من الزهو :

– لكن ايه رأيك في شغل أولاد مدرستنا ! .. مش في
مستوى الأشغال اليدوية بتاعة تلامذة مصر ؟

وكررت تهنتى .. كان في رسم التلاميذ من الصدق مايشير
احساسا بالروعة لا يستطيع أن يثيره غير رسم فنانيين كبار عرفوا
سر الألوان ، واستطاعوا أن يعبروا بالظلال والأضواء والألوان
عن نبض الحياة .. كنت في الحق مسرفا في المبالغة .. لا أشعر
باسرافي لكننى كنت مندفعاً في فرحى بأبناء قريتى .. وعلق
عبد العظيم :

– أمال التلاميذ في مدارس مصر بيرسموا ايه .. الفساتين

اللى فوق الركب والا الشرابات الحريمى الملونة .. والا يمكن
يرسموا العربيات الجديدة اللى متلثة فى الشوارع .. ممنوع
استيرادها يا اخويا ومع كده تلاقيها مبدورة فى شوارع مصر أكثر
من الطوب فى شوارع بلدنا ..
وارتفع صوت أم سالم :

– تلاقيهم يرسموا البهوات .. ينيلك يا سائم يا ابنى ..
بقى مش هابن عليك تقول لرزق بيه يابيه ! ..
وعلق آخر :

– والا تلاقيهم يرسموا مباريات الكورة .. ماهى دى
البيئة المحلية بتاعتهم .. احنا عندنا السجر والبهايم والمحاريث
والجرارات والفوس .. وهم عندهم الكورة والفساتين القصيرة
والبهوات والعربيات آخر مودة ..
فقال عبد المقصود جادا :

– لأ يا جماعة .. لأ .. بقى مصر مافيهاش غير كده .. دى
مصر برضه أم الدنيا .. مايرسموا كمان السد العالى ، دا البيئة
هناك فيها حاجات تسر الخاطر .. البرج ، الاهرام ، الآثار ،
والأزهر ، والمصانع الجديدة ، والجامعة .. لأ .. لأ يا جماعة ..
دى عاصمة الجمهورية برضه .

ثم توتر صوته وهو يستمر :

– طب ما احنا بقى حانعمل زى بتسوع مصر اللى بيعيبوا
علينا .. ماهى دى النظرة الرجعية للمدينة .. القرية لاتشق فى

المدينة ، والمدينة تسخر بالقرية .. احنا نشوفهم ناس هازلين أو متطرسين وهم يشوفوا الفلاحين ناس فيهم خبث أو غباء .. أو حاجات تدحك .. دى أفكار غلط ! مخلفات لازم نغيرها .. المدينة تستهوى اللي بيعيش فيها وينسى القرية .. ده حتى أولادنا اللي بيروحوا يشتغلوا عمال فى المدينة بيقطعوا صلتهم بالبلد .. حتى اللي اشتغلوا فى مصنع الغزل .. يادوبك يجوا كده زوار .. آمال فين التفاعل .. لازم نغير المخلفات دى ..

يا عبد المقصود ! هذا التباعد هو المحنة التي يتلى بها التطور فى وطننا يا عبد المقصود .. كيف نخلق هذه الثقة بين القرية والمدينة .. كيف نطوى المسافة التي تجعل الفلاحين ينظرون بحذر الى أهل المدينة ، وتجعل أهل المدينة يتعالون على الفلاحين ؟ ..

لم يعد لكلمة الفلاح رنينها المزرى القديم .. ولكنها مع ذلك لاتحمل الى قلوب المدينة أية مشاعر نبيلة .. كم منهم يخفق قلبه عندما تذكر كلمة الفلاح ! .. لقد يذكر رائحة الحلبه ويتكوم مباعدا ملابس خوفا من أن تتسخ ! .. وأكثرهم طيبة ينتابه الاشفاق ! ..

وبعض الذين يحملون الشعارات الاشتراكية فى القاهرة يشعرون عندما نذكر كلمة فلاح بأن من واجبه الثورى - عقلا - أن يتقربوا الى هذا الفلاح .. ولكن من هو فى وجدانهم ؟ .. لا بد أن يكونوا من أصل ريفى ليشعروا بجلال ما تثيره الكلمة .. لا بد أن يكون هذا الفلاح أبا أو أخا أو عما او خالا ..

أما الذين ألفوا أن يكون الفلاح هو الأجير أو المؤجر أو
والد الشغالة •• فما عسى أن تشير عندهم كلمة « فلاح » ؟ ••
أطيبهم يرى أن من واجبه - عقلا - أن يتعاطف معه •• من واجبه
أن يحبه •• وألا يزدريه •• واجب !! •• وهذا هو كل شيء ! ••
والفلاحون هم أيضا كم منهم يثق في أهل المدينة ؟ ••

لقد مثلت المدينة دائما بالقياس اليهم سنوات طوالا من
السيطرة والرعب والسلطة الغاشمة •• كل شيء رهيب جاءهم من
المدينة •• أوامر السخرة في الزمن الماضي ، والضربات ، ونزع
الأرض ، والسجن أيضا في المدينة ••

وفي دفاع غريزي عن النفس مضوا يسخرون بالمدينة
ويرفضون كل ما يأتي منها •• كان هذا هو احتجاجهم الوحيد
الممكن : ألا يثقوا بشيء من المدينة ! •• حتى عبد العظيم ابن عمى
لا يؤمن بأننى أستطيع أن أعرف القرية كما يعرفها هو •• وهى مع
ذلك قرىتى •• فيها كل أهلى •• ولكن جريمتى عنده أننى أعيش
وأقيم وأربى أبنائى فى المدينة •• وما يربطنى بالقرية غير عظام
الجدود •• القبور وحدها هى اللى تربطنى بالحياة هنا •• هكذا
يظن عبد العظيم •• وهو معذور !

ومع ذلك فانا لم أسمع فى المدينة أبدا هذا الرفض الحاسم
للتفرقة بين القرية والمدينة •• لم أجد من يشعر به بمثل هذا القدر
من الحساسيه الذى رأيتة اللحظة فى عبد المقصود •

وظللت أدير نظراتي في اكبار يخالطه الاعجاب بين عبد المقصود
وعبد العظيم وأم سالم وهذه الوجوه المتوترة المطمئنة مع ذلك ،
التي ترفض المهانة وتتحدى السخرية .. هذه الرؤوس التي أخذت
ترتفع وتواجه قدرها .. كل هذه النفوس المتطلعة في ثقة الى غد
كأنها تصنع مصيرها وتنسج مستقبلها خيطا بعد خيط ببراعة الأيدي
الصغيرة التي نسجت السد العالي والماء الأخضر المتدفق والجرارات
البخارية على المفرش الكتان .. ببراعتها وثقتها وبساطتها ..
ونباتها أيضا .. لكم هو رائع ومثير للكبرياء أن يتطور الانسان
الى هذا المدى خلال أعوام قلائل .. لكم يملؤنا هذا كله ثقة
بالمستقبل ! ..

وقال عبد العظيم وهو يلاحظ دهشتي التي يبدو أنني لم
أستطع أن أخفيها :

— على كل حال .. ان المدينة مسؤولة مسؤولة كبرى عن
العمل الجاد في القرية ..

وتزايدت دهشتي .. ما هذا يا عبد العظيم ؟ .. هذه كلمات
كبيرة .. تقولها بصدق غريب كأنها تنبع منك انت نفسك .. ولكني
سمعتها أو قرأتها في غير هذا المكان .. مع ذلك ففي نبراتك ما يؤكد
انك أنت الذي يقولها .. أهو ما يسمونه خداع الذاكرة يدهمني
أيضا .. أين سمعت هذا ؟ .. أين قرأته ؟ ! ..

وأضاف الأستاذ عبد المقصود :

– طبعا .. يا عبد العظيم .. تمام زى ما قال الميثاق ..
آه .. كلمات من الميثاق ! ..

واستمر عبد المقصود يقول بنبرات صادقة كأن كلماته تنبع
من أعماقه هو الآخر :

– ان وصول القرية الى مستوى المدينة الحضارى وخصوصا
من الناحية الثقافية سوف يكون بداية الوعي لدى الأفراد ..
لم تكن لكلمات الميثاق منذ سمعتها لأول مرة ، مثل هذه
الشحنة ..

وابتسم عبد المقصود ، وأشار الى امام قائلها لى :
– أنظر ..

حائط أبيض لصقت عليه أوراق كثيرة .. لم يكن هذا
الحائط هنا من قبل .. كان هنا منذ سنوات أكوام من التراب ،
وبعض أحجار ونخيلات صغيرات وحشائش .. وكان المكان يفضى
الى أرض فضاء تنتهى عند الحقول ..

كانت هذه الأرض الخربة فى أقصى المضيئة مليئة بالثعابين ،
وكانت تتسلل اليها الذئاب والثعالب والقطط البرية .. لم تكن
تعمر الا ليلة مولد سيدى مسعود . فهنا كانت حلقات الغوازي
وبائعات الفول السودانى والحلاوة السمسمية وبائعات الهوى
المحترفات ، وكل ما ترسله المدينة الصغيرة الى القرية ليلة مولد
سيدى مسعود .. كانت هنا تجرى صفقات ، ويخاف الآباء انزلاق
الأبناء .. وكانت فتيات القرية يتجنبن هذا المكان .

ولكن ليلة مولد سيدى مسعود لم تعد تقام بعد .. وبدلاً
من تلك الأرض الخراب ، أرى أمامى الآن بناءً جديداً أنيقاً من
طابقين .. وقال عبد العظيم :

— ما احنا هدينا الخرابة وقتلنا كل التعابين اللى فيها وبنينا
بدالها الدورين دول .. أول دور للجمعية التعاونية ، والدور
الثانى للاتحاد الاشتراكى ومركز الشباب •

وأكمل عبد المقصود :

— فى المدخل مكتبة .. عاوزين كتب هدايا من أولاد البلد
اللى عايشين فى مصر •

وأخذت أنظر الى الحائط الخارجى للمبنى .. كله بلون
أبيض ناصع يشرح القلب .. والباب بلون أخضر ريان بهيج ..
وفى أعلى الباب صورة للرئيس .. ينظر باسم ، ونظراته تطل على
الجميع ، كأنها تعبر الآفاق الى مستقبل مشرق .. وعلى الحائط
الخارجى علقـت لوحات فى نظام هندسى بديع كتبت عليها مقتطفات
من الميثاق ومن خطابات الرئيس بخط جهد أصحابه فى أن يكون
جميلاً .. وقال عبد المقصود :

— أولاد المدرسة وخريجى فصول محو الأمية هم اللى كتبوا
اليفط دى .. بعضهم كتبه من عنده والله .. أنظر .. تأمل ..
هذا كله من حصص تحسين الخط ..

واستوقفنى خط ردىء للالفة فأخذت أتأملها وأقرأ بصوت

خافت :

« ان شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحياة على أرضه بالحريّة والحق ، بالكفاية والعدل ، بالمحبة والسلام » •

فقال عبد العظيم :

– أهه ده خطى •• مش حلو ؟

وجاءت أنصاف فأشارت الى لافتة •• كان لها نفس قوامها القديم الشامخ •• وبقية حسن ذاهب :

– ودى كتبها سالم ابني •• مش خطه أحلى من كتابة عبد العظيم •• هو اللي كتبها من عنده ما حدش قال له •• كان حقا خطأ أجمل ••

وأخذت أقرأ :

« ان الطريق الثورى هو الجسر الوحيد الذى تتمكن به الأمة العربية من الانتقال بين ما كانت فيه وبين ما تتطلع اليه » •• وجرى ولد صغير فقال لى : طب اقرا دى •• أنا حافضها لوحدى •• ما حدش من الأساتذة ملانى ••

وقرأت : « حتمية الحل الاشتراكى » •• كلمات ثلاث كتبت بحروف كبيرة ضخمة ، الكلمة تحت الكلمة على ورقة ضيقة طويلة كالشريط •• كانت قطعاً أطول من التلميذ •• ونظر الى فى انتظار ، واذ رآنى ابتسم وأحياه •• طار فرحاً ، وعاد الى مكانه •• هناك وسط النساء ••

وظللت أتابع فى اعجاب كل اللافتات المكتوبة •• مقتطفات ذكية وفعالة من الميثاق أو كلمات الرئيس جمال عبد الناصر •

ما هذا كله ؟ .. كنا ونحن صغار نتعلم الخط العربي على حكم من نوع : « القناعة كنز لا يفنى » .. كانت تفرض علينا في كراريس توزعها المدارس .. ولكنكم هنا تصنعون جيلا جديدا حقا .. وتصنعون أيضا - دون أن تشعرُوا أو تتخيلُوا أو تثرثُوا - المستقبل الحقيقي الوضاء !

وسمعنا ضجيجا خارج المضيئة .. وغبارا قليلا مشارا .. ودخل رجلان ، ثم ثالث .. والزعيق مستمر .. وقالت أنصاف من بعيد :

- أهو سيدنا جه بالعفرة والجفرة ..

ثم دخل سالم ومعه رجلان آخران .. ووراءهم سيدنا الشيخ طلبة ، واندفع خلفه نحو عشرة رجال :

- طيب أدخلوا .. ما دام ما بقى ليش حكم عالبلد .. أدخلوا الاجتماع .. مش الأول كنا نشاور حضرة العمدة .. طب رزق بيه وقلنا مسافر .. والعمدة .. حضرة العمدة رئيس البلد! وزعق عبد العظيم :

- ما احنا قايلين لحضرة العمدة بيجي .. سيبه في حاله بقى .. ما هو محتار : ان جه حايزل السيد رزق ، وان ما جاش حايزل البلد .. الراجل عيبى .. مرض .. وقالت أنصاف :

- لا وانت الصادق يا عبد العظيم .. العمدة مسافر .. العمدة خد أجازة طويلة وسافر مصر لأولاده هناك وسايب بداله

نايب طول مدة غيابه .. هو أنت يا اخويا مش عايش في البلد ! ..
 يا ترى مين حايبقى نايب العمدة !! .. العمدة سافر من الضجر ..
 جماعته قالت .. هو انت يا عبد العظيم يا اخويا مش عايش في البلد؟
 أحسنت يا أم سالم .. عبد العظيم هذا لا يرحمنى ان أخطأت
 في معرفة رجل من البلد بعد عهدى به ! دقد بدقة ! انه يتهمنى
 بأنى لم أعد أعرف البلد .. هو أيضا في رأيك - كأنه لا يعيش في البلد
 لأنه لا يعرف أن العمدة سافر ! .. الذين لا يملكون أرضا في
 القرية - مثل أم سالم - يعتقدون أن الذين يملكون - مثل
 عبد العظيم - لا يعرفون البلد كما ينبغى ! .. وغضب عبد العظيم:
 - بقى أنا مش عايش في البلد يا أم سالم ؟ هى البلد عندك
 دوار العمدة ؟ والله عال ! .. جماعة العمدة قالت .. يعنى
 السيدة عائشة قالت .. جاتكم الغم ! .. والا يعنى قالت عائشة .

وهب الشيخ طلبة فجأة :

- قل سنتنا عائشة رضى الله عنها ! .. ثم قل لى يا عبد
 المقصود .. بالمناسبة يعنى .. انت النهاردة في صلاة الجمعة ..
 قلت في حديث شريف عن السيدة عائشة رضى الله عنها كلام غريب
 قوى .. جفته منين ؟ .. يا أخويا اتم حاتعلمونا اسلام جديد؟ ..
 ايه قولة ان سيدنا المصطفى عليه الصلاة والسلام زعل من سيدنا
 عثمان رضى الله عنه لما شتم اللى اسمه عمار بن ياسر والا ياسر بن عمار
 ده .. وحكم على سيدنا عثمان انه يعتذر له ويشغل زيه سواء ..
 دا سيدنا عثمان كان صهره ، وكان من سادة قريش ومن أغنياء

الصحابة ، يقوم سيدنا النبي يعمل فيه كده ويشغله زى الفقرا
سوا ..

– أيوه .. لما كانوا بينوا مسجد المدينة وثمان بن عفان
رفض يعمل ، وشتهم بعض فقراء الصحابة لأنهم طالبوه بالعمل ..
النبي كان في وسطهم يعمل ... غضب عليه الصلاة والسلام لما
عثمان أهان فقراء الصحابة ، فقرعه وخلاه يعتذر لهم ..

– طب وتشبه الواد سالم ابن أنصاف بالصحابي ده ..
افرض يعنى ان الحكاية صحيحة ، تقوم ..
وقاطعته أنصاف :

– ماله سالم ابن أنصاف يا سيدنا .. ما بتقولشى ليه سالم
ابن عليوة .. الله يرحمك يا عليوة .. ياما خدمت سيدنا وطفحته ..
وهاج سالم :

– وما تقولشى عليه ليه حضرة الناظر في خطبة الجمعة ..
هو لادد عليك يعنى اننى أتصلب على نخلة .. هو ده اسلام ده
.. ما انت كنت واقف .. عملت ايه يعنى لما انضرت بكرباح الخيل ..
وهاج سيدنا وماج :

– اخرس يا واد انت .. حاتبقى انت وأمك عليه ؟ جاتك
داهية في امك .. ما البلد خبرت ، ما حد عارف لها صغير من كبير
.. وآخر المواخر سى عبد المقصود افندى طالع لنا باسلام جديد
.. ما عندي كتاب خطب الجمعة اللي بيقروها في الجوامع من أيام

جدود الجدود .. لا شفنا فيه حديث زى ده ولا اسلام زى ده! ..
ده اسلام جديد علينا بقى ..

وقال عبد المقصود بهدوء :

— اهدا بس ياسيدنا ووحيد الله .. هو ده الاسلام الحقيقى
مش اللى عندك فى كتاب خطب الجمعة .. وعلى كل حال بعد
الاجتماع لنا كلام تانى .. هنا فى المكتبة كتب حلوة قوى عن
انحاجات دى .

واحتج عبد العظيم :

— احنا جاين نتكلم فى ايه والا فى ايه ؟ نبتدى الاجتماع
بقى خللوا كل واحد يروح لشغله ..

وأقبلت تفيدة فى جلبابها الملون ، ومشت الى حيث جلست
النساء ، فناداتها أنصاف فأجلستها الى جوارها ، وهى تربت عليها
فى حنان ملحوظ ، وتنظر بفخر الى وجهها الجميل الطيب ، وبدنها
الثقى .. آه لو عمرت لها الدار وتزوجت ولدها سالم ..

وصاح الشيخ طلبة وهو يرى ابنته تلتصق بأنصاف :
— تعالى هنا يا مكسورة الرقبة .. ايه اللى حشرك جنب

أم سالم ؟

وردت عليه أم سالم ضاحكة :

— يعنى عاوز تحشرها بين الجدعان وسط الغيلان .. ماتخليها
هنا .. ما تقول له يا حضرة الناظر .. قبل الديد ما ينسقط
عالحولية ...

وصاح الشيخ طلبة :

- على العموم النسوان ما لهمش قعدة هنا .. ما لكم أتم
ومال اجتماع زى ده .. انجرى عالدار منك لها ..
وسرت ابتسامه وهممة ساخرة وسط الجميع ..
ولم تتحرك واحدة ، والشيخ طلبة يلعن النساء وآخر الزمن ..
وارتفع صوت عبد المقصود وهو ينقر رخام المنضدة بقلم من
الجبر الجاف :

- باسم الله نبدأ الاجتماع ..

وقالت أنصاف :

- قابلت الوزير يا عبد العظيم ؟ ..

- قابلت الوزير؟! .. هي مقابلة الوزير عندكم بالساهل
كده؟! .. مش برضه لها أصول؟ أنا قابلت واحد في مكتبه قال
لى اكتبوا مذكرة بالحاجات اللي بتشتكوا منها ومضوا عليها
البلد كلها أو لجنة الاتحاد الاشتراكي والجمعية وهاتوا وفد من
اتنين تلاثة واتتم تقابلوا الوزير .. بس اعملوا حسابكم انكم
حاتقعدوا ليلتين .. تقدموا المذكرة والوزير يقرأها وتانى أو تالت
يوم يقابلكم ..

وصاح رجل عجوز في احتجاج :

- فكتب عريظة يعنى .. لا لا .. ايهى ! دا احنا ياما شوفنا
من العرايظ اللي قدمناها للحكومة من قديم الأزل ..

وقال عبد العظيم :

– احنا فى زمن تانى يا شيخ .. ما تنهموا الدور بقى ..

وضحكت أنصاف :

– بقى تروح مصر وترجع طويل طويل كده وما تقابلشى
الوزير؟ .. ايش حال لو ما كنتش عارف مصر .. طب دا أنا ياللى
عمرى ما رحى مصر لو حظيت رجلى فيها مش راجعة من غير
مقابلة الوزير ..

– هو اتنى فاهمة ان مقابلة الوزير دى زى مقابلة العمدة ..
والا فاكرانى كنت رايح أقابل سيدنا الشيخ طلبة ..

واحتد الشيخ طلبة :

– مالك ومال سيدنا .. ركبوك الأسياد ما خللوا فيك حنة
على حنة .. ما كل واحد وزير فى نفسه يا أخى .. أستغفر الله العظيم ..
وتدخل عبد المقصود فى حسم :

– يا جماعة .. عاوزين ننظم الاجتماع .. اللى يتكلم يطلب
الاذن بالكلمة .. يرفع صباعه ..

واستمر الشيخ طلبة فى حديثه :

– يرفع صباعه؟ .. هو احنا فى المدرسة والا ايه يا حضرة
الناظر؟ .. عشت وشفت يا طلبة لما ترفع صباعك علشان تتكلم
قدام ناس قد أولادك .. وأولاد أولادك ..

وعاود عبد المقصود الكلام في حزم :

— دلوقت عندنا اقتراح اننا نكتب مذكرة بالمخالفات التي ارتكبتها المشرف الزراعى وهى مخالفات جسيمة ضد مصلحة الفلاح وضد التطور الثورى وقوانين الاصلاح .. والبلد كلها تمضى وتختتم على المذكرة .. وتختار وفد من اثنين يقابلوا الوزير .. وفيه اقتراح تانى ان بلاش مذكرات .. فيه حد عنده اقتراح جديد قولوا قبل ما ناخذ الأصوات .

وساد صمت كامل .. لا يسمع فيه غير الأنفاس .. ومن بعيد ارتفع صوت غريب يتخلل هممة كبيرة ..
— زى ماقلنا الجو جميل جدا .. والفريقين نزلوا الملعب من دقائق .. والمباراة ستبدأ الآن ..
وفى غضب ملحوظ صاح عبد المقصود :

— اللى معاه ترانزستور يقف ..
ووقف تلميذ من المدرسة الثانوية فى عاصمة الاقليم ، كان يجلس فى ركن بعيد على اذنه ترانزستور :
— أصله يا حضرة الناظر .. أصلها مباراة الموسم بين الأهلى والزمالك .

وقال عبد العظيم :

— أخرج أسعها بره يا أخى وخلينا فى شغلنا ، واللى عاوز يسمع المباراة يخرج معاه ..

وانسحب الطالب فى خجل ، وخرج وراءه اثنان .. ثم واحد ..
.. وبقي الركن الذى كان يجلس فيه طلبة المدرسة الثانوية مكتظا
بنحو عشرين طالبا ، استداروا كلهم فى انتباه كامل الى حيث كان
يجلس عبد المقصود .

وارتفع من بينهم صوت غاضت نعومته الطفلة وسط خشوته
الجديدة :

— احنا آسفين .. اللى خرجوا دول لا يمشوا الا أنفسهم ..
.. ودول مجانيين كورة ..
فرد عبد المقصود :

— شكرا .. على كل حال احنا كلنا مسئولين عن توعيتهم ..
ما فيش اقتراحات جديدة ؟

اقتحم باب المضيقة توفيق حسنين ، وانحنى فى تظاهر متكلف
.. وكلاب القرية تنبح فى الخارج بشدة :
— اتفضل يا سعادة البيه .. اتفضل .

وفى باب المضيقة توقف رجل يلبس بدلة أنيقة ويبتسم بشكل
ملحوظ ، نحيل ، سريع الحركة ، له وجه أصفر بنى ، ممتص غائر
الخدين ، وشاربان رفيعان تنفر منهما شعرات .. وعلى رأسه
يسيح شعر ملمع أسود مفروق بعناية ، يتهدل على أذنيه ويمنحه
طابعا أثويا .. ولكن نظراته متحدية ، نظرات ثعبان ، فى وجهه
غاضب كتلك الوجوه التى تلفحها كراهية كل شىء ..
وقال بصوت حاد مرتفع غطى على نباح الكلاب :

– فضوا الاجتماع ده .. الاجتماع ده غير قانونى ده من غير اذن من سلطات الأمن ، واللى دعوا اليه لهم حساب تانى .. وساد وجوم !

من هذا الرجل القادم من المدينة يحمل لهم كل هذا التحدى ..؟
وسأله عبد المقصود :

– مش نعرف الأول مين سيادتك ؟! .. اتفضل ..
فرد بابتسامة كريهة صفراء :

– مين سيادتك انت الأول ؟ .. اتفضلوا .. الاجتماع ممنوع .. دى أوامر الحكومة .. ثم مين المسئول عن المظاهرات اللى حصلت هنا ؟ .. اتفضلوا .. تعال يا نائب العمدة .. افتح الباب المقفول ده وحضر لى سرير هنا .. وشوف لى واحدة تخدمنى .. اتفضلوا ..

ما هذا ؟! نائب العمدة ؟ .. توفيق حسنين نائب عمدة ؟!!
أية مصائب جاءت بهذا الرجل الغريب القادم من المدينة بسحته المنفرة وبلهجة كريهة فيها ذكريات السيطرة والسرع والسلطة العاشمة ..؟!

وقفز الرجل الغريب مرة أخرى وصاح فى كلمات خاطفة مقتضبة بلهجة قاهرية واضحة :

– ازاي تعملوا اجتماع رغم ارادة رئيس الجمعية التعاونية وأمين لجنة الاتحاد الاشتراكى .. دى الأعيب فوضوية .. دى فوضى .. ده يعتبر تحدى لتنظيمات الدولة !

وزعق عبد العظيم :

— ما احنا القاعدة الشعبية .. احنا الأصل .. هو راجل

واحد حايفلبلد بحالها يعنى ؟ هه !

والتفت الرجل الغريب النحيل الى توفيق حسنين مبتسما :

— مين ده ؟ مين المشاغب ده ؟ .. اسمه ايه ؟ .. أكتب اسمه

عندك يا نائب العمدة .. ده عميل للرجعية !

وهبط وجوم متربص متوجس على الجميع .. وهمست

أنصاف لمن حولها :

— وماله يا أختى بيتنطط كده زى البرغوت .. حتى وشه

وشنباته .. زى البرغوت تمام ..

وسرت الضحكات .. كموجة سريعة ازاحت عن النفوس

قلقها وتوترها ..

واستدار هو راجعا ومن خلفه توفيق حسنين طالبا من

عبد المقصود وعبد العظيم أن يفضا الاجتماع على الفور .. والا

تحملت القرية كلها نتائج فادحة ! وانصرف مسرعا وهو يقول :

— أنا منتظر عبد المقصود وعبد العظيم بعد صلاة المغرب ..

عند رزق بك ..

مرة أخرى يقبل من المدينة رجل غريب .. غريب الثوب

والتصرفات واللسان والهيئة ، يلقي أوامر قاطعة ، ويحصل الى

القرية ذلك الخوف من المجهول .. الخوف الذى كانت قد نسيت

القرية .. ومرة أخرى تستقبل القرية رجل المدينة بالشك .. ثم

السخرية !

وبدأ هذا كله شاذاً ومستحيلاً أمام الموجودين .. وأخذ
عبد المقصود يتطلع أمامه الى صورة الرئيس ، وأحس لابتسامته
ولنظراته المرتسة في الصورة بمعنى جديد .. لكأنها موجهة الى
كل هؤلاء ..

وبدأ الآخرون يتطلعون الى الصورة .. والطمأنينة تعود
اليهم .. كلنا كنا نتطلع الى هذه النظرات المضيفة التي تعبر أسوار
المكان الى هذا القرية ، وأسوار الزمان الى المستقبل ..
وأخذنا نقرأ الكلمات التي كتبها الصغار ، والكبار الذين تعلموا
حديثاً .. كلمات من الميثاق وخطابات الرئيس .. والشيخ طلبة
يسحب بنته مهرولا :

– اللهم حوالينا لا علينا .. احنا قلنا اللي راح راح وحنعيش
اليومين اللي فاضلين مطمئنين .. سبحان الله من غضب الله ..
وبدأوا ينفضون .. وصاح سالم :

– اشمعنى يعنى تقابلوه عند السيد رزق ؟ هو رجح من
مصر ؟ ده بيقول عليه رزق بيه .. بقى واحد من الحكومة يقول
على السيد رزق رزق بيه ! .. أنا مستغرب للرجل ده .. ده حتى
الكلاب هبت فيه زى ما بتهب في رجالة الليل .. هيه الكلاب
بتحس أكثر من البنى آدم؟! ..
وقالت أنصاف :

– وحياة النبي لاروح مصر من فجر الله القوى .. ولاكون
مقابلة الوزير ..

ومشيئا . . . عبد المقصود وعبد العظيم وأنا . . . ووقف
عبد العظيم يزعم في الطريق بغتة :

- وحياة النبي أنا قلبى بيقول لى ان الجدع ده نصاب . .
لا يمكن الحكومة تبعت واحد زى ده . . أهه بوظ لنا الاجتماع
وخلص . . لكن احنا حانكتب المذكرة ونختم عليها البلد . .
حكومة ؟ الحكومة تقف ضدنا ؟ . . هو احنا اقطاع والا رجعية ؟
دى حكومتنا ! أقطع دراعى ان الواد دا نصاب . . وبكره تقولوا
عبد العظيم قال . . وأنا اللى حاجيب خبره وأقطع جدره . . بكره
تشوفوا . . واللى يعيش ياما يشوف ! والا بقى يمكن مصرفيها
حكومة تانية . . حكومة سرية . .

ومشيئا راجعين . .
كيف يحدث هذا ؟!
من يعيش ير

- ما حدث خرج من يده يعمل اللي أنا عملته .. أنا اللي
اسمى وليه ووحداية وغليانة ..

- بقى قابلت الوزير يا أم سالم ؟ والله عشنا وشفنا ..
حكّت انصاف مائة مرة كيف قابلت الوزير .. قالت
الكلمات نفسها لكل من قابلها فى القرية ، ومضت تبحثى عن
الذين يهمهم الأمر لتحكى لهم ما حدث .. لم يتخل عنها أبدا
احساسها بالفرح والفخر . بحثت عن عبد العظيم ، فهو أول من
يعنيه الأمر فى القرية .. انه يعرف طريق الوزارة طبعا .. لم
تصفها له .. ولم تصف له الطريق الى مكتب الوزير ، ولكنها
خبطته على كتفه وهى تقول :

- كانوا جيعملوا معى زى عملتهم معاك .. قالوا لى هاتى
شكوى مكتوبة وسيبى عنوانك هنا .

وضحك عبد العظيم :

- عنوانك فى مصر يا أم سالم ؟ .. ماطلبوش منك كمان
نمرة تليفونك يا .. مدام ..

وضحكت انصاف وهى تتراقص من الخفة ، تماما كما كانت
منذ نحو عشرين عاما عندما كانت تفتن القرية ، وحين كان شبابها

يثب بها على الحياة ، ويسرى في دماغها شوقا وفرحا وتطلعا ..
وعادت تخبط كتف عبد العظيم ببساطة :

— يا اخويا ماتشدش على المسخرة .. تليفون ايه ومدام ايه ؟
أنا عملت اللي ماتعملوش الف مدام .. ولا ألف راجل .. انت
مش قالولك كلام زى ده رجعت البلد .. ايد ورا وايد قدام لكن
أنا رجعت بايدي مليانة .. قلت لهم حاضر .. لكن الوزير هنا؟ ..
قالوا لسه ماجاش .. الكلام مادخلشى مخي .. قعدت أسأل
واحد واحد في الوزارة .. ماخليتش .. الساعة والعسكر ..
كلهم قالوا انه جاي الضهر علشان عنده اجتماع مجلس الوزرا
سألت مجلس الوزرا ده فين ؟ .. ورحت المجلس .. مارضيوش
يدخلوني .. العساكر اللي غالباب قالوا لي فيه ميعاد ؟ ..
قصر القول رجعت الوزارة .. عارف الديب لما يلبد في الدرة ..
لبدت أنا قدام باب الوزارة .. الشمس ملت الدنيا
وأنا برضه قاعدة .. فين كده واحنا قرب العصر لقيت حركة في
الوزارة .. ايه يا اولاد قالوا لي سيادة الوزير جاي .. يا حلاوة ..
والعربية حاتقف فين .. قالوا لي هنا هه .. وقفت مطرح ما قالوا
.. نزل الوزير من العربية .. طويل وعريض كده اسم النبي
حارسه وأسمراني زينا .. تقولش واحد من اولاد بلدنا .. بس
عليه القيمة .

— دهدي يا أم انصاف .. هم يعني اولاد بلدنا ما علمشني
القيمة؟! .. هه .. والخلاصة .. انت بقيتي رغبة قوى كده ليه
يا بت ؟

— قصر القول قلت له ياسيادة الوزير أنا فلانة الفلانية من
البلد الفلانية وجاية أشتكى من مشرف الاصلاح الزراعى ..
ومن مشرف الجمعية التعاونية ومن سى رزق .. ازاي ياوزير
الظلم ده كله يجرى واحنا فى عهد جمال .. مش كفايةظلم السنين
اللى فاتت دى كلها مش كفاية يعنى ؟ .. ساعتها يا عبد العظيم
افتكرت التقديم والجديد فرت الدمعة من عينى غضب ما عرفتش
لا أكمل .. ولا أروح ولا آجى فى الكلام ..

— يا بت ما انت طول عمرك دمعتك قريية .. جاتك الغم ..
— الوزير قال لى ماتزعليش ياست .. الوزير قال لى ياست ..
.. ياست .. والتفت لواحد من اللى حواليه وقال لهم شوفوها
بتشتكى من ايه .. وحققوا الشكوى على طول فورى كده
ولازم الغلطان يأخذ جزاته فورى على طول كده ..

— بقى الوزير قال لهم كده .. ده كلام يا بت يا انصاف ؟
— دا معناة الكلام يعنى .. وقال اتنى يا ست انصاف روحى
على بلدكم وان مظهرش نتيجة مستعجلة ابقى تعالى تانى والابعتى
لى جواب بقرش صاغ .. روحى انت واطمئنى ان لايمكن كده
أبدا وقطعيا حد يتكلم أبدا أبدا دا عهد الفلاح يا ست انصاف ..
والحكومة فيها ثلاث وزارات بحالها لخدمة الفلاح ..

— والله نفعت يا بت يا انصاف ..

دمسحت انصاف طرفى فمها بأصابعها ، فى دلال وهى تقول:

ضحكة :

— بقى الوزير يقول لى ياست انصاف وانت تقول لى يابت ..
يا أخى جاك بته تبتك .. والنبي لا حكم على أيها واحد حتى الملى
من طرف الحكومة يقول لى ياست .. اذا كان الوزير ذات نفسه
قال لى ياست ..

وظلت انصاف تضحك .. وهى تروى كيف أخذوها الى
حجرة مكتب فسيحة ، وأجلسوها وأحضروا لها عصير ليمون
بالسكر والماء المثلج .. ما عرفت الماء المثلج من قبل وما عرفت
عصير الليمون .. فهى تمتص الليمونة أحيانا حين يدهمها القرف
.. وأملت شكواها على الموظف الذى يجلس الى المكتب ونبها
الموظف الى أن ماتقوله خطير فعليها أن تتذكر كل ما حدث بدقة ،
فالوزير سيعاقب الموظفين عقابا عادلا ورا دعا ان تبين أن ماتقوله
صحيح ولكنها ان كانت تكذب أو تضيف الى بعض الوقائع الصحيحة
ذيو لا غير صحيحة ، فلن تنجو هى نفسها من العقاب .. ولكنها
ظلت تملى كل ما حدث حتى كتب الموظف ورقة كاملة .. وورقة
أخرى وثالثة .. حكى له عن كل ما يجرى فى القرية .. عما صنعه
مشرف الاصلاح الزراعى .. كيف كتب عقود ايجار بتاريخ قديم
للسيد رزق ، ومكنه بهذا من حيازة نحو .. عشرين فدانا
من أجود أرض الاصلاح .. وما كان رزق مستأجرا لهذه الارض
من قبل أبدا .. كانت ملكا لأبيه ، هذا حق ، ولكنه باعها للامير
منذ زمن طويل .. وحكى له كيف غضب المشرف ابنها سالم فجعله
يقوع على عقد ملكية أرض غير التى يمتلكها .. انتزع منه الفدانين

الطيبين السمينين ليضمهما الى الأرض التي يستأجرها رزق اعتمادا على عقود قديمة مزورة .. وبدلا من هذه الأرض التي تبر ، جعل الولد يوقع على أنه مالك أرض أخرى .. فدانين ضعيفين .. أرض لا تستأهل كلبا يأكلها .. وجن الولد من القهر وجاء يعاتب رزق عندما اكتشف الخديعة ولكن رزق الذي لا يطيق أن ينادى الا « سعادة البية » عذب ابنها سالم ..

ونبهها الموظف الذي يتلقى منها الشكوى الى أن هذا اتهام خطير وعاقبته على الآخرين جسيمة ان صح فان لم يصح فعلها هي .. ولكنها أقسمت له بمقام سيدي مسعود وبمقام السلطان الحنفى أن هذا صحيح وان رزق صلب ابنها على نخلة عندما ذهب يناقشه في هذا الأمر .. فلم يكذ الولد يفتح فمه حتى كان معلقا الى جذع النخلة ورزق يضربه بسوط الخيل .

ورمى الموظف قلمه في دعر .. لماذا يمتهن الانسان الى هذا الحد .. من أين تنبع عند بعض الناس هذه اللذة الهمجية حين يرون الآخرين يتعذبون ؟

أثبتت لهم قدرتهم على أن يصنعوا الألم للآخرين .. انهم كائنات تمارس وجودها ، وتملأ الفراغ بمثل هذه الأفعال ؟ .. أين الحرية التي توفرها الاشتراكية للكائنات ان كان الانسان ما زال يستطيع أن يهدد الانسان الى هذا الحد ، واذا كان بعض الملاك وبعض موظفي الدولة أو أصدقاؤهم ما زالوا يستطيعون أن يقهروا المواطن ؟ .. الخلاص من القهر ، ومن الاحساس بالذل ، ثم

الشعور بأن الانسان قادر على أن يمارس طاقاته ، وأنه مؤمن في كبريائه وفي مستقبله .. هذا كله هو أول ما تحققه الاشتراكية .
وتقسم انصاف أن الموظف ظل يتكلم وهو يكتب شكواها مقطب الجبين وقد التهب كل وجهه من الغيظ وأخذتتم بكلمات عن عزة النفس والحق والعدل والاشتراكية والحرية .. وأشياء كثيرة لم تفهمها .

وحكت له انصاف ما يصنعه المشرف على الجمعية التعاونية وهو الآخر شاب طرب يجيء الى القرية من يوم الى آخر ، وله حسابات عجيبة مع الجرار ، والخلاصة أن الفلاحين المساكين يتحملون الأجر الذي كان يجب أن يدفعه رزق .. وله حسابات غريبة أخرى في التعامل مع أعضاء الجمعية ومع الفلاحين .. ونصحها الموظف ألا تذكر شيئا عن هذا الموظف .. وخشيت انصاف أن يكون المشرف على الجمعية قريبه .. لماذا كان متحمسا ضد مشرف الاصلاح حتى ظل يتمم بكلمات حلوة عن العدل والحق وعزة النفس والكرامة ؟ ولم تفهم ! والمشرف الآخر ؟ .. انه يأكل مال النبي .. وحين سألته لماذا ينصحها بألا تشكو المشرف على الجمعية قال لها ان شكواها غير واضحة .. ربما لأنها ليست من أعضاء الجمعية وربما لأنها لم تتلق هي نفسها مظالمه .. ثم ان الشكوى من المشرفين معا أمر يبدو غريبا لأول نظرة .. ففي مصر آلاف من المشرفين الزراعيين والمشرفين التعاونيين .. ولا يحدث غالبا أن يجتمع في بلد واحد اثنان معا

يظلمان الفلاحين ويخونان أمانة الوظيفة .. ولكن هذا يحدث في بلدنا .. لا يا ست انصاف هذا دليل على أن بلدكم تتجنى أو أنها بلد لا يعجبها العجب .. ولكن هذا هو ما يحصل يا حضرة .. يا ست انصاف اسمعى كلامى أنا لا أعرف واحدا منهما ولا أحابى المشرف على الجمعية كما تشكين .. لاداعى للشك .. ان بعض الظن اثم يا ست انصاف .. أنا أنصحك لوجه الله ولمصلحة بلدكم ولمصلحة العدالة يا ست .. اتهام كل موظفى قطاع الزراعة عندكم يحمل شبهة عدم الجدية .. وانت لاتقولين وقائع محددة .. اسمعى يا ست انصاف سأكتب لك فى الشكوى ان هناك شبهات حول موظف الجمعية التعاونية .. وسنحكم الرقابة عليه دون أن يشعر .. فلا تتكلمى انت .. امسكى لسانك وراقبوه انتم فى البلد جيدا ، فاذا أخطأ ، فما عليكم الا أن ترسلوا خطابا للسيد الوزير بقرش كما قال لك .. وسيمسكه المسئولون بهذا الخطأ .. كل ما نرجوه منكم أن تذكروا وقائع محددة .. والا وقعتم أتم فى خطأ أشد .. وهو التشهير بموظف لم يثبت انحرافه .. والتشهير بالادارة فى قطاع الزراعة كله .. أما الوقائع التى تشكون منها ضد المشرف الزراعى ، فسنحققها على الفور .. قبل أن تصلى الى دارك فى البلد سيكون هناك من يتحرى ويحقق معه وسترون النتيجة فورا يا ست انصاف .. بقى موضوع الرجل الذى جاءكم من عندنا وفض الاجتماع وهدد البلد .. فنحن لا نعرف عنه شيئا .. نحن لم نرسله يا ست انصاف ، ولا ~~أظن أن أرسله~~

•• على كل حال احترسوا منه وانتظروا وساكتب ورقة خاصة
فيها شكواكم منه •• مع السلامة ياست انصاف •

ولم يكن لانصاف حديث غير مادار بينها وبين الوزير في
مقابلة خاطفة ثم ما دار بينها وبين هذا الموظف الذي أمّلته شكواها
•• ولم تخف اعجابها به حتى لقد داعبها عبد المقصود قائلا :

— أوعى يابت يا انصاف يكون عينك منه ••

— لا ياخويا العين عليها حارس •• وهى الست انصاف
فاضية لكده •• ولا هو اسم الله عليه من بتوع كده •• والا فاكر
الست انصاف واحدة من اللى دايرين فى شوارع مصر •• دا الموظف
يقول اللى مش عاجبكم اكتبوه فى شكوى وابتوتوها فى البوستة
بقرش صاغ واحد •

— الله يلعنك يا انصاف •• أوعى تقولى بقرش صاغ واحد
قدام حد ، آه ياهبله •

ولم تفهمه •• ولكنها مضت تحكى عن شوارع القاهرة ••
أول مرة ترى فيها الشوارع •• المباني بهذا الارتفاع كله •• أعلى
من مئذنة جامع القرية ومسجد الست الطاهرة السيدة زينب
ومئذنة السلطان الحنفى •• والمحلات التى تلعلع واجهاتها ••
والعربات التى تدير الرأس بحركتها الدائمة فى الشوارع حتى
ليدوخ الواحد وهو يعبر الشارع من ناحية الى ناحية •• والنساء
البيض •• والبودرة والأحمر فى عز النهار والفساتين القصار ••
والرجال المتأثقون المعطرون •• وفى شارع واحد تسمع أكثر من

لغة .. العربية ولغات أخرى يرطن بها رجال ونساء شقر وصفر
وسود .. وملابس غريبة من بلاد أبعد من السودان .. ومن بلاد
بعيدة .. الهند والسند وبلاد تركب الأفيال ..

ونساء في مثل سنها ولكنهن مازلن صبايا يقدن سيارات
كبيرة .. السيارة بخمسة آلاف جنيه .. كما قالوا لها عندما
سألت .. وتضحك انصاف وهي تروى كيف وقفت تستمع الى
ثلاث بنات يتكلمن وهن نازلات من عربة تقودها احداهن، ووقفن
أمام واجهة أحد المحلات .. كانت تسمع بضع كلمات عربية منهن،
لكنها كانت تسمع الحروف تدغم وتمط وتتاكل - التاء فتحة تا
كما أخذت في دروس محو الأمية - تدغم في الشين كسرة شى ..
والطاء في الجيم .. والبدال تنطق بطريقة غريبة .. ومضت انصاف
تتقصع وهي تروى كيف كان البنات ينطقن هذه الحروف وسألتهن
ان كن أولاد عرب .. فضحكت واحدة تلبس البنطلون .. مقصوفات
الرقبة ا وسخرن منها ! .. بنات عرب .. وواحدة منهن اسمها
فاطمة هي صاحبة العربة .. أذهلها كل مارأته في مصر في زيارتها
السريعة التي لم تستغرق غير ساعات من أول النهار حتى العصر ..
وبصفة خاصة منظر سيدة تسحب كلبا .. كلبا كالثعلب .. لون
الكلاب الكثيرة التي تملأ سكك البلد .. وتضحك انصاف
وتخبط كفا على كف وهي تصف منظر سيدة قاهرة أخرى
بشعرها المقصوص كالولد وفتانها القصير يكشف ما فوق ركبتهما،
كقصان شباب قريتها حينما يغوصون في الماء يوم رى الأرض ،

كذا .. بلا حياء ، مافوق الركبتين مكشوف ، والوجه فيه الأحمر
على الخدود والشفقتين ، والعينان مفتوحتان ، تفرسان النظرات
في أى شىء ولا تتكسر الجفون أبدا ، ويدها تمسك بسلسلة تشد
كلبا كالعجل .. فان توقف خبطت على وسطه ودلته ، باسم
أفرنجى ، وهى والله مصرية ليست من بلاد الأفرنج .. وياما في
مصر ! .. هذه السيدة .. وذلك الموظف ! .. كم يكلف كلبا
مثل هذا .. وماذا يأكل .. وكم ثمنه .. خمسون جنيتها يا انصاف
.. خمسون على الأقل يا أم سالم ! ايه ؟ خمسون عفريتتا يركبها
ويركب زوجها ! .. مازال في مصر ناس مثل هؤلاء الناس .. من
أين جاءوا بالمال ؟ من مرتب زوجها .. أتدفع المرتبات الكبيرة هنا
لتصرفها الزوجات على الكلاب والعربات .. من أين جاءوا بالمال
.. الأرض وزعت على الفلاحين .. الباشوات انتهوا .. ماعاد
أحد من الرجعيين يملك المال الذى يفيض منه لتصرفه الزوجات
على الكلاب وشراء السيارات .. من أين جاءوا بالمال يا عبدالمقصود
أفندى .. قل لنا يا حضرة الناظر .. اصبرى يا أم سالم .. الرئيس
يعمل لتدوين الفوارق بين الطبقات .. الأرسقراطية القديمة
صفت تماما ولم تعد لها قدرة مالية .. ولكن هناك طبقة جديدة
.. ألم تسمى عن شىء اسمه تطلع طبقى ؟ .. بعض الذين
حالهم كحالنا وضعتهم ظروف ما فى أماكن يتقاضون فيها مرتبات
كبيرة .. أو تركوا يعملون بحرية وأخذوا يكسبون أموالا طائلة
.. هؤلاء هم الطبقة الجديدة ! .. والرئيس يعمل يا أم سالم

لتذويب الفوارق بيننا وبين هذه الطبقة .. يا عبدالمقصود أفندى
انت تقول ان ما فاض عن حاجة المسلم من ماله فهو حرام .. يجب ان
يرد الى المسلمين لاصلاح حال الأمة .. أنت تقول هذا في خطب
الجمعة .. أهؤلاء من المسلمين .. أصبر يا ولد يا سالم ! ..
كيف أصبر يا عبد المقصود افندى والكلب الذي تحكى عنه
أمى يعيش فى المدينة خيرا مما نعيش نحن فى القرية .. أما زال
هناك أشياء كهذه .. انه يشرب ماء نظيفا هذا الكلب ! .. وينام
فى شقة أو سراى أرضها من البلاط أو الرخام أو الخشب ..
وأرضنا هنا من الطين ، وهو يأكل اللحم وخبز القمح ونحن نأكل
الذرة .. وهو كلب ، وأنا سالم .. الزير سالم والله
يا حضرة الناظر .. أسكت يا ولد يا سالم .. من قال لك
ان هذه أوضاع .. ألم تسمع خطابات الرئيس يا ولد ؟ ..
سمعت يا حضرة الناظر .. سمعنا كثيرا ولكن بعض
الناس ما زالوا على الرغم من نداءات الرئيس المستمرة وعلى
الرغم من كل القوانين ، وحتى على الرغم من نظام الدولة ..
بعض الناس ما زالوا يعيشون وكأنهم ينتمون لبلد آخر ودنيا
غير الدنيا التى نعيش فيها .. لماذا يا حضرة الناظر ينفق الواحد
منهم مئات الجنيهات كل شهر ثلاثمائة أو أربعمائة جنيه فى الشهر،
ونحن هنا .. نحن هنا نصنع الحياة بأيدينا ومع ذلك فما زلنا
نأكل اللحم مرة فى الأسبوع على الأكثر ونعيش على خبز الذرة!
.. يا سالم احمد الله .. كنت قديما لا تأكل اللحم الا فى مولد

سیدی مسعود وفی الأعیاد .. وکنت أحيانا تجهد لتجد خبر
الذرة ! .. الحمد لله يا حضرة الناظر .. أين نحن مما كنا فيه ،
ولكن ليس هذا هو ما نريد يا حضرة الناظر .. نريد أكثر من
هذا .. نريد أن نعيش كما يعيشون في المدن .. نريد أن نعيش
كما يطالب لنا السيد الرئيس ، ومن يعوق وصولنا الى هذا
المستوى من الحياة فهو ليس منا ، ويجب أن يؤخذ منه أكثر
وأكثر .. أنت يا حضرة الناظر مؤمن بهذا فلماذا تطالبني بأن أصبر
.. أصبر ، ورزق يعلقني الى جذع نخلة ويضربني بأقصى مما
يضرب خيله .. انه لا يستطيع أن يفعل هذا مع حصانه الأدهم ! ..
رح هناك في سراي رزق وانظر ماذا يأكلون .. العسل ..
يا حضرة الناظر .. الشهد يا عم عبد المقصود ! .. ونحن هنا في
قرية واحدة .. انه يسرق أرضي ليأكل بها العسل واللحم انهم
هناك أيضا يسرقون شيئا ما ، ليجدوا من المال ما يكفي لاقتناء
كلاب .. الكلب بخمسين جنيها وسيارات .. السيارة بخمسة
آلاف .. آه يا سالم لو تعلم أن هناك ما هو أهم ! .. ان ابنك
يا سالم يستطيع أن يكون رئيسا لابن الذي يقتني هذا الكلب ..
ولو أنك كنت قد تعلمت من الصغر لاستطعت ان تدخل الجامعة
ولم يستطع هو .. فنصيبك من العلم لا من المال هو الذي يحدد
مصيرك اليوم .. مع ذلك يا سالم فما زال لدينا طريق طويل بلا
نهاية لنحقق المساواة التي نعلم بها وليشبع كل انسان حاجته ..
لا تتمجل يا ولد .. المهم أن نعمل .. وان نجرى وراء الحق ، وألا

نسكت على ظلم .. والمهم أيضا يولد ألا تقول كلاما كهذا أمام
الرجل الغريب الذي جاء من المدينة كي لا يجسك ! .. فلننظر ..
ولنعلم .. ياسالم اسمم كلام عبد المقصود ، لا لأنه علمك فحسب ، ولا
لأنه ناظر المدرسة ، ولكنه جرب الكثير ولا تعرف ! أنت لا تعرف
يا سالم كيف كنا نعيش منذ عدة أعوام .. قولى له يا أنصاف ..
ولكنكم جيل متطلع نشأ مع الثورة .. وهناك آلاف من الأشياء
لا تستطيعون أن تقبلوها .. مات أبوك يا سالم وانت طفل .. كنت
في الثانية .. منذ خمسة عشر عاما ، قبل هذه الثورة بعامين .. لم
ياكل اللحم طول عمره غير مرات .. كان من أبرع الفلاحين هنا
ومع ذلك فقد عاش سنوات كثيرة بلا عمل .. كان يعمل أياما
قليلة في السنة .. والباقي .. ماذا أقول لك .. فلتقل لك أمك !
.. وخدم في قصر رزق على أواخر أيامه .. كان يزرع الخضر
حول القصر .. ومات فجأة بعد أن مرض أسبوعا بلا علاج ..
ومزقت أمك ثيابها وشعرها وصبغت وجهها بالسواد .. واختفت
عن الناس .. ولكنك كنت تصرخ في طلب الطعام ، فعادت تظهر
للناس .. أرملة صغيرة لم تبلغ العشرين في قمة جمالها ..
وطلب يدها رجال كثيرون ولكنها أقسمت ألا تعيش إلا لك
فرفضت كل الرجال .. وعضكما الجوع .. وعاد رجال كثيرون
يطلبون أمك .. ولكنها رفضت .. كانت ما تزال فاتنة ، أكسبها
الحزن الفاجع سرا غامضا فأصبحت أشد فتنة .. ولكنها ظلت
ترفض عروض الزواج .. واشتغلت في بيت العمدة ، لتجد لك

لقمة .. وعندما جاءت الثورة ووزعت أرض الأمير كنت في
الرابعة طفلا في خرقة ممزقة تجره أرملة حسناء مثقلة بالهموم ..
وأخذت أمك قطعة من الأرض يا سالم .. فدائين يا ولد ..
زرعتها أمك وملأت البيت خيرا ، واستغنت عن الخدمة في دار
العمدة .. وعندما كبرت شاركتها العمل .. فدانا من أجود
الأرض .. ولكنك لغفلتك ، تنازلت عنهما من أيام بعقد دسه
عليك المشرف وأخذت بدلا منهما فدائين من الأرض السبخ ..
كل تعبك هذا العام سيعود الى رزق .. ولن تأخذ شيئا من هذه
الارض السبخ .. أتسألني لماذا يعيش رجال في القاهرة كالمملوك
وأنت هنا دائخ .. أنت مع ذلك ملك بالقياس الى ما كنت فيه ..
ولكن هذا الفرق الشاسع بيننا وبينهم يجيء لأن أمثالك يوقعون
دون أن يفكروا وينسغنون ! .. أنت ابن جيل نشأ في الثورة ، فتح
عينيه على الغليان فما الذي جعلك تنخدع لرجل لا تثق فيه ..
وبعد ذلك تملأ الدنيا صياحا لأن أمك رأت في القاهرة سيدة تجر
كلبا بخمسين جنيها أو امرأة أخرى تقود عربة بخمسة آلاف جني
أو لأن رزق صلبك الى نخلة ! .. أنت الذي تسلم نفسك لتصلب
أيها الفلاح .. يسعك أن ترفض الخديعة .. والصلب .. تعلم من
فلاح قديم كعبد العظيم .. أتعرف ما الفرق بينك وبينه .. كان
عبد العظيم في مثل سنك يتحدى القانون والخطر والجيش المحتل
.. ولكنك أنت نشأت على أرض حرة .. حررتها لك الثورة
التي صنعها الذين سبقوك .. حررتها لك من الانجليز ، ومن

الاقطاع .. وأنت لا تعرف ضراوة الاقطاع يا سالم .. انك تناضل ضد أعداء أقل ضراوة والقانون معك والحكومة لك ، وكل شيء في صفك ، ومع ذلك تترك نفسك تنخدع ، وتترك جسدك يصلب على نخلة ليتلقى سياط الخيل .. خيبة الله عليك يا شيخ ! .. ما كانت أمك في مثل سنك تقبل هذا .. من أين جاءكم هذا الخوف يا أبناء هذا الزمن ؟ .. هم تخاف والحكومة معك !؟ .. ما كان الأمير نفسه عندما كان يحكم كل شيء هنا ، يجرؤ على أن يصلب رجالا من نوع عبد العظيم ! .. ومع ذلك فقد كانت الحكومة مع ذلك الأمير .. وكان من الممكن أن ترمى برجال من نوع عبد العظيم الى الطور أو الى أعماق السجن سنوات وسنوات لأنه رفع رأسه في وجه أمثال الامير ! ..

وبانت الحيرة مختلطة بالندم على وجه سالم الذي ألقى برأسه بين ذراعيه وهو جالس القرفصاء على الأرض أمام بيت عبد المقصود .. والى جواره وقفت أمه .. وقد جلسنا عبد المقصود وعبد العظيم وأنا على دكة مفروشة بالحصير .. وقال عبد العظيم :

— انت يا واد يا سالم قاعد على الأرض كده ليه ؟ .. ما مطرح واسع .. ما تيجى تتلقح جنبنا يا وله .. ما هو طول ما انت قاعد على الأرض كده حايفسفوا بك الارض .. يا واد ارفع راسك يا وله .. يا واد دا الريس بيقول لكم ارفع راسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد ..

وقالت أنصاف لابنها :

— قوم يا سالم يا ابني أقعد جنب عبد العظيم .. ما هي
الدكة براح .. وبطل تخاف بقى !

ونفض سالم بيظه .. وقد توترت عضلات وجهه ، وهو
ينظر الى أمه مغنيظا لأنها اتهمته بالخوف .. وأدار نظراته بهدوء
رهيب فى كل شىء حوله ثم قال فجأة :

— طيب وإيمان المسلمين لاكون صالب رزق على النخلة
وضاربه بعصاية الحمير !

وضحك الجميع .. ولكن عبد المقصود أفهمه أن الأمور
لا تعالج هكذا .. والطريق هو أن يلزم رزق حدوده فيحيا آمنًا ،
وأن يعيد ما اغتصبه عن طريق الخديعة ، وأن يعاقب المشرف ..
ولكن عبد العظيم زعق :

— والله طول ما رزق طامعان فى الأرض ما فيه فائدة الا لو
زحناه من هنا خالص .. لكن قل لى ايه العمل فى الواد الافندى
اللى جه من مصر ده .. اللى احنا ما احنا عارفين اسمه .. قال
ايه مندوب الحكومة .. اللى ما عارفين لا اسمه ولا شغله ..
وأهو نازل حش فى البلد !

وسألت أم سالم عما حدث له وهل قابله عبد العظيم وعبد
المقصود .. فلم يجيبا .. ولكن سالم رد عليها :

— ما بقى لو يومين فى الجمعية وسى نايب العمدة الواد توفيق
أبو حسنين جاب له سرير .. وداير ورا أبويا الشيخ طلبة علشان

يخلى البت تفيدة تخدمه .. لكن ما فيش فايده .. لا سيدنا راضى
ولا البت راضية .. بقى تفيدة تخدم واحد عازب جاى من مصر
لا عارفين نه أصل ولا فصل ولا حتى اسم ا ما تجوزها لى ياسيدنا
بلا صلابة رأى فاضية !

وقالت أنصاف :

— أنا اشتكيتنه زى ما قلت لكم فى الوزارة .. قالوا لى ولا
نعرفه من أصله ا .. والا حد بعته !

ولكن هذا الرجل ، كان قد أخفى اسم الجهة التى أرسلته ..
لم يقل الا أنه مندوب الحكومة

وهذا الغموض الذى يحيط به نفسه ، يشيع حوله جوا
من الرهبة ويثير فى قلوب الفلاحين شيئا كالخوف . وقد اختلى
بتوفيق حسنين طويلا ، منذ ذلك اليوم الذى هبط القرية فيه ..
يوم أصدر تعليماته بفض الاجتماع وطالب عبد العظيم وعبد
المقصود أن يجيئاه بعد المغرب فى منزل « رزق بك » فلم يسألا
عنه ولم يذهب اليه أحد بالطبع .. الا الشيخ طلبة .. ولكنه
عامل الشيخ طلبة بغلظة .. وقد رأى الشيخ طلبة أن زوجة
« رزق بك » نستقبله بالترحاب ، وقالت له ابنته تفيدة ان هذا
الرجل الغريب اسمه اسماعيل ، وأنه ينادى زوجة « رزق بك »
بيا « تانت » وأنها تقول له « سمعة » وان « سمعة » هذا هو ابن
أخيها .. ولكن الشيخ طلبة لم يصدق .. وشتم ابنته ..
فما يعرف هو من قبل أن زوجة « رزق بك » لها أخ

عنده ولد يمكن أن يكون نائبا للحكومة ! غير أن
 الشيخ طلبة عماد فتذكر أنه لا يعرف أيضا ان كانت زوجة
 رزق بك لها اخوة أم لا ! .. اسماعيل !؟ .. اسماعيل ابن من !؟
 وعاد الشيخ طلبة يقول لنفسه « واذكر في الكتاب اسماعيل » ..
 ويضحك .. على أن زوجة رزق بك نادت الشيخ طلبة وسمع
 بنفسه هذا الزائر الغريب يقول لها يا « تانت » ما معنى « تانت »
 هذه !؟ .. لقد شتم ابنته حين نقلت له هذه الكلمة وتصور أنهم
 كانوا يتحدثون عن طنطا فلم تفهم البنت تفيدة .. وسأل هو عن
 معنى « تانت » فقالت له زوجة « رزق بك » أن « تانت » هذه تعنى
 عمه أو خالة .. وأن اسماعيل هذا في مقام ابن أختها أو ابن
 أخيها .. فأبوه وأمه أولاد خالتها .. وهم يعيشون في القاهرة ..
 وقد جاء اسماعيل موفدا من « رزق بك » ليعمل على تهدئة
 الأحوال في القرية حتى يعود رزق فيجد كل شيء في حاله ..
 وعندما سألها الشيخ طلبة عن وظيفة « سى سمعة » غضب « سمعة »
 قائلا :

- ولا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم .. وبلاش
 « سمعة » يا شيخ انت ..
 وضحك الشيخ طلبة قائلا :

- دا انت بتتكلم بالآية أهه .. طيب يا سيدى ربنا يبارك
 فيك يا سى اسماعيل .. طب يا سيدى واذكر في الكتاب
 اسماعيل ..

ولكن الزائر الغريب طلب من الشيخ طلبة الا يذكر اسمه

لأحد .. واستحلفه على هذا .. سيظل اسمه «نائب الحكومة» ..
وهو كفيل باقرار الأمن في القرية .. وسيعمل من جانبه على
كفالة كل الحقوق .. وطلب من الشيخ طلبه أيضا الا يذكر لأحد
قرايته بزوجة رزق بك واستحلفه على هذا .. وعند ما أوشك
الشيخ طلبه أن ينصرف سأله الرجل الغريب أن يسمح لابنته
تفيدة بالعمل عنده فرد الشيخ طلبه مضطربا :

— لا لا يا سيدنا اليه .. قلت لك بلاش في دي .. لو كانت
جماعتك هنا ما كانشى فيه مانع .. لكن كده لا .. ثم انت يعنى
عاوز ايه ! .. الأكل ويروح لك من سراية رزق بك . والجمعية
والغفر بينضفولك المطرح .. بلاش في دي .. بلاش السيرة دي تانى
وقالت زوجة رزق بحددة ، وقد اقتنصت نظرات اسماعيل
الى جسد تفيدة .

— ما تفكرش تانى في حاجة زى دي .. عيب !
وغمر وجه اسماعيل خجل مباغت ! .. لأول مرة منذ هبط
القرية . يدهمه هذا الخجل ! ..

وخرج الشيخ طلبه مهرولا وهو يجذب يد ابنته .. وبعثا
حاولت زوجة « رزق » أن تقنع الشيخ طلبه بترك تفيدة .. ولكنه
قال وهو يكاد يجرى هاربا بابنته :

— لما اليه نائب الحكومة يروح لحاله أبقي أشيعها لسعادتك
.. هو احنا قد نائب الحكومة .. اللهم احفظنا .. اللهم حوالينا
ولا علينا .

أمام منزل رزق ، كان اسماعيل فى الشرفه يتحدث مع توفيق
حسنين .. عبد العظيم وعبد المقصود لن يزوراه فى منزل رزق
بك .. وطلبهما مرات فما جاء .. هذا كله سيسقط الهينه التى
فرضها- أول يوم جاء .. ما العمل ؟! .. وطلب من توفيق حسنين
أن يحكى له ما يعرفه عن عيوب و ما أخذ كل من الرجلين ! .. أى
شئ .. يستطيع أن يقوله توفيق .. كان عبد المقصود افندى قديما
يحب النساء .. وكان غزلا .. ولكنه منذ عشر سنوات على
الأقل صلح حاله واستقام ولم يعد أحد يعرف عنه ما يشينه ..
وكل القرية تحترمه .. عبد العظيم ؟ .. عبد العظيم هذا لا شئ
عليه .. ولكنه عاد الطبع بعض الشئ .. عنيد أحيانا .. يهاجم
ما لا يعجبه .. وعاد اسماعيل يسأل .. ما عيوبهما ؟ .. أليس
لواحد منهما فضيحة قديمة .. تهمة لم تثبت .. أى شئ مما
يمكن أن يهدد به الآن ؟ .. لا شئ ! .. لا شئ والله .. وضاق
اسماعيل بتوفيق حسنين .. انه نائب عمدة خائب .. ولو كان
يعرف خيبته لما أعلنه نائبا للعمدة .. يجب أن يبحث عن مخاز لكل
واحد من أهل البلد يستطيع أن يهدد بها فى الوقت المناسب والا
.. فلن يبقى نائب عمدة ! .. وأقسم توفيق حسنين أن يجتهد
.. لا بد أن يجد شيئا لكل واحد من أهل البلد ، وبصفة خاصة

عبد المقصود ناظر المدرسة ، وعبد العظيم .. ولكنه يشعر بقلق لأن منصب نائب العمدة هذا جاءه بلا أوراق .. كل ما في الأمر أن اسماعيل أعلن أن توفيق هو نائب العمدة .. وسأل توفيق متحسبا :

— يعني ما فيش ورقة كده .. اشارة تليفونية .. يعني حاجة تثبت لأهل البلد انى نائب العمدة ..

— هو حد اعترض ا؟ .. أنا قلت كده خلاص .. ورق ايه و اشارة ايه .. أنا ممثل الحكومة كلها هنا وقلت كده ا .. انت بتشك فيه ؟ حد هنا فى البلد دى بيحكى فى ا ..

وأخذ اسماعيل يفكر فى ضربة مباغطة تأخذ البلد على غرة وتفرض هيئته التى يهددها اهمال عبد العظيم وعبد المقصود له وتجاهلهما أوامرهم .. وسأل :

— مين أقرب الناس لعبد العظيم وعبد المقصود ؟

— الواد سالم .. عنده كلامهم كأنه منزل من السما ..

— سالم له عيلة فى البلد .. ليه حد يستند عليه يعنى ..

له أقارب فى مصر .. يعنى مسنود ا؟

— مقطوع من شجرة .. مالوش غير أمه جاته داهية فى امه

.. بتروح مصر تقابل الوزرا .. تكونش فاكركه انهم حايعملوها وزيرة ا ..

وصمت اسماعيل صمتا طويلا .. ثم قال :

.. روح افده لى الواد سالم ..

وذهب هو الى مقره فى المضيئة ، حيث وضعوا له سريرا فى
مقر الجمعية التعاونية .

وعندما عاد توفيق بسالم .. كان سالم يزعم :

– الله هو ماقيش ملطشة فى البلد غيرى .. ده دى ..
ده على رأى عبد المقصود أفندى أنا فتحت عينى على الثورة دى
.. عايزين منى ايه ا؟ ..

وسأل اسماعيل :

– اسمع يا سالم .. أقعد وقل لى .. أتم بتتكلّموا فى ايه
انت والناظر وعبد العظيم

– ماتسألهم .. روح جنابك اسألهم .. استناهم لما يرجعوا
من لجنة الاتحاد الاشتراكى بتاعة المحافظة وروح اسألهم ..
وأسقط فى يد اسماعيل .. ان سالم يقول له شيئا مذهلا
دون أن يشعر ..

– هم راحو هناك ا؟ .. امتى ا؟ وماجتش قلت لى ليه ا؟
أى حاجة تسمعها منهم لازم تيجى تقولها لى على طول أحسن
ما يحصلكش طيب ! .. ان مشيت معايا كويس حاكمك .. لعبت
بديلك انت عارف بقى .. حاوريلك !

وزعم سالم :

– يعنى عاوزنى أفتن عليهم ؟ يعنى أشتغل لك جاسوس ؟
حضرتك كده عايزنى أخونهم يعنى ؟ .. طب لأ .. مش قايل لك
حاجة من أصله .. واللى تقدر تعمله عمله .. يعنى حاتعمل ايه

فيه ؟ .. حاتصلبني على نخلة يعني ؟ .. دا كان زمان ! .. دا
الريس بيقول ارفع رأسك يا أخى !
- حاقطع لك رأسك ! ..

- يعنى الريس بيقول ارفع رأسك علشان تيجى تقطعهاالى ؟ ..
انت مين انت ؟ .. حكومة مين دى اللى انت نايبها ؟ .. ورينى
كده تحقيق الشخصية بتاعك ؟ .. انت بتشتغل ايه ؟ .. فهمنى
طب وأيمان المسلمين لاقطع جدرك قبل ماتقطع راسى ..
واتفض الرجل الغريب وتحرك نحو الباب بسرعة :

- يانايب العمدة خدالواد سالم على أودة التليفون .. احبسه
فيها ووقف عليه خفير بيندقية .. وخللى اتنين خفر يمدوه
ويضربوه .. أنا رايح المحافظة أشوف ازاي ناس فى البلديروحو
يتصلوا بلجنة الاتحاد الاشتراكى هناك بدون اذنى .. أنا هنا
مستول عن البلد وحا اعرف أربى المشاغبين اللى فيها .. خدوا
للولد ده على أودة التليفون واولع الا لما أرجع .. لاياكل
ولا يشرب ولا يروح دورة المية .. وما يخرجش من الأودة لأى
سبب .. ولازم ينضرب .. ويبقى يخللى أمه تروح تشتكى
للوزير .. أمه دى ماتطلعش من البلد ! .. انصاف دى ماتسيبشى
البلد أبدا ..

وزعق سالم وهو يحاول أن يتخلص من ذراعى توفيق المحكمتين
حول كتفيه :

- هو أنا ملطشة .. أنا ابن الثورة دى ! انت مين انت ؟ ..

أنا فلاح والثورة دى بتاعتى .. تجبسنى انت ازاي من غير
جريسة ؟ ..

واعتصم بالحائط تحت صورة الرئيس .. ولكنهم دفعوه
الى بعيد .. ومالت الصورة ، فأصلح سالم وضعها وتوفيق
يدفعه بعنف ..

وقال سالم وهو ملتفت الى الصورة :

— دا يرضيك ؟

وقف توفيق حسنين ممسكا بسالم أمام غرفة التليفون ،
وعلى المصطبة أمام الغرفة ، قعد هلالى الخفير ، لايبالى بشىء ،
وهو يدير مغزله الصغير بحركة سريعة من اصبعيه ، وابهامه ،
ويلف الخيوط الدقيقة حول عود خشب المغزل ، وينسق الصوف
الأبيض بعناية بيده الأخرى .. ويخطف نظرات الى وجه سالم مبتسما:
— دى الطاقية بتاعتك ياسالم .. ان شاء الله كده على ماتخلص
غزل ونسج يكون سيدنا الشيخ طلبة وافق على جوازك بتنفيذ
بته .. ندرن على ياشيخ والندر أمانة لانسجها لك بنفسى، وانسج
لك فيها خيط حرير وألبسها لك ليلة الفرح .. ماتشدحيلك ياواد
كده مع سيدنا ! .. هو حيلاقى أحسن منك ! مش بدل مايرميها
لواحد يخلفها !

وشعر توفيق حسنين بضيق وحرص .. هذا الخفير هلالى
يتجاهله .. انه يتركه واقفا ممسكا بقفا سالم ، ويوجه حديثه الى

سالم .. من سالم هذا المعدم ، بالقياس اليه هو المالك القديم صاحب
أحد البيوت الكبيرة في البلد ووارث الكثير من القطع الذهبية ..
وهلالى لا يكتفى بهذا .. انه يرفض أن يستلم منه سالم ليضعه في حجرة
التليفون أو يجسه في حجرة حفظ سلاح الخفراء ان كانت حجرة التليفون
لا تصلح .. ويذهب الخفير هلالى الى آخر المدى حين يوجه كلامه
الى سالم ، ويحدثه عن زواجه .. وعن تفيده بالذات .. تفيده
التي لا يخفى على أحد اعجاب توفيق حسنين بها ، وتفكيره أحيانا
في أن يتزوجها على زوجته ! .. ان هلالى يعنيه هو حين يعرض
بأن أباه ربما رماها الى واحد يخلفها .. فالشيخ طلبة لا يكتفم
عن أحد أمنيته أن يرى ابنته تفيده ، مخبأة في بيت رجل مستور ،
ولو كانت زوجة ثانية ! .. وتوفيق يكتفم اعجابه بالبنت ويشتمها
• أمام الناس •

كانت الشمس الغاربة تلقى أشعتها الذهبية على الفضاء امام
حجرة التليفون وعلى جدران البيوت الداكنة .. وبعض الاوز
يتخايل في مشيته عائدا الى دوره وهو ينفض بريشه قطرات ماء
علقت به بعد أن سبح في قناة صغيرة أمام البيوت .. وطرقات
القرية قد بدأت تستقبل العائدين من الحقول ، بالبهائم وأحمال
البرسيم .. وقام الخفير هلالى من على المصطبة بعد أن لف المغزل
بخيوطه الدقيقة وقطعة الصوف ، ووضعه في درج مكتب خشبى
قديم ، بحجرة التليفون الضيقة .. وعاد يتأمل وجه توفيق
حسينين :

– قلت لك لايمكن يا توفيق يا ابو حسنين ! .. هي كلمة
واحدة مالهاش تانى .. احبس سالم بتاع ايه؟! لا بد عن امر
حبس ..

– يا واد اسمع الكلام .. خده لقحه ولو حتى لحد الصبح
.. اسمع الكلام يا وله ..

– وله؟! .. انت بتقول لى يا واد .. هو انت العمدة ؟ ..
والا المأمور . ومع كل اللغوة دى مابطلت .. أنا هنا مواطن زبى
زيك وزى العمدة والمأمور والمحافظ سوا .. دا انت مش عايش
فى الزمان ده ..

– أنا باقول لك احبسه أحسن لك ! .. احبسه أحسن لك
يا هلالى ..

– انت حاتهننى ؟ .. أحسن لى يعنى ايه ؟ .. هو أنا كنت
عبد المرحوم أبوك .. دا أنا هنا يا أخى خفير .. وفى عمل رسمى
.. تقوم تيجى تقول لى يا وله وتهتنى وتعتدى على بالقول والاشارة
.. أهو انت بقى اللى تستحق الحبس . طيب خبير عليه ان ماغرت
من قدامى لأبلغ ضدك وأحبسك لحد مايجى حد من المركز
يستلمك ..

– انجبت الميه فى زورك .. باقول لك خد سالم احبسه
لحد الصبح .. امر حبس ايه يا اخوى اللى بتقول عليه ؟ .. أنا
أديك الأمر .. هه .. أنا هنا نايب العمدة .

– نايب العمدة ؟ . انت نايب العمدة يا توفيق يا ابو حسنين؟ ..

ومين اللي نزلك نايب عمدة ؟ لاجالنا أمر ولا اشارة من المركز ..
قال نايب العمدة .. ياخى جاتك نايبه ! ..
- دهدى .. على كل حال دى أوامر البيه اللي جه من مصر
.. البيه ممثل الحكومة !

وضحك هلالى .. واهتز بدن سالم بضحك مكتوم ، وهو
يرى الخفير هلالى ، يرفع يديه الى رأسه مجيبا فى سخريه ، ثم
ينحنى ويقوم ، ويده تتردد بين رأسه وجنبه فى حركة عسكرية
مبالغ فيها :

- سلامات يا نايب العمدة .. سلامات ياسعادة البيه يامثل
الحكومة .. طب انجر من قدامى بقى .. ايه ياخويا البلاوى
اللى بتطب عالبلد دى من غير ما حد يدري .. أهى بتنخفى رخره
من غير ما نحس .. تيجى فى ضلام الليل وتغور فى ضلام الليل ..
الهى تنخفى ياتوفيق يا أبو حسنين من البلد زى البلاوى اللي
جت قبلك وانخفت !

وشعر توفيق حسنين أن الخفير هلالى ، يعرض بأمه .. هى
الأخرى جاءت البلد فجأة ، واختفت فجأة .. ولكم عانى من هذا
وهو طفل ، وما برح يعانى ، كلما تذكرها أو شعر بأحد رجال
القرية أو نساها يعرض بها من بعيد .. هلالى هذا بالذات كان
يعيره بأمه وهما طفلان معا ..

وفى الحق أن الخفير (هلالى) لم يكن يفكر فى شىء من
هذا .. كان يفكر فى رجال جاءوا من المدينة عبر السنوات

الماضية ، ففرضوا على القرية سلطانهم وارهابهم لبعض الوقت ثم
نزحوا .. كان القادم الجديد من المدينة الذي يسميه توفيق
مثل الحكومة ، يحمل الى القرية ذكرى كريهة من هؤلاء الرجال
المتسلطين الذين تخلصت القرية منذ زمن من زياراتهم المباغثة ..
وانفجرت ضحكات سالم التي كتمها طويلا ، اذ يد توفيق
تنحط بقبضتها الثقيلة على قفاه .. واهتزت عروق رقبتة الطويلة
النحيلة .. وهو ينظر الى توفيق أمامه يكاد يتزائل ، ثم ينحني
فجأة ، فيضع رأسه في الأرض والألوان تختلط في وجهه ..
السمين المتكرش ! ..

ولم يعرف توفيق ماذا يقول .. وفكر أن يهجم على هلالى
فيضربه .. ولكنه وجده أمامه فارعا مفتولا .. وكأنه يراه لأول
مرة .. لوجهه الأسمر هيبه خاصة .. وجه فلاح هادىء يحمل
سخرية صامته ، بعينين ضيقتين مشعنتين ، وفم مطبق على شىء
كالاصرار ، وشارب كثيف مهوش مبروم الطرفين .. ولا شىء
بعد في وجهه يوحى بأنه قتل ذئبا بيديه .. بلا سلاح ! .. هاجمه
الذئب وهو يروى أرضه ذات ليلة . ذئب شرس كانت الكلاب
تخشاه ولا تجسر عليه .. فاستدار هلالى ، وأمسك بفكى الذئب
.. كل فك بيد ، وظل يباعد ما بين الفكين ، في لحظات خاطفة ،
تجمع لديه فيها كل ماتمنحه غريزة البقاء من قوة .. وبعددقائق
كالدهر انصبت في ذراعيه خلالها كل قوة الحياة أمام الخطر
الأصم .. استطاع أن يفسخ فكى الذئب .. فهوى جثة تعوى ..

وتركه يموت ، وراح هو يزعم في القرية أنه قتل الذئب . فقامت
القرية كلها تشاهد بطولته .. ومنذ ذلك اليوم أسموه (أبو زيد
الهلالى سلامة) .. بل ان بعض الصغار قالوا عنه أنه أقوى فالبطل
القديم كان يقتل الاسود بالسهم .. أما أبو زيد الهلالى الجديد فهو
يقتل الوحش بيديه ! ..

أمن أجل هذا تهزأ بتوفيق حسنين !؟ .. ولكن لك يوم !
ومضى توفيق حسنين الى داره منكس الرأس وفى أعماقه
الحمى .. لك يوم يا أبو زيد الهلالى سلامة .. انت قتلت الذئب
بيديك ، وأصبحت تفخر على أهل البلد بهذا .. ولكنى سأعرف
كيف أوذبك .. سيضربك بنعله من لاتجرؤ على رفع رأسك أمامه
.. وسأقتنصك يوما فى لعب العصا ، فى أى فرح قريب فى البلد
.. لست خير لاعب عصا فى البلد ولكن الناس تهابك .. مع ذلك
فكم من مرة شهدتك تلعب ورأسك مكشوف لخصمك ..
فبيادلك هو أيضا الاشارة ولا يضربك وأحيانا يجاملك فلا يشير
الى ما كشفته من جسدك يا أخيب لاعب عصا .. ولكنى لن أنبهك
.. سألاعبك بأصول اللعبة وأعرف كيف أوذبك .. فى أقرب
فرح .. ربما كان فرح تفيدة .. مالك أنت بتفيدة وسالم ..
أتزوج تفيدة لسالم ، هذا المعدم ، وتترك البيت الملىء بالخير ..
ستكون تفيدة لى .. مع ذلك فلترح فى داهية انت وهى وسالم
وسيدنا .. كلكم .. أعطوها لسالم ان شئتم .. وسأضربك فى
فرحها .. هو أيضا يسمى نفسه الزير سالم .. بطل كبير من

التاريخ .. هذا السقيم الأصفر الذى كانت رقبتة فى يدي كرقبة
كنكوت لو شددت عليها لانكسرت ! .. أصبح هذا الولد ابن
السبعة عشر عاما فى يوم من الأيام مثل هلالى يقتل ذئبا بيديه ،
ويخافه الناس ويحسبون حسابه فى لعب العصا .. كنا أطفالا معا
ياهللى وما كنت تجرؤ على أن تكلمنى .. وعندما كنت أخرج
من بيتى عصر كل يوم بجلباب نظيف ، والكولونيا على رأسى .
وفى يدي الفطير الساخن والحلاوة الطحينية أو السكر كنت تنظر
الى مثل كلب جائع .. ما أعطيتك أبدا من فطيرى .. ولكنك مرة
بكيك وتوسلت الى أن أذيقك هذا الفطير المعجون باللبن ، أو
الحلاوة الطحينية ، أو السكر .. وحين عطفت عليك وأعطيتك
لقمة ، طمعت وطلبت أخرى .. ما كان هذا ممكنا فما خبزوه
لك ! .. وتركتك تلحس قطعة السكر والحلاوة .. وبدلا من
أن تشكرنى شتمتنى وقلت لى اتنى بخيل كأبى ! .. طول عمرك
جاحد ! وضربتك يومها ، فلم ترفع يدك .. كان حجمى ضعف
حجمك وكنت هزيلا ممزق الثوب كالح الخلقة .. وظللت أضربك
فى كل مرة خالفتنى فيها ونحن فى المدرسة .. وكنت تعرض بأمى
أحيانا ولكنى كنت أعجنتك من الضرب .

وفجأة عندما خشنت أصواتنا أمرتك أن تصنع لى كرة من
خرق قديمة للعب الحكشة .. كنت تتقن ذلك الخرق فى الكرة ..
ولكنك رفضت وطلبت منى ألا آمرلك بهذه اللهجة .. فصفتك
.. ولكنك هجمت على بغتة وأوقعتنى فى الأرض ولم أستطع

مقاومتك .. لا أعرف كيف حدث هذا .. وشعرت بذراعيك أقوى
من ذراعى وبضرباتك قاسية شرسة لا رحمة فيها .. وخنقتنى
حتى تركت أصابعك علاماتاً في رقبتى .. مازلت أشعر بمس
أصابعك المعروقة كأنها قضبان رقيقة من حديد لايقاوم ، تلتف
حول رقبتى ، وتخنقنى .. الآن أيضاً أشعر بهذا الاختناق .. لم
أحاول أن أضربك بعدها أبداً ولكنى سأضربك يوماً ما .. وأعرف
كيف أؤدبك .. موعدنا أقرب فرح أيها الفلاح ! .. كل فلاح في
البلد يكرهنى لأننى ورثت عن أبى أجود أرض ، وبيتاً من أكبر
البيوت ، وبعض قطع من الذهب .. لو لم يخافوك ياتوفيق حسنين
لأكلوك .. لونهم الأسمر ، وهزالهم ، وجلاليتهم الرخيصة ، كل
هذا جعلهم يضيقون بك ..! بياضك الذى يكشف أصلك العالى
العريق ، وسمنتك التى تدل على غناك وبرك لنفسك ، وثيابك
الفاخرة وهى من فضل الله .. وأنت فوق هذا جليس البه رزقاً

كل فلاح هنا يتمنى لو اقتلعتك من جذرك ، ولكنك ستعرف
كيف تؤدبهم ! .. من أكبر فلاح فيهم ؟ .. عبد العظيم .. لا لا ..
مالنا ولعبد العظيم ! .. هلالى .. سأعرف كيف أؤدبه ، وسيكون
تأديبه أوقع أ وأردع للبلد الجاحد الحاسد .. حتى تفيدة يحسدونك
عليها .. لا أحد يريد أن يراها زوجة لك .. مع ذلك فأبوها يتمنى
إشارة .. البنت حلوة كبطة سمينة ، كأوزة محمرة بالسمن البلدى ، ولكن

الملعوننة زائفة العينين ! .. هي تحترمك ولا شك .. ولكن نظراتها
أحيانا تحمل معنى التوسل أن أتركها في حالها .. توسل يخالطه
شئ كرهه كالاشمئزاز .. تماما كنظرات سالم وهو في قبضتى ..
لكننى أمسكته من قفاه لأدير نظراته عنى وليكون عبرة لمن لا يطيع
كلام البك ممثل الحكومة .

اتصالك بهذا البيه اسماعيل يمنحك هبة خاصة .. لا تقل
عنه اسماعيل حتى فى شرك كيلا تخطىء أمام الناس .. اسمه ممثل
الحكومة .. لعنة الله عليه ! .. عينه من البنت تفيدة ! .. ماذا
يحسبنى .. كبش !؟ .. ربما !

سأذهب اليه الآن فربما كان قد عاد من المحافظة .. لا .. انه
قال لى انه سيبيت هناك ، وانه ربما سافر الى القاهرة .. عندما
يعود سأقول له ان الخفير هلالى رفض أوامره .. ولكن هذا
يظهرنى أمامه بلا كلمة فى البلد .. أأعترف أمام ممثل الحكومة أن
خفيرا مثل هلالى لا يسمع كلامى أو لا يمثل لاشارة من طرف
أصعبى ؟ ..

لا .. لا .. هلالى له يوم ، سأؤدبه بطريقة أخرى ، ولنقل
لممثل الحكومة أن سالم حبس تنفيذاً لأوامره وأوامرى بوصفى
نائب عمدة ، حتى أخرجه حضرة الناظر عبدالمقصود وعبدالعظيم ..
مثل الحكومة يعلم أنهما يتحديان أوامره ، وانها بلد بلا عمدة ،
ولا نائب عمدة ... وحتى نقطة الشرطة تركتها من مدة الى القرية

التي يوجد بها مكتب المشرف وقصر الأمير السابق ، ومكتب البريد والتليفون ، وكل ما يصل الفلاحين بالمدينة ..

وانطلق سالم الى أمه .. وفي الطريق لقي الشيخ طلبة وابنته تفيدة ، فاستوقفه الشيخ طلبة في غضب :

— انت داير تبرطع في السكة كده ليه يا اوله .. أمال بيقولوا ان البيه ممثل الحكومة أمر بحبسك .. وأنا شايفك داير زى الرهوان السايب اللي من غير لجام .

— حبس ايه ياسيدنا .. هو أنا عملت جناية .. وهو له أمر عليه ؟ حد له انه يحبس حد من غير جريمة ؟ .. ازيك ياسيدنا ، سلامات ياتفيدة ! ..

— اخرس .. مالك ومال تفيدة ؟ انجر على غيطك والا على دارك ..

ولكنه توقف وعيناه على تفيدة .. كان وجهها يتضرج من الحياء ، وفي عينها يتراقص بريق فرح .. وكانت نظراتها تشي بسعادتها الغامرة لأنها وجدت سالم أمامها حرا .. وليس في الحبس ! .. وأوشكت أن تزغرد ، ولكنها كتمت صوتها قبل أن ينطلق .. وأضاء وجهها كله .. وجه أسمر صاف ، يتسم للحياة ويحلم ..

وظلت عينا سالم تنظران اليها بأمل وشغف .. الى جسدها البديع الممتلىء المستريح ، والى عينها .. وتكسرت نظراتها حين

التقت بنظراته ، وحولت عينيها الى الأفق البعيد الذى صبغه
المساء بألوانه الذهبية والزرقاء .. والنخيل وأشجار التوت تبدو
في الأفق أمام عينيها كأنها أشجار سحرية في عالم عجيب غامض ..

وتنهدت دون أن تشعر ، وقد كسا الأصيل وجهها وشعرها
بألوانه وبغضوض مثير .. وزعق سالم بغتة :

– ازيك ياتفيدة .. سلامات كده !

وكان الشيخ طلبة قد تقدم خطوات وهو يحسب أن سالم
قد انصرف وان ابنته الى جواره ، واذ رآها مازالت تقف وأمامها
سالم رجع غاضبا :

– انت لسه واقف ؟ .. انت حاتفتح لى محدت مع البت ..
ايه اللي سلامات كده .. الله لايسلمك .

واقض عليه بعصاه فلسمه على كتفيه .. وجرى سالم
ضاحكا :

– ياسلام ياسيدنا .. دهدي .. هو أنا خلاص بقيت الملطشة،
بقيت الهفية .. مقبولة منك انت بس ! طب اضرب كمان .. بس
نولنى المرام ، نولنى اللي عليه القصد والنية .. اللي عليه العين
بتدور .. دا أنا الزير سالم ياسيدنا الشيخ طلبة .. وراكب فدانيين
في أحسنها أرض ، نولنى المرام بقى .

وجرى يتراقص على تكسر ضحكاته وتفيدة تخفى فمها بكفها
وهي تتابعه نصف مغمضة بنظرات متلصصة وتهمس انفسها :

— اخص عليك ياسالم .. كده تكسفى قدام أبويا !! ..
واندفع الشيخ طلبة متأففا وهو يهمهم :

— أنوله المرام قال .. جاك رمية ماتقوم منها ..
فقلت تفيدة بذعر :

— حرام يابا .

ورفع عليها الشيخ طلبة عصاه مهددا :

— اخرسى يا بت .. حرمت عليك عيشتك .

— حاضر يابا .

وتابع سيره ثم توقف فجأة وطلب منها أن تذهب الى
عبد العظيم .. ولكنه تذكر أن الطريق الى دار عبد العظيم يمر
بدار سالم ، فعدل .. وقال لها :

— نادى لى حضرة الناظر عبد المقصود أفندى أحسن نشوف

ايه اللى عملوه فى المحافظة .. والا أقول لك بلاش يابت .. ان
كانوا رجعوا آهم حاييجوا على صلاة العشا فى الجامع ..
ولو انهم ساعات ما يهوبوش ناحية الجامع الا فى صلاة الجمعة ..
وياريت كل جمعة .. الواد عبد العظيم دا كان زمان يخاصم

الجامع بالشهر واللاتين وما يجيش الافي الاعياد .. دلوقت بيصلى
الجمعة بس علشان يسمع خطبة عبد المقصود أفندى .. استنى
يابت .. لاتروحي لا هنا ولا هنا انجری قدامى .. وأهو الصباح
رباح .. هم يعنى حايعملوا ايه فى المحافظة .. حايجيبوا راس
كليب؟! ياخواتى غابوا ليه كده؟! .. خير يارب خير .. يكونوش
حطوا فى أيديهم الحديد .. لكن ليه بقى .. القصد .. الدنيا
الواحد لا عارف لها أول من آخر .. والبلد حا تنخبص فى بعضها
.. وآخر المواخر المنجوس سالم جاى يقول عيني عينك قدام
البت نولنى اللى عليه القصد والنية .. وقال راكب فدانين فى
أحسنها أرض .. ركبك فرخين من فروخ الجان ويكونوا عصاة
من الذين كفروا بسيدنا سليمان .. فدانين فى أحسنها أرض قال
.. ماخذهم منك البيه رزق ياخايب والمشرف مضاك على غيرهم
وعامل لى بتقرا ، وعامل لى الزير سالم؟! فالح بس تقول ليه
ياسى رزق .. طب قول يابيه وحافظ على أرضك .. عقل
عيال ! ..

— هى حكاية المشرف حاتنتهى على كده بابا؟ .. خلاص خدوا
الفدانين بتوع .. يعنى .. بتوع خالتى أم سالم وحايدهم فى
الأرض السبخ؟! ..

— اتنى مالك يابت .. أوعى تانى مرة تجيبى لى سيرة سالم

والا تحشرى نفسك فى سيرته •

– أنا باقول يعنى على اللى بيعمله المشرف مع أهل بلدنا
الغلاية ••

– واذت مالك ؟ الله •• واحنا مالنا •• احنا لا لنا أرض ولا
لنا مصلحة بالحاجات دى ، ولا بنزرع ولا بنقلع •• احنا ما لنا ؟
•• غيرشى بس الواحد ماشى فى الصلح بين أهل البلد •• وأصلحوا
بين أخويكم ••

– ماهو مسيرنا نزرع يابا •• ماهو برضه ••

وشعر أبوها أنها تشير الى أن مصيرها أن تتزوج بفلاح ••
ربما كانت تعنى سالم بالذات ، فأمرها غاضبا أن تخرس ••
وأحست هى أنها أخطأت •• جرت مع أحلامها دون أن تشعر
فتوقفت عن الكلام •• وهز يديه غاضبا وهو يتمتم :

– الدنيا خسرت •• حتى البنات ييناقروا أبهاتهم وناقص
يكلموهم فى الجواز •• أمال لو رحتى محو الامية بقى دا أنا مش
حاقد علىكى •• تيجى تقولى لى بقى انك عاوزه تتجوزى
هباب الطين

– صلى عالنبى يا با

وانطلقا ، وهى تدارى خجلها ، وتحلم .. وأبوها الشيخ
طلبة يلعن الزمن !!

وسرت من ناحية الحقول نسمات باردة ، فتلفع الشيخ
بشاله جيدا ، وأحكمه حول رقبته ، وأحسن لف العباءة حول
جسمه المهزول ، وابنته الى جواره ، تشمخ برأسها وتستشق
الهواء بعمق وتفتح صدرها الملىء ، لليل والانسام ..

ارتعد الشيخ طلبه وهو يسرع نحو داره :

- ياللا يا بت يا تفيدة ياللا .. احمى لنا القاعة احمى

- مافيش حطب كفاية للحمية

- طب شوفي لنا شوية قوالح عند عبد المقصود أفندي كده

وتعالى ولعى المنقد .. أنا عارف برد ايه ده ؟ .. ولسه طوبة في

الأول .. آمال بقى لما نغوط شوية ..

- حاروح لوحدى لحضرة الناظر والليل دخل ؟ ..

- ما الناس لسه راجعة بالبهايم أهه .. انجى اخطفى

عودين قطن والا شوية قوالح من هنا والا من هنا .. أهى دار

حضرة الناظر قريبة .. ياللا بالعجل ، أوعى تبصى كده والا كده

والا تكلمى حد والا حد يكلمك في ساعة مغربية زى دى .. حاكم

الشياطين تبتدى تطلع من دلوقت وتجرجر بنى آدم لمعصية الله ..

استنى يا بت .. داهية تقطع دى عيشة .. غورى بقى بسرعة ..

سلام قولاً من رب رحيم .

وعندما ابتعدت في الطريق الى بيت عبد المقصود ، كان سالم

يقف مع بعض شباب القرية أمام حلاق القرية يضحك ويحكى لهم

ماجرى له مع الزائر الغريب ، ثم ماحدث بين توفيق حسنين

والخفير هلالى ، وحين رأى تفيدة تمر .. سكت لحظة ، ورمقها

ينظرة سريعة .. ثم رفع صوته متحديا انه يراهن من يشاء على
كف حلاوة سمسية انه يستطيع أن يقطع عودين من القصب
بضربة واحدة بحد كفه .. ولاحظ ابتسامة تفيده ، وهي تستدير
يرأسها الى الاتجاه المقابل ونظراتها تتدحرج اليه .. وشاهدها
الحلاق فقال ضاحكا :

— قد القول ياسالم .. بس ياريتك بقى تقطع عرق وتسيح
دم مع سيدنا ..

وأسرعت تفيده تدارى خجلها .. ولكن سالم استوقفها
وسألها عن وجهتها .. واذ قالت له الى أين هي ذاهبة صاح
بأريحية :

— وليه تروحي لحضرة الناظر ؟ .. الله .. ارجعى انت ..
الدنيا ليلت ! وأنا أجيب لك القوالح اللي في دارنا كلها .. ادخلى
هنا دار الاسطى على ماارجع لك بالقوالح والالا بالحطب .. ادخلى
يابت دا جماعته زى أمك ، وبنته الكبيرة مضاهياك فى السن
ولو انها متجوزة بقى لها شهرين ثلاثة •
وقال الحلاق ضاحكا :

— عقبال الحبايب يا سيدى .. وحنة العريس عليه •
وعاد سالم يحمل تحت يده مقطفا ملينا بالقوالح وفي اليد الأخرى
حزمة كبيرة من أعواد القطن الجافة ونظرت اليه تفيده بشكر
عميق • كانت تعرف أية تضحية قدمها سالم • ربما كان هذا
هو كل مافى دارهم حقا • وحملت المقطف الصغير على رأسها
والحزمة فى يدها ومشيت تحت ظلال الليل وهو يرقها تخطر خطوة

بعد خطوة ، لدنة ريانة .. حتى اختفت في دارها .. فقال لنفسه :

– ما فيهاش عضم .. حتى العضم اللي فيها قرايش !

ثم زعق وهو يرى الليل يجثم :

– ماتولعوا الفوانيس بقى ..

وضحك الحلاق قائلا :

– أيوه ياسيدى ماهو البدر غاب ودخل دارهم .. امتى بقى

يدخل داركم ..

ومضى سالم يوقد الفانوس أمام دكان الحلاق متطوعا في

نشاط وخفة .. وصاح الحلاق :

– كل واحد يولع الفانوس اللي قدام دارهم ..

– والله يا شيخ لا ولع أنا فوانيس البلد كلها ..

وسرت فيه خفة ، وشعر برغبة جارفة في أن يعانق كل الناس

.. وان يصنع خيرا كثيرا ، وأن يسعد كل أهل البلد ، وان يمشى

على الهواء .. مازالت أمام عينيه نظرة غريبة شاكرة حانية من عيني

تفيدة ، تضىء وجهها الذى سطع بالسعادة فجأة عندما قدم اليها

أول هدية ! .. هذه الأشياء التى ستصنع الدفء فى البيت ! ..

وشيعه الحلاق وهو يتعد :

– والله زمانكم منور يا سالم يا ابنى .. على أيامنا كانت

البلد تضلم من المغرب .. عمرها ما نور فى شوارعها فانوس الا

فى ليالى رمضان .. الله ينور عليكم وعلى اللي نور زمانكم ..

ودخل الحلاق داره ، الذى يستعمل أول حجرة منها دكانا

للحلاقة طالبا لمن حوله أن يرجعوا الى دورهم الساعة ، فالليلة

شديدة البرد .. وهو غير معتدل المزاج لأن حضرة الناظر
وعبد العظيم لم يعودا بعد ! ..

ماذا جرى لهما ؟ .. آخر عربة تقوم من المحافظة الى القاهرة
وتمر على البلد ، مرت من قبل المغرب .. ولم يأت به عبد العظيم
ولا عبد المقصود .

أبيتان هناك ؟ .. ولكن هذا لم يحدث أبدا .. ربما لم
يستطيعا أن يقابلا أحدا في لجنة الاتحاد بالمحافظة فبقيا حتى الليل
ليتيم هذا اللقاء .. كيف يعودان في هذا الليل الذي يرتعد من
البرد ؟ ..

الرجال الذين يغيبون هكذا في عاصمة الاقليم ولا يعودون
في اليوم نفسه يبيتون غالبا في السجن ! .. هكذا تعلمت القرية ! ..
ولكن هذا زمن انتهى .. زمن انتهى ؟ ومع ذلك فرزق استطاع
أن يصلب سالم المسكين الى النخلة ويضربه بسياط الخيل ! ..
ثم ما هذا الرجل الغريب الذي يتهجم على كل شيء ، ويفض
الاجتماع بغطسة ويطلب (تفيدة) أجمل وأطهر فتيات القرية
لتخدمه ! .. يا ترى من هو هذا الغريب الذي جاء يقول انه مثل
الحكومة ، ولم يبق عليه الا أن يقول أنا ربكم الأعلى !؟ ..

كان مثل هذا الرجل يجيء في زمن فات واقتضى .. ولكنه
جاء منذ أيام ، يحمل نفس الصلف ، وقدرا أكبر من الجرأة على
الناس ..

ما الحكاية !؟ ..

في غياب عبد المقصود وعبد العظيم سر كبير .. وامتلات
القرية بالهمهمات .. والشبان الذين كانوا يقفون أمام بيت الحلاق
لا يتحركون وكل واحد منهم يقول رأيا في غياب الرجلين ..
لا أمان لاثنين من الفلاحين في البندر ! .. ولكنهما في لجنة الاتحاد
الاشتراكي ! .. ولو ! .. من يدري ؟ .. ربما أخذهما بعض
الرجال الذين ألفوا أن يأخذوا الفلاحين في زمان فات وانقضى ! ..
هذا مستحيل .. الحكومة حكومتنا والكلمة كلمتنا فمن
يجرؤ ؟!

مع ذلك فرزق صلب سالم .. وممثل الحكومة أمر بجس
سالم ! .. وفي المحافظة ضابط كبير صديق لرزق ! .. والرجل
الغريب الذي يقول انه ممثل الحكومة لحق بحضرة الناظر
وعبد العظيم في المحافظة ! .. وحضرة الناظر عاقل وحكيم ..
ولكن ماقيمة الحكمة والعقل وقد أمكن أن يصلب سالم لأنه
اعترض على تزوير المشرف .. ولأنه لم يقل لرزق ياسعادة اليه ؟!
اللقب الذي ألغته الثورة ؟!

ثم ان عبد العظيم ليس حكيما وربما اصطدم بهذا الضابط
صديق رزق ! .. ولكن الناظر وعبد العظيم في حماية الاتحاد
الاشتراكي بالمحافظة .. ولكن ماذا لو قابلا عضوا من الاتحاد
الاشتراكي مثل رزق ؟! .. في لجنة المحافظة عدد مثله ، وعدد من
أصدقائه .. بعضهم يملك عشرين فدانا أو ربما عشرة .. ولكنه
يصلب في أرضه رجالا مثل سالم ، ويضربهم بسياط الخيل ! الى

من ينحاز هؤلاء الناس : ألى الناظر وعبد العظيم ؟ أم الى رزق؟
ثم هذا الرجل الغريب القادم من القاهرة باسم ممثل
الحكومة؟! وبعد ، ما العمل ؟

برقية سريعة الى الرئيس جمال عبد الناصر .. ولكن ليس
بالقرية مكتب بريد ! .. مكتب البريد فى القرية التى بها نقطة
الشرطة وقصر الأمير السابق ، والمشرف الزراعى .. ربما رفض
الموظف البرقية ؟ .. لا .. ربما استلمها ولعب فيها ! قد يكون
صديقا للمشرف أو للرجل الغريب القادم من المدينة ! .. نروح
كلنا ونراقبه .. لكن من يكتب لنا البرقية ؟ .. أبعد فصول محو
الأمية لانكتب حتى برقية ! .. بل نكتب أحسن برقية .. هاتوا
لنا أحد تلاميذ المدرسة الثانوية ممن لا يبيتون فى عاصمة الاقليم ..
ابعدوا عن الطالب الذى كان يسمع مباراة الكرة أثناء الاجتماع
.. لا والله انه ابن حلال ، وهو يكتب كلاما طيبا .. وحكاية
الكرة هذه مالها وللبرقية .. اجمعوا بعضكم .. هاتوا الركائب ،
يكفى ثلاثة أو أربعة .. لاداعى للتلاميذ .. دعوهم فى مذاكرتهم ،
هاتوا حمار الحلاق .. وجحشة الشيخ طلبة .. ابعدوا عن الشيخ
طلبة .. وحمارين آخرين .. شدوا البرادع اسرعوا ، فلنكتب
البرقية هناك .. اسرعوا قبل أن يغلق مكتب البريد أبوابه ..
السرعة .. نحن فى سباق مع الزمن .. صحيح ، فى كل شىء .
نحن فى سباق مع الزمن ..
- يا أسطى .. افتح ..

– روح بقى انت وهوه أنا قفلت خلاص .. بكره الصبح
آخد الكام قفا ! .. ها .. هاى !

قفا ؟ .. لعنة الله عليك .. تقول على الرجل منا قفا ..
حقيقة انت تعليم بندر .. ان كنت ترى الرجل منا قفا فلماذا عدت
من مصر تأكل العيش هنا فى دكان أبيك .. الله يرحمه !

كان خيرا أن تأكل العيش فى مصر من أى قفا هناك .. انت
كبرت هنا وتزوجت وبنتك تزوجت من فلاح وما زلت تقول كلاما
كهذا ..

– اصح .. افتح .. هات حمارك .

– أنا قفلت خلاص .

– يعنى دكتور وقفل عيادته ياخى .. هات حمارك وشد
عليه العدة . وتعالى بنا على مكتب البريد نشد تلغراف للريس ..
الجماعة فى المحافظة اتأخروا .. عاوزين نشوف آخرتها ايه مع
مثل الحكومة ده .. تلاقيه وز عليهم الضابط صاحب رزق حطهم
فى السجن ..

– لك حق يا جده .. أنا جاى بنفسى .. وبالجماركمان ..

هاهاى ..

ومر هلالى بهم ، والبندقية على كتفه ، فقد بدأت نوبة
الحراسة واذ علم منهم الى أين يمضون انضم اليهم قائلا :
– أنا جاى معاكم .. حاتمشوا لوحدكم فى الليل الاضلم
ده .. أحسن ديب يطلع عليكم والا حد من رجالة البيه والاحاجة

•• ياللا •• حانحرس ايه فى البلد •• البلد ما هى حارسة بعضها
منها فيها ، المهم المصايب المحدوفة عليها من بره •• الحاجات
الغريبة اللي بنشوفها دى ! ••

وتحرك فى لحظات موكب كبير انضم اليه سالم والخفير
هلالى والحلاق ، وشيعتهم زغرودة من انصاف •• جاوبتها زغاريد
نساء أخريات وأصوات ضارعة من النساء تتعالى :

— روحوا منصورين باذن واحد أحد ••

ومضت الركائب تخوض بهم الليل على الطريق الزراعى الى
القرية المجاورة حيث مكتب البريد •• وندى الليل يهبط على
حقول القمح والبرسيم والفول والشعير ، والنجوم فى السماء
الداكنة ترسل أشعة فضية باهتة وتلف الليل والحقول والهواء
بغلاله مرتعشة من الزرقة الراققة يومض تحتها الندى فوق أوراق
النبات الخضراء •• وكلاب القرية تنبح وتجرى وراء الرجال ،
وتصطدم بأرجل أطفال عديدين ساروا وراء الركائب •• وعبثا
حاول الرجال أن يرجعوا الصغار •• كانوا مشدودين ، يدعون
عيونهم التى يغزوها النعاس ، وقد ملأتهم الحركة ونسمات الليل
والرغبة فى استطلاع هذه المسيرة ، بنشاط عجيب •

وأخذ الفلاحون يناقشون ماذا يكتبون •• سيشكون من
القبض على الناظر وبعد العظيم •• ولكن من يدري أن هذا حدث
لهما ؟ •• سيشكون غيابهما ؟ •• لا •• هذا لا يوجه الى الرئيس
•• يكفى فيه ابلاغ ضابط النقطة ! •• ومن يدرينا الى أين يميل

ضابط النقطة ومع من هو؟! مع رزق الوجيه الأنيق الذي يحسن الكلام؟ أم مع أى فلاح؟ ..

انهم ماتحركوا ليشكوا لضابط النقطة ، بل لكتابة برقية للرئيس .. سيشكون هذا الرجل الغريب القادم من القاهرة يفض الاجتماع وينهى ويأمر باسم الحكومة .. لاتنسوا انه أمر بالقبض على سالم بلا جريمة .. وهذه جريمة ! لاتنسوا انه ضغط على الشيخ طلبة ليأخذ ابنته ..

ورزق .. رزق ييه يا أهل البلد لا بد من أن نكتب اسمه فى البرقية ، انه أمين لجنة الاتحاد ، ورئيس الجمعية التعاونية .. فلمن يشكونه ؟ الى من ؟ ..

ونكتب فى المشرف ! .. لا لا .. أم سالم شكته للوزير المختص ، فلنتظر النتيجة .. كلها أيام قليلة وتظهر نتيجة الشكوى ..

وارتفع صوت مفاجيء ..

– ايه رأيكم نشتكى الرجل الغريب ده لوزير الداخلية قبل ما نشتكى للرئيس ..
فرد آخر :

– لا .. دا احنا نشتكى لوزير الاصلاح
وقال ثالث :

– نشتكى لده وده ..

وصاح هلالى بحسم :

– بس بلاش كلام فاضى .. ايه الكلام الخايب ده ،دهدى! ..
احنا حانوقع الوزر فى بعض !
وزعق سالم ضاحكا :

– انت لسه بتقول عليهم وزر ياعم هلالى .. اسمهم وزرا
.. أو وزراء ..

– طيب ياسالم ولا تزعل .. ما حاكم أمك بقت تقابلهم ! ..
ياسيدى على رأى حضرة الناظر حاقول عليهم وزراؤو ..
ومد همزة الكلمة ضاحكا .. وارتفعت الضحكات ..
وتعالت أصوات أخرى :

– احنا حانشد تلغراف لجمال عبد الناصرو بس .. مالناش
غيره وبس .. نشتكى له من الجدع اللى جاى من مصر ده بيدعى
انه ممثل الحكومة ومن المشرف كمان ومن موظف الجمعية
التعاونية ، ونطلب التحقيق مستعجل .. ونقول كسان على غياب
الناظر وعبد العظيم .. الله .. مايسكن اتخطفوا .. حد عارف ..
يمكن حبسوهم .. نقول له على كل حاجة ، احنا لنا غيره بعدالله
سبحانه وتعالى ..؟

وردت أصوات مختلطة :

– دا حايبقى كلام كتير قوى ده .. هو التلغرافات دى
بلاش ؟ .. حانجيب فلوس منين للكلام ده كله .. احنا حانقول
كلمة واحدة مظلومين الحقونا ..

– لا •• نقول أغيثونا •• ادركونا •• آمال اتعلمتم ايه في
فصول محو الأمية ••

– هو غنا في مولد يا جدع ؟ اغيثونا ادركونا •• ايه ؟ حانقول
مظلومين الحقونا وبس ، والرئيس حايعرف شغله بقى •• وبكره
البلد تشوف النتيجة ••

– طيب وايه رأيكم لو حد منا راح الاتحاد الاشتراكي في
مصر وشكا لهم بالتفصيل ••

– ما نبتت جوابات نقول فيها التفاصيل كلها •• للرئيس
جمال وللاتحاد الاشتراكي في مصر ••

– بس دلوقت نشد التلغراف الأول •• لازم نقول برضه
على كل حاجة ••

وعندما وصلوا مكتب البريد ، أصلح لهم الموظف صيغة
البرقية في كلمات مختصرة تحمل عنهم كل مايشكون منه ••
وطالبهم بتحقيق شخصية ، ولم يكن مع أحد منهم تحقيق شخصية
فتقدم الخفير هلالى يضمنهم •• ووافق موظف البريد •• وحسب
عدد الكلمات فطالبهم بالمال ، وظلوا يجمعون ، كل يدفع ما عنده ••
فلم يجدوا ما يكفي •• وصاح سالم :

– خليههم كلمتين بس : مظلومين الحقونا •• وامضا واحدة
بس عن البلد •• الفلوس تقضى كده ••

– بفلوسكم دي ممكن تكتبوا ١٥ كلمة بس غير العنوان ،
دا •• اتم كاتين عريضة مش تلغراف ••

– وماله .. نكتب خمستاشر كلمة بس .. والا حتى عشرة
يلاش تتعب الرئيس فى القراية .. لكن التفاصيل بالبريد .. آه
يعنى بكرة نبعث جوابات بالتفاصيل كلها للرئيس جمال وللاتحاد
الاشتراكى فى مصر جوايين بقرش صاغ الواحد .. ونبعث للجرايد
.. كمان ..

ورد رجل :

– هيه الجرايد فاضية لنا .. دول مشغولين بالكرة والفساتين
والصور العريانة والممثلين وأخبار بعض ومدح بعض وشتيمة بعض
وشيلنى وأنا أشيلك .. وحتى لما يكتبوا فى الاشتراكية، يكتبوا
حاجات مانفهمهاش .. هى الجرايد دى طالعة لنا ؟ .. لا .. دى
لأهل البندر .. عن الحاجات اللى تسلى أهل البندر وتهمهم !

وتدخل آخر :

– يمكن يا أخى نلاقى حد فيهم ينشغل بينا .. لازم نلاقى
حد يهتم بنا ..

وقال سالم :

– دى جرايد برضه اسمها ملك الاتحاد الاشتراكى .. أهو
برضه ساعات تلاقى فيها كلام كويس .. ساعات !

– أهى ملك الاتحاد الاشتراكى يا اخويا .. دا اللى فيها
بيسكعوا ميات وميات علشان يكتبوا اللى بيكتبوه ده .. واحنا
هنا مش لاقيين تمن تلغراف نكتبه للرئيس ونشرح فيه اللى بيجرى

زى ما احنا عاوزين .. احنا لقينا فى جيوينا كلنا غير تمن خمستاشر
كلمة مافيش غيرهم .

وصاح هلالى :

- هى بلدنا حاتحكم الجرايد اللى فى مصر كمان ؟
ماتسيبوها واهى فيها اللى يحكمها ويصلح حالها .. هى جرايد
مصر ناقصانا .. طب ما يطلعوا لنا جرايد مخصوص بقى ! واهى
جرائد مصر لأهل مصر .

فرد عليه سالم :

- وانت بتقول فيها معنى .. ماهولازم برضه يبقى لنا رجل
فى الجرايد دى .. دا الفلاحين أغلبية يا جدد .. وفيها حاجات
كثير عايزين نفهمها وتقولها .. نروح فى احنا فى وسط هوجة
الكلام اللى بتنشره الجرايد .. أنا حابعت جواب لكل الجرايد
أقول لهم نظرة للفلاح .. جواب لكل جريدة أقول لها نظرة
ياست .. اكتبى عن الاشتراكية والفلاح قد ماتكتبى عن الجرائم
والمودة والكورة والمثلات والفنانات .. اكتبوا لنا حاجات تفيد
الفلاح اللى عايز يتعلم قد مابتنشروا حاجات تسلى البهوات اللى
اتعلموا ! .. عاوزين نحس بالزحف الثورى بصحيح من الجرايد
.. مش بس ينشروا يفظ وكلام يكره الناس فى الزحف الثورى
.. مافيه بعض ناس بتكتب كويس برضه وفيه حاجات حلوة
خالص بتنشرها الجرايد .. لكن فى ؟ ضايعة فى وسط هيصة
الكلام الفاضى .. مش عاوزين تقول كلام جرايد معنى كلام

وبس .. لأ .. عاوزين لما نقول كلام جرايد يبقى قصدنا كلام
حلو .. مفيد وله خلاصة وفيه معنات للكلام ! .. منين أجيب
ناس لمعنات الكلام ..

فقاطعه هلالى ضاحكا :

– انت حاتقلب على المواويل ليه بقى .. ما تخللينا في
الجرانين ! .. ياترى يا حضرة الناظر انت وعبد العظيم رجعتم
البلد ولا لسه ؟ ..

وعندما وصلوا الى القرية كان يداعبهم أمل كبير أن يكون
حضرة الناظر عبد المقصود وعبد العظيم ، قد عادا .. ولكن القرية
باتت تنتظرهما حتى الصباح في قلق تخالجه الرهبة والتوجس ! ..
حتى الصباح !

ومر صباح وصباح ..
والحيرة على وجوه النساء والاطفال .. وحتى الرجال في
قريتى غشيتهم كلهم حيرة يخالجها الرفض والاشمئزاز ، ومزيج
من الخوف والاصرار .

لن أنسى أبدا نظراتهم المتسائلة في دهشة .. انهم لا يصدقون !
من بيت عبد العظيم الى بيت عبد المقصود وأنا لا التقى الا
بدموع تنسكب أو عيون تمسك الدمع فيها عظمة الكبرياء ..
انهم في قريتى لا يصدقون ماجرى .. كيف يقبض رجال في

المدينة على عبد المقصود ، وعبد العظيم؟! .. وسالم أيضا أخذوه
والخفير هلالى! .. الخفير هلالى سجنوه لأنه رفض أن يسجن
سالم ..

أيشعر الذين قبضوا عليهم بالمأساة التى صنعوها لقريتى ..
أيجسرون هم أن ينظروا فى عيون الأطفال فى قريتى ، أو أن يواجهوا
النظرات المتسائلة؟! أيستطيعون هم أن يضحكوا مع اطفالهم بعد
أن صنعوا كل هذه الدموع لأطفال الآخرين؟



أين راح الرجال؟! .. في أى سجون المدينة ألقى بهم رجال
المدينة؟ .. ولماذا ، وهم لم يؤذوا أحدا ، ولم يرتكبوا جريمة ،
ما صنعوا شيئا الا أنهم يريدون أن يعيشوا فى سلام وعدل هم وكل
أهل القرية؟ .. انهم ما أفسدوا زرع أحد ، ولا سموا ماشية ،
وما اتتهكوا عرضا وما نهبوا أرضا ، وما كذبوا على الناس ..
ولكن الذين يكذبون ألقوا بهؤلاء الرجال فى أعماق السجون! ..
أين راح زهرة رجال القرية يا ناس؟ .. ذهب رجلان منهم الى
المدينة يبحثان عن العدل .. فما عادا .. وأرسلت القرية تنظلم
فقبضوا على سالم .. ثم الخفير هلالى ! .. حتى الخفير هلالى ..
رجل الحكومة ! .. انه الرجل الذى جاء من القاهرة يأمر فى
القرية وينهى باسم القاهرة .. هو الذى فعل بالقرية الافاعيل! ..
ذهب الرجال الى المدينة وما عادوا بعد .. ولن يعودوا الا
بعد شهور وشهور محطمين من العذاب مجانيين من الفيظ ! ..
ثلاثة أيام ، فى كل يوم منها آلاف اللحظات من القلق والألم
والتمزق ! على أى فراش نام الرجال فى هذا البرد الشديد وهم فى
سجن المدينة الا يوقدون نارا تدفئ النزلاء ! .. والعزة والاحلام
والأشواق الى المستقبل التى تمتلئ بها نفس كل واحد منهم ،
ماذا صنع بها رجال المدينة؟ والطعام؟ من أى خبز أكل الواحد منهم،

ومن أى حوض شرب؟! .. أتراهم ضربوا الواحد منهم بكل شموخه وكبريائه كما كان يحدث فى الزمن القديم الذى فات وانقضى؟! .. حتى فى ذلك الزمن القديم لم يستطع أحد أن يقبض على عبد المقصود أو عبد العظيم أو هلالى .. وما كان سالم غير طفل يلعب فى التراب ، ويأكل الطين ! ..

وسألتنى انصاف عن هذا الذى حدث كيف يحدث ؟ .. لحساب من يعمل بعض الرجال هناك فى عاصمة الاقليم؟! وما بال أهل القرية ؟ .. أنسيتهم الحكومة التى أعطتهم أرض الأمير ؟ أنسيهم الله ؟ .. وهذا الرجل الغريب الذى جاء من القاهرة فى يوم اسود وأعلن أنه مندوب الحكومة؟! .. من أين أتته كل هذه السلطة ؟ .. أما من أحد يحاسبه ؟ .. ولئن كان مندوب الحكومة حقا فلماذا يظلم الناس ؟ ..

وشعرت انى لا أستطيع أن أواجه نظرات الرجال والنساء .. ولا كل هذه الأسئلة التى تكاد فى همساتها أن ترج الفضاء .. أين العدل ياناس ؟ .. كيف يجبس الابرياء هكذا بلا حساب! .. كل هذا لأننا رفضنا أن يسلبنا المشرف أرضا جيدة أخذناها قبل أن نرى وجهه ؟ .. أكل هذا لأننا رفضنا أن يأكلنا رزق ، وأن يصلب أولادنا على جذوع النخيل ، ولأننا رفضنا أن نستغل أدوات الجمعية التعاونية بالمجان ، ونحن ندفع ؟ لماذا لا يجتمع أعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى ويذهبون الى المدينة يطلبون .. لا .. لا .. ربما أخذوهم هم أيضا .. فرزق بك لا يريد اجتماعات ،

ومن يعارض رزق تلق به المدينة في أحد سجونها ! .. فليجتمع
مجلس ادارة الجمعية التعاونية .. و لا هذا أيضا ، مادام رزق
بك لا يريد ! .. وهذا الرجل الغريب الذى جاء من المدينة يمنع
الاجتماعات .. لا كلام بعد .. فربما أمر هو بأن يسجن كل
رجال القرية .. يعملها ! .. ماذا يمنعه ؟ .. ولكن الأمر ليس
فوضى ! .. من أين جاء بكل هذه القدرة على أن يسحق العدل
ويكبل في الصدور كل الخطرات والأحلام ؟ ..

وأرهقنى الاحساس بالذنب .. فما أنذا رجل جاء من القاهرة
وفي المدينة رجال من أعز أهل القرية على القرية ، وضعوا في
سجون المدينة ، وأنا مع ذلك ما زلت أروح وأجىء حر الخطوات
على أرض القرية ، لا يثقل قدمى حديد ولا نحاس !

ما انتظارى بعد هذه الأيام الثلاثة ؟ .. لكم حاولت أن أعقد
اجتماعا لأهل القرية ، ولكن بلا جدوى .. قال لهم توفيق حسنين
ان الاجتماع ممنوع بأمر سرى من مصر .. أى مصر هذه
التي يعينها توفيق حسنين ؟ .. كان يشى في القرية مختالا وسط
المقت والازدراء ، معتزلا على قمة زهوه يقول للناس :

— البيه مندوب الحكومة قال لى اللى يخالف أوامر مصر
مسيره للسجن .. مافيش اجتماعات .. ماجدش له دعوة
لا بمشرف ولا بغيره .. كل واحد يخليه فى شغله وبس ..
اصحى حد ينطق ! .. أوامر مصر كده .. البيه مندوب الحكومة
متصل بمصر .. وأنا كمان .. أنا كمان واصل على مصر ..

والبلد شافت اللي بيقف في سكتنا بيجرى له ايه .. ولسه ياما
حايجرى !

وما كان يجيب بغير نظرة مستعلية على من يسأله :

— أنت واصل على مين في مصر يا توفيق يا ابو حسنين .. هه
.. والبيه مندوب الحكومة بتاعك ده واصل على مين .. قولوا
لنا اسم اللي ساندده ؟ مين ؟ .. أخوالك ؟ .. اللي ما حد يعرفلك
خال ! ..

ما كان يرد بكلمة على من يوجه اليه هذا الكلام .. وان كان
ليتوعد هؤلاء الذين يعرضون بأمه !

ما بقائى في هذه القرية المعذب أهلها .. لاجدوى من محاولة
عقد اجتماع .. فقد بدأوا يخافون أن يكون مصير كل من
يجتمع ، هو مصير الرجال الأربعة الذين حبسوا في المدينة ..
ولقد حاول بعض الرجال أن يدخلوا المضيضة ليتشاوروا فيها عما
يصنعون ، فاذا بتوفيق حسنين يدخل فجأة :

— ضبطتكم ! .. بتعملوا ايه هنا ؟ .. اجتماع ؟ .. طيب
والله ان عملتوها تانى لتكون آخرتكم غيرا .. المرة دى سماح
.. لكن المرة الجاية حالبسكم تهمة سرقة بالاكراه ليلا .. اتم
مش عارفين ان الجمعية بقت سكن خصوصى للبيه مندوب
الحكومة .. المبنى ده كله سكنه .. والمضيضة كمان .. داخلين
هنا ليه بقى ؟ .. يا اما بتدبروا لاجتماع والاجتماعات ممنوعة
يا اما بتدبروا لسرقة بالاكراه وليلا كمان .. علشان تبقى جناية ..

أنا ما أنا مرسيكم على أوامر مصر .. انتم مش عارفين ان احنا متصلين بمصر!؟

وخرج الرجال ، بلاكلمة ، من المضيقة ، ومضى توفيق حسنين فخورا بالهيبة التي خيل اليه انه اكتسبها ، محاطا بنظرات الازدراء ..

كنت أتأمل تصرفات توفيق حسنين ، وأسمع عنها الكثير! .. كان قد ركبته احساس همجي بالقوة منذ استدعى هلالى الخفير الى عاصمة الاقليم ، ولم يعد ! .. وهمس الناس ان توفيق الآن يقلد فى مشيته ذلك الرجل الذى يقول عن نفسه انه مندوب الحكومة .. توفيق حسنين يقلده حتى فى طريقة كلامه ..

وحاولت أن أسأله عن حكاية أوامر القاهرة هذه .. قابلته وأنا واقف على الطريق الزراعى فى انتظار احدى عربات الركاب الكبيرة المارة بين القاهرة وعاصمة الاقليم .. كنت قد قررت فيما بينى وبين نفسى أن أخوض المعركة هناك فى عاصمة الاقليم بعد أن يئست من عقد اجتماع للقرية .. وحيانى فى ابتسامة لم أرتح لها .. وسألته عن الرجل الذى يقول عن نفسه انه مندوب الحكومة .. أين ذهب .. وأجابنى باقتضاب انه فى القاهرة لأعمال هامة .. وسألته باسم من يتحدث هذا الرجل، فلم يجب .. وهاجمته بسؤالى : أيقول هذا الرجل ويقول توفيق للناس انهما ينطقان باسم القاهرة؟؟ واضطرب .. ولم يتحدث .. وبعد لحظات من الصمت رأيت فيها لون وجهه الأحمر يفيض قال لى :

— حاكم بلدنا دى كلامها كثير .. البيه بس هو اللى متصل
بمصر .. وأنا متصل بالبيه ده ..

— متصل بمين فى مصر .. لازم تقول ..

واصفر وجهه .. وزاغت نظراته ، وارتعدت شفتاه .. ولم
يتكلم .. وعندما أعدت عليه السؤال انفجر فى دفاع عن النفس:

— دهدى .. هو تحقيق .. هو متصل بمصر وخلاص ..
واصل عالدينا كلها فى مصر .. هو تحقيق يعنى .. ماحدثش فى
بلدنا له يسأل سؤال زى ده .. وده سؤال ده نقوله لمنسوب
الحكومة .. دى أسرار عليا .. هو له صلة أكيدة بمصر ..

واستدار راجعا الى القرية .. ورأيت جسده الملىء يترجرج
تحت جلبابه الصوفى الفاخر ، وقفاه الأبيض ينثنى فيه اللحم
المكنتظ تحت رأسه الشقراء الكبيرة التى أرجعها الى الوراى فى
شموخ .. وظل يمشى فى خيلاء غاز فتح مدينة عصية .. وأنا أنظر
الى أقصى مدى يبلغ اليه البصر من الطريق الزراعى الملتوى بصبر
نافذ بحثا عن عربة الركاب الكبيرة ..

كان الصباح نديا على الرغم من كل شىء .. ونسمات شتاء
خافتة مفعمة بدفىء الشمس تمر على الحقول ، وتدفع أعواد القمح
فى موجات عذبة خضراء ..

وارتفع من بعيد صوت زغرودة !! .. ما هذا؟! .. أجنت
امراة فى القرية .. ولكن الصوت كان يأتى من على الطريق

الزراعى .. كان للزغردة صدى غريب فى هذا الصمت العريض
الداقى .. وكانت تثير فى النفس شيئاً مثل الشجى .. واقترب
صياح أثنوى مبجوح :

– مبروك يا اولاد .. مبروك ياخاله أم سالم ..
ماهذا البشير ؟ .. كان الصوت يأتى من ناحية عاصمة
الاقليم ، وكان الطريق الزراعى الملتوى يخفى صاحبة الصوت ..
واقتربت الزغاريد .. وبانت الفتاة تهتف خلال الزغاريد ..
– مبروك يا أولاد . ياخاله أم سالم .. مبروك .. الفين
مبروك .. قولوا يحيا العدل يا أولاد .

واقتربت الفتاة فاذا هى تفيدة تجرى ومن ورائها بعض فلاحين
وفلاحات يهتفون « يحيا العدل » .. أكانوا فى عاصمة الاقليم
وجاءوا مشيا على الأقدام ؟ ..
وتقدمت اليها أسألها ما الخبر .. ولكنها جاوزتنى وهى
تزغرد متجهة الى القرية بعد أن قالت باختصار وكل ما فيها
يضحك فى انتصار :

– المشرف راح .. رقدوا المشرف ..
وجرت ووراءها بعض الفلاحين الذين يعملون فى أرض
الاصلاح ، متجهين الى القرية وهى تصفق فى نعمة راقصة والكل
يهتفون : « ورفدنا المشرف .. ورفدنا المشرف » ..
كانت تفيدة قادمة من هناك .. من حيث ألفت أن تذهب
لتخدم المشرف ، الذى يقيم فى قصر الأمير .. وعندما انحدروا

من الطريق الزراعى الى القرية قابلهم توفيق أبو حسنين الذى
توقف فى مكانه جامدا منذ سمع الزغاريد .. وعيناه تجحطان ،
وخوف ملحوظ يرعش نظراته .. وتفيدة تقف متراقصة أمامه ..
نظراتها موزعة بينه وبين منزل رزق .. وهى تقول :

— خلصنا من المشرف .. عقبى للباقى .. عقبى للرجال
لما يرجعوا من السجن ..

واستوقفها توفيق حسنين بغلظة تغطى خوفه :

— اخرسى يابت .. من قال لك الكلام ده .. اخرسى !؟
ورفع يده محاولا أن يصفعها .. ولكنها أمسكت بيده ،
ودفعتنا بقوة :

— اوعى ايدك كده .. مالكش ضرب على .. أوعى تمد
ايدك على تانى أحسن أقطعها لك .. جاتك داهية فى ايدك
الثقيلة !

وأحاط الرجال به يهتفون للعدل ويتراقصون وهم يهزون
العصى ، فانكش وسألهم :

— ايه الحكاية يا اولاد .. فهمونا بس .. ايه العبارة ؟ ..
وحاولت تفيدة أن تحكى .. ولكن الآخرين قاطعوها ..
فزعت ، وقفزت لكى يكون صوتها أعلى الأصوات .. كانت
نظراتهم تتراقص وهم يحكون بأصوات مختلطة كل منهم يشعر
انه أعرف بالأمر ، وان البشرى هى بشره ! .. تكونت حلقة

واسعة من الرجال والنساء الذين جاءوا على الزغاريد .. وقفوا
كلهم في مدخل القرية قرب الطريق الزراعى، ومنزل رزق ، والنخيل
يطل عليهم من وراء أسوار قصر رزق .. ونظرات تفيدة تنتقل في
مرح بين هامة النخلة التى صلب عليها سالم ، وبين آفاق مجهولة!
وتعود لتشب على كلمات أحد المتحدثين .. بالراحة يا أولاد ..
احكوا لنا الحكاية .. آه .. اسمعوا .. اسمعوا .. أيام الفرح
بدأت والله .. اسمعوا .. اسمع يا توفيق يا أبو حسنين .. اسمعوا
يا أهل البلد .. من يومين جاء ثلاثة رجال من القاهرة .. جاءوا
في الصباح فى طلعة الشمس .. الا .. فى الفجر لا .. أنا رأيتهم
من الليل .. على كل حال .. هم جاءوا الى قصر الأمير . وسألوا
عن المشرف ، ولكنهم وجدوه نائما فى القصر ! . وأخذوه ودخلوا
به المكتب .. وأخذوا يقلبون أوراقه .. كنا نحسبهم زوارا له
من مصر مثل الزوار الذين ألفوا أن يزوروه من القاهرة ، وأن
يخرجوا معه فى رحلات صيد على خيل الاصلاح ! نسينا .. من
يومين جاءنا تاجر قتل قعد طول النهار .. وجرنا فى الكلام عن
المشرف .. حكينا له .. أنا أول من حكى .. لا .. أنا الأول ..
والله هو ما سأل أحد قبلى لا انت ولا هو .. أنا من حكى له أولكم
كلكم .. المهم ..

واختلقت الأصوات مرة أخرى .. احكوا يا أولاد ..
احكوا .. ودعوا أمور الصغار .. هه .. وبعد .. المهم ..
حكينا كل شىء لتاجر القتل .. وراح لحاله . وجاء بعده بيوم

الرجال الثلاثة .. قلنا .. انهم انتظروا المشرف حتى نزل من القصر .. والجميل نازل سلالم القصر رنت - على رأى الأغنية .. ها هاى ! .. نزل بسلامته ها هاى ! .. فأخذوه ودخلوا به الى المكتب .. وفتحوا كل الدفاتر وقرأوا كل الأوراق وعدوا كل الخيل والبهائم .. ولكن لماذا يا أولاد لم يسألوا واحدا منا .. اسمعوا الحكاية ولا تسألوا .. اسمعوا .. طول يومين .. كل يوم من الصباح للمساء والباب مغلق على المشرف والرجال الثلاثة ومن يدخل بقهوة أو شاي يجدهم يفتشون فى الدفاتر والأوراق، ولا يسمع كلمة .. ان دخل أحد حتى بكوب ماء سكتوا .. وأخيرا سافروا ليلة البارحة .. واليوم سافر المشرف ومعه كل حاجياته ، وجاء رجل جديد ، مشرف جديد وعرفنا ان المشرف المسافر أحيل للتحقيق وستسأل البلد كلها عن تصرفاته .. ومن عنده كلام فليستعد للسؤال .. بركات شكواك للوزير يا أم سالم ..

وصاح توفيق وهو ينصرف مغيظا :

- كلام فاضى .. هو المشرف كان عاوز يتنقل من زمان .. بقى هى انصاف حاتنقل المشرف .. هى أم قويق صقرت ! .. هم الفلاحين اللى بيحكموا المشرف والا المشرف اللى بيحكم الفلاحين ، ماهى صقرت ..

وارتفع صوت حاد :

- انت اللى أم قويق ياتوفيق يا ابو حسنين .. احنا طول عمرنا صقور .. آه .. أهى خالتى أم سالم نقلت المشرف الظالم

•• يحيا العدل ياتوفيق يابو حسنين •• والشكاوى اللي بعناها
فيه •• أهى نفعت •• أهى شالته ••

ومضى توفيق حسنين الى القرية •• وقد تدلى رأسه الى امام
هذه المرة •• تشيعه الضحكات ، وهو يهرش قفاه الغليظ .
والزغاريد تغمر الضحكات • وسأل طفل :

— أمال الرجالة ما طلغوش من الحبس ليه ؟

وارتفع فوق الزغاريد والضحكات وسؤاں الطفل ، صوت
ساخط :

— بتزغردوا على ايه ياملعين •• يعنى الرجالة طلغوا من
الحبس •• فين تفيدة •• بت ياتفيدة •• عاجبكم قوى المشرف
الجديد •• لما نشوفه حايعمل ايه •• دا أول القصيدة كفر •

كان الشيخ طلبة قد جاء من نفس الطريق الذي جاءت منه
تفيدة والآخرين •• وكان يلهث ، وهو يرفع عصاه على الجميع ••
وأمسكت تفيدة بعضا أييها ضاحكة :

— ما تضربنيش يابا •• دا انا الفرحة لهنتى ماقدرتش
أستناك ••

— بقى يابت أقرأ عشر القرآن واطلع مالقكيش •• وواخدة
السكة جرى تزغردى وتهيصى •• طب أهوالمشرف الجديد قاللى
بلاش تتعب نفسك وتيجى تقرأ قرآن تانى هنا •• يعنى رفدنى
•• زغرتى بقى وهيصى ! •• أهو رفدوا أبوكى ! •• فرحانين
قوى بالمشرف الجديد ؟ •• طب ياسعادة البيه المشرف دا البيت

اللى مابنقراش فيه القرآن الكريم تسكنه الشياطين وتهجره
البركات .. يقوم يرد عليه يقول أولا ماتقولشى سعادة البيه ..
الحكاية دى بطلت من زمان .. وثانيا – حضرته بيكلسنى بأولا
وثانيا – أنا باسمع القرآن فى الراديو .. وانت كان مربوط لك
هنا خمسة جنيه شهري قراءة قرآن قلت أبدا يا سيدنا الأفندى ..
أنا عمرى ماشفت الخمسة جنيه دول .. دى العبارة كلهاخمسین
قرش .. عجيبة يا أخواتى .. لحق يبص فى الدفاتر .. خمسة
جنيه ايه ؟ هو جاى يخون المشرف اللى مشى .. وآخر المواخر
سلم عليه ووصلنى لحد باب المكتب وقال آسف .. ده مكتب
حكومة مش سكن خصوصى .. أنا طبعا مش حاسكن قصر الأمير
.. لو كان ده بيتى كنت قرئتك قرآن على حسابى .. لكن ..
أنا حاكلم ناظر مدرسة بلدكم يخليك تعلم قرآن فى فصول محو
الأمية .. ناظر مدرسة بلدنا ؟ .. ده المشرف ده مش دارى بالدنيا
.. آمال جاى من مصر ازاي .. مايعرفش أن عبدالمقصودأفندى
محبوس .. وقال باعتينه من مصر قال .. دا المشرف الأولانى
كان عارف كل حاجة زى عفريت من الجن والازى الذى عنده
علم من الكتاب ..

وصاحت تفيدة بفرح :

– يا ريت تقرى قرآن فى فصول محو الأمية بابا .. وتأخذنى

معاك ؟! ..

وترددت الأصوات :

— ان كان عالخمسين قرش ياسيدنا تدبر .. لما يرجع حضرة
الناظر بالسلامة يعينك .. ده يمكن يربط لك جنيته في الشهر يدبره
لك من أموال البر بتاع البلد ..
وقال الشيخ طلبة في يأس :

لما يرجع حضرة الناظر ؟ .. يرجع فين بقى .. هو اللي
بيروح السجن بيرجع على طول كده .. ياشيخ .. ولبث في
السجن بضع سنين ..
وشهقت تفيدة :

— فال الله ولا فالك يابا .. ما دام المشرف الضلالى انتقل
لازم اللي في السجن حايرجعوا .. حضرة الناظر وعبد العظيم
وهلالى .. وسالم !

واهتز الشيخ طلبة وبان على وجهه التأثر ، ولكنه قال فجأة:
— وسالم ؟ بتقولى سالم ..
ثم صرخ :

— أوعى تجيبى اسم سالم ده على لسانك تانى .. أنا مش
مخرج عليكى ماتجيش سيرته ؟
واقتمحته أصوات مختلطة :

— دهدى ياسيدنا ؟ .. ماتخلينا في فرحتنا .. وعشمناكبير
في وجه الله .. ان الفرحة تتم .. يا أخى يحيى العدل ! يا أخى
ربنا يجعلها من نصيبه ..

وسمعت صوت عربة ركاب مقبلة من بعيد من اتجاه القاهرة
الى عاصمة الاقليم .. وأخيرا هاهى ذى العربة التى انتظرها ..
وأسرعت الى الطريق الزراعى لاستوقفها .. كانت مخفية فى
انحناء الطريق وراء الاشجار المغروسة على الجانبين ، وأزيرها
البعيد يملأ الأفق .. وتهيأت لاستوقفها .. ولكنها ظهرت من
الاتجاه المضاد .. كانت قادمة من عاصمة الاقليم فى طريقها الى
القاهرة .. خدعنى الصوت والصدى .. وأبطأت العربة وهى تمر
من أمام القرية .. وتعلقت بها العيون .. وشعرت كأن كل مافى
القلوب من أمل ولهفة ورجاء يتجه الى العربة القادمة
من عاصمة الاقليم .. آه لو عاد فيها الرجال الغائبون ! .. وتزايد
بطء العربة حتى اجتازت منحنى الطريق الذى تقع عليه القرية ،
ثم واصلت السير بسرعة .. تثير الضجة والغبار الكثيف ..
والعيون مع ذلك تتعلق بها وهى تختفى فى الطريق الطويل وانظفاً
فى كل الوجوه ذلك الشعاع من الأمل الذى ومض فجأة ..
ووجدت انصاف بين الواقفات .. متى جاءت أم سالم ؟ .. كانت
تقف صامتة شامخة وشيء جديد كالابتسامة يضىء وجهها ونظراتها
تفتحم .. وجفونها ذابلة من الدمع .. اننى مع ذلك أستطيع أن
أنظر فى كل هذه العيون ، فقد عاد يلمع فيها ذلك البريق الذى
يؤججه الانتصار .. وسألتنى انصاف لماذا لم يعدا بنها والرجال ؟ ..
تماما كما سأل طفل منذ لحظات .. واذا عرفت انصاف انى ذاهب
الى عاصمة الاقليم قالت بصوت عميق هادىء :

- قل لهم الحكومة حكومتنا واهى وقتت المشرف الظالم

وجابت مشرف جديد .. ماسكين الرجالة ليه .. ما اللي وقف
المشرف يقدر يوقفكم .. الله يوقف حالكم .. قل لهم ..

ولكن الشيخ طلبة لم يدعها تكمل :

– قل لهم المشرف الجديد رقد الشيخ طلبة خادم القرآن
الكريم .. ماتعملوا اجتماع يا أهل البلد .. اجتماع علشانى
يا أهل البلد .. دا أنا مقرى أبهاتكم القرآن .

ورد عليه صوت ضاحك :

– يعنى يا سيدنا حانبايعك تحت الشجرة .. واذا يبايعونك
تحت الشجرة يعنى ؟

وانتفض الشيخ طلبة غاضبا :

– واذا يبايعونك تحت الشجرة يا جاهل ! .. انت يعنى يا واد
بتقول فيها ؟ .. وفيها ايه يعنى لما تتمسكوا انى اقرأ فى الاصلاح
راتب القرآن زى المعتاد .. اجتمعوا وقولوا كده .. الاجتماعات
اللى من النوع ده حلال ومش ممنوعة ولا حد يقدر يتعرض لها .

ورد آخر :

– ياسيدنا احنا فى ايه والا ايه .. ماتعلمنا القرآن فى فصول
محو الأمية وخلص .. لما حضرة الناظر يرجع يحلها ربنا .. ادع
لهم يرجعوا بالسلامة وربنا ينصر الحق يا شيخ ..

واتجهت انصاف الى مرة أخرى وحاولت أن تتكلم .. فصاح
الشيخ طلبة فى ابنته تفيذة ودفعها أمامه لتسير وهو يلعن البلد ..

توقفت وهى تطلب منى ألا أعود من عاصمة الاقليم الا
بالرجال الغائبين .. وبأوامر لفصل المسئولين عن حبس الرجال !

ونهرها أبوها مرة أخرى .. ولكن الأصوات ابتلعت زعيته
.. كلهم يقول لى شيئاً ما .. لا تذهب الى عاصمة الاقليم فلا فائدة
منهم هناك .. هناك رجال مثل رزق يعتقدون أنهم اشتراكيون
وهم فى أرضهم يجلدون شبابا ورجالا مثلنا .. لا .. اذهب ولا
يهمك .. فهناك رجال شجعان أيضا وهم أصدقاء لنا .. لا .. قد
يجسك أصدقاء رزق .. مستحيل .. فهم لا يجسرون .. انهم
لا يستضعفون الا الفلاح .. رح .. رح .. ستجد لنا أصدقاء
أقرباء .. لا .. الحل كله فى القاهرة .. رح الى القاهرة واشك
الذين سجنوا رجالنا واسأل عن شكوانا التى أرسلناها من قبل ..
لا روح أولا لعاصمة الاقليم .. الاتقل لهم شيئاً أول الأمر ..
اسمع منهم قبل أن تقول لهم .. بل قل لهم ان القرية فضحت
المشرف وأنه موقوف ومحال الى التحقيق .. يا أخى لا .. دار
على سمعتك .. استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان .. بل ان
هذا الخبر سيزلزل أعداءنا فى عاصمة الاقليم قل لهم كل شئ ..
وكلمهم بشدة .. املاوا الدنيا بهذا الخبر .. فالأرض ليست
للمشرف ولا لرزق .. ولكن لنا .

وجاءت العربية والسياح يتعالى .. لم أشعر بصوتها .. ولكن
رجالا كانوا قد جروا فاستوقفوها .. ووجدت مكانا أقف فيه
وسط زحام العربية .. وحول العربية وأمامها أهل القرية ما زالوا

يتصايحون .. كل واحد منهم يقول لى شيئا .. وصاح السائق
طالباً منهم ان يخلوا الطريق لتسير العربة .. وتحركت العربة
متجهة الى عاصمة الاقليم .. وصياع الرجال والنساء يختلط
بدعوات النصر والتوفيق والزغاريد .. وتعال هتافات راقصة
ملء الفضاء :

« الأرض لمين .. للفلاح .. الأرض لمين .. للفلاح »

وضحك السائق ثم تنهد :

— يا سلام .. سبحان المغير الذى لا يتغير .. والله عشنا
وشفنا .. تعرف قبل الثورة كانت كلمة فلاح دى تعتبر شتيمة ..
وكانت الأرض لمين ؟ .. لو حد قال للفلاح كانوا شنقوه .. والله
عشنا وسمعناها وشفناها ..

وتحركت العربة بسرعة والسائق يضحك مكملًا :

— وفين .. فى أراضى الامرا .. والاكادة النعمة حلوة
يا جدعان ..

وسارت العربة تشق الطريق الى عاصمة الاقليم وأنا أفكر
فى هؤلاء الذين حبسوا الرجال لأنهم يقاومون الذين يريدون أن
ينتزعوا الارض من الفلاحين ، والهتافات تتصاعد من بعيد تتخللها
زغاريد يخفق لها القلب وتصب فى العروق حرارة خارقة، وتثير فى
الأعماق رغبة لا تقاوم فى النضال من أجل الحق والخير ..

والعربة تسير .. وما زال صوت الصدى المثير يملأ النهار
والفضاء المضيء بإيقاع رائع :

الأرض لمن .. للفلاح .. ورئسنا قال .. الأرض لمن ..
للفلاح .. حبينا جمال .. وزعيمنا قال .. الأرض لمن ..
للفلاح .. للفلاح ..

ما كنت أعلم من قبل أن الحقيقة في حاجة الى كل هذا
العناء وهذا النضال ، لكي تقف أمام الباطل مرفوعة الرأس ،
جهيرة الصوت ، راسخة القدمين •

وما كنت أعلم من قبل أن الأكذوبة تطير بجناحين ، وأنها
خلافة ، باهرة وصریحة الى هذا الحد •• وأنها شائقة ومثيرة
كليا الى المتاع !

وتبقى الحقيقة مع ذلك كالنهار •• لا مهرب منه ، مهما
تغلق دونه النوافذ وتسدل الستار •• !
وفي صراع الحق والباطل ، يجب أن يكون للحق أنياب
وأظفار ، ودروع والا نهشته ذئاب الباطل بلا رحمة •• ومرغت
أشلاءه في الوحل !

كنت وأنا صغير أعتقد أن الكذب مفضوح، وأن العار زرى،
وان الخديعة مبتذلة •• وان كل هذه البشاعات ليست في حاجة
الى أن نلعنها أو ندينها أو نهدها أو نحذر منها ، فهي من تلقاء
نفسها منهزمة وساقطة •• ساقطة ، ولو لبست التيجان ، وتسلمت
بالسيوف الاسطورية ، وارتدت ثياب غايات خرافيات الجمال !
وكنت أعتقد ، ان الحق جليل ، وان الصدق باتر ، وأن
الشرف سلطان ، وان الفضيلة قلعة لا تقتحم ، وأن الخير نافذ
الكلمة ولو مشى في ثياب رثة ! ••

ولكنى تعلمت أنه حتى الشرف في حاجة الى نضال كبير لكي
يثبت أنه خير من العار .. وان الحقيقة في حاجة الى كثير من
الاسلحة لكي تنتصر على الخديعة ، وان الصدق في حاجة الى كل
ما يملكه القلب من الشجاعة والجهد والى كل ما يملكه الدم من
البذل ، لكي يغير بصوته النبيل ، ما يثيره الزيف من ضجيج !

ومهما يكن الجو صالحا لاتتصار الحق ، فعلى الحق أن
يناضل بلا هوادة لكي ينتصر .. ذلك أن للباطل أسلحة غريبة ،
ولا أحد يعرف على التحقيق متى يمكن أن يستعملها وأين يمكن
أن يطعن .. في مرارة وخسة ، وبلا توقع ، وبلا خلق .. !

حق أعزل ! .. ماجدواه ؟ خير اخرس ! مامعناه ؟!

ولكم من دماء سالت عبر التاريخ لأن الفاضلين تصوروا
لبعض الوقت ، أن فضيلتهم وحدها يمكن أن تحميهم .. أو لأنهم
اعتقدوا - بما أن الحق معهم - أنهم أقوى من الخديعة ! ..

هكذا سقط المسيح في الزمن القديم .. وهكذا استشهد
الحسين في كربلاء .. وهكذا اغتيل لومومبا في عصرنا هذا
الحديث ، وسط الذين تعلقت آمالهم به ! وهكذا يموت الشهداء
والصديقون جيلا بعد جيل !

وما زال في كل ركن من أركان الأرض يصلب مسيح ما أو
يستشهد حسين جديد أو يفتال لومومبا آخر ! .. ويتعذب
مؤمنون كثير ، ورجال ونساء وربما أطفال ، ويرتفع تثار جدد
همجيون متوحشون يحولون الحياة الى غابة ، ويسقط أبرياء

يمزقهم التناقض الرهيب بين البدهاة والواقع بين المثل والحياة !
والسعداء هم الذين يحشدون في صراعهم مع الباطل أسلحة
أقوى مما يملكه الباطل .. ولا يستنيمون الى أن الحق يجب أن
ينتصر بما أنه هو الحق .. وكفى !

لا .. فالطبيعة أحيانا تسخر من نفسها ..
السعداء هم الذين يعرفون أن الكلمة الصادقة يجب أن
يكون لها بريق أقوى من كل بريق الزيف .. ويجب أن تلقى في
وجه الحياة بأعلى وأوضح ألف مرة مما يملكه الكذب من صوت
جهير !

وما زال عصرنا مسئولاً أمام الأطفال والشرفاء وكل المؤمنين
بالقيم الفاضلة .. ما زال عصرنا مسئولاً أمام كل هؤلاء عن
اخضاع الواقع للبدهاة و اخضاع الحياة للمثل وانقاذ الذين
يدخلون بفتوتهم الجديدة الى زحام الحياة من التمزق الذى
يخلقه التعارض الحاد بين القيم الفاضلة التى آمنوا بها وبين فساد
الاخلاقيات اليومية ..

ما زال عصرنا مسئولاً أمام التاريخ عن انقاذ الانسانية من
الهمجية والفوضى والظلمات والتخبط ، وعن هية المثل والقيم
الرائعة ! ..

ولن ينقذ هذا العصر من كل ما يصمه الا رجال شجعان
يؤمنون بأن العظمة تنبع من القدرة على قهر الكذب والشر
والباطل فى كل نبضة قلب ، وكل لمحة عين .. فى كل لحظة .. فى

المعارك الصغيرة اليومية التي تتحول فيها خطوات الانسان الى
صدق كامل .. فى كل حركة مخصصة ضد ما هو شائن ، وضد
الخدیعة .. والتوحش !! ..

أن تكون الكلمة معبرة حقا عما تعنيه ، فتسترد جلالها ،
وتتحول الى طاقة بانية وخالقة .. أن تكون الخطرة فى الاعماق ،
وكل المظاهر الخارجية للنشاط الانسانى ، تعبيراً عن الرغبة فى
نصرة الحق ، وعملاً من أجل سيادة الشرف ، وتأکید سلطان
الصدق .

من هنا تنبع عظمة الانسان ومجده فى مواجهة الحياة ..
من هنا تصبح الحياة جنة على الأرض يملكها الانسان ،
بدلاً من أن تكون مصيدة !! ..

ومن هنا أيضاً .. الخلاص .. خلاص رفیع !
أن نملك القدرة ، والشجاعة ، على أن نواجه الشر بأسلحته
.. هذه هى المسألة .. وهى مسألة ما عذبت هملت ، بقدر
ما دفعت الى اليأس بعدید من الشرفاء فى هذا المكان أو ذاك من
أرض البشر !! ..

وعلى أرض قریتی التى امتلكها أهلها بعد آماذ طويلة من
المعاناة والأحلام لم يكن فى مقدور أولئك الرجال أو النساء أن
يواجهوا الشر بأسلحته نفسها .. كانوا يملكون القدرة على كثير
ممن الأشياء .. ويملكون الشجاعة أمام الخطر .. وكانوا يملكون

أيضا تلك العظمة التي تكمن في الايمان بالصدق ، وفي العمل من أجل الحقيقة ، وفي ازدراء الزيف ، وفي الاحتشاد بكل طاقاتهم لكي ينصروا ما يعتقدون أنه هو الخير !!

غير أنهم كانوا عاجزين دائما عن مواجهة الشر بأسلحة الشر .. كان يسيطر عليهم ايمان غريب ، ان الخير سينتصر في النهاية .. وأنه كضوء النهار يقتحم حتى القاعات المظلمة عند الأوان !!

عيب كبير أن تطعن عدوك في مكان ضعيف من جسده !
فاذا كان هو يتلمس منك هذا المكان المريض ليقنتك منه؟!
وإذا كان هو لا يتردد في أن يطعنك في الظهر ؟؟ ..
مهما يكن فهذا عيب !! ولا بد من مواجهة العدو وضربه في المكان المنيع !

وهكذا لم يشأ عبد العظيم أن يتحدث عما صنعه الرجل الغريب القادم من القاهرة مع (تفيذة) .. رفض أن يقول ان هذا الرجل يحتال عليها لتخدمه في مسكنه ، وأنه يغازلها ، وأن توفيق حسنين يحاول أن يوقع بها ويجرها الى ذلك الرجل .. وأنهما يمارسان على أبيها الشيخ طلبة نوعا من التهديد الخفى ليفرط في ابنته ، وأنهما (اسماعيل وتوفيق) يمارسان فيما بينهما علاقات شاذة .

رفض عبد العظيم أن يقول شيئا من هذا على الرغم من أن الرجل الغريب اتهمه بأنه يستغل وجوده في لجنة الاتحاد الاشتراكي وفي مجلس ادارة الجمعية التعاونية، ويضغط على النساء، ويفسق!!

وأنه اتخذ له خلية من فتيات القرية ، بنتا أصغر من أولاده ، وهي (تفيدة) بنت (الشيخ طلبة) ! .. كل ما صنعه عبد العظيم ردا على هذا الاتهام أنه رفضه ! واستنكره واستعاذ بالله منه ، ورجاهم ٧٤ يذكروا اسم البنت والا يشوهوها .. وختم كلامه بأن الكذب بلا رجلين وأن الحقيقة مصيرها الظهور ! ..

ورفض عبد المقصود أن يذكر شيئا عما يصنعه رزق بأدوات الجمعية التعاونية وعن استغلاله للآلات ، عندما وجه بأنه هو أيضا يستغل مكانه في لجنة الاتحاد الاشتراكي والجمعية ، ويبيع بعض البذور والأسمدة خلسة ، ويستخدم الخفير هلالى ، وسالم ، وأم سالم ، في هذه الاعمال .. ويستغل ثقة سالم فيه ويقيم مع أمه أنصاف علاقة غرام !! ..

عندما ووجه بهذا كله بصق على الأرض ولم يجب !

كان هذا كله مثيرا لاشمئزاز عبد المقصود ولقد أوشك أن يصرخ في وجه الذين وجهوا اليه هذه الاتهامات بحقيقة أعدائه ولكنه كظم غيظه وأعلن احتقاره لمثل هذه الاتهامات .. وأقسم ألا يرد على شيء منها ، والحق سينتصر على أية حال ، وسيخرج هو ورجال القرية الآخرون من المحنة ، وعندها سيواصلون العمل ضد الذين يستغلون الجمعية ويستغلون مكانهم في لجنة الاتحاد الاشتراكي .. ستطردهم القاعدة الشعبية مثقلين بفضائحهم ، لكيلا يعودوا بعد أبدا لاستغلال الفلاح !

وعندما ووجه عبد المقصود وعبد العظيم أنهما ضد
الاشتراكية ابتسما ولم يزيدا ..

أما سالم فقد لطم وجهه طويلا وبكى عندما سألوه عما عسى
أن يكون بين أمه وبين عبد المقصود من علاقات !!

وظل يبكى جاحظ العينين مذهولا من أن تصل الأمور بأى رجل
فيه رجولة الى تشويه الناس الى هذا الحد، والظعن في الأعراس ..
وظل ينعت من قال كلاما كهذا بأنه جبان ونذل وبلامروءة ..

ولكن سالم مع هذا ، لم يحاول أن يتحدث عن أشياء يعرفها
تشين الذين اتهموه من أهل القرية .. وأقسم أن يحاسبهم عندما
يخرج .. لهم يوم ! ويومهم آت عن قريب !

وضحك هلالى وأخذ يبرم أطراف شواربه وهو يواجه
اتهاما بأنه يبيع مسروقات الجمعية لحساب عبد المقصود
وعبد العظيم وأقسم أنه يعرف في القرية من يصنع هذا ويعرف
لحساب من تنهب الجمعية .. ولكنه لن يقول شيئا من وراء الظهر،
وسيووجه الذين يسرقون بأنهم يسرقون ! فمهما يكن مقامهم في
القرية عاليا ، فسيكشف هو المستور أمام أهل القرية ويسقط
الصوص الكبار .. من علايهم ! ..

وما استطاع أحد من الرجال الأربعة أن يدافع عن نفسه
بشيء بعد .. كلهم أنكروا واستكروا ما وجه اليهم .. وما من
شيء غير صدقهم كانوا يملكونه في مواجهة باطل الاتهامات ..

رفضوا الكلام وما فكروا في أن يوجهوا الى الذين اتهموهم
بغير الحق اتهاما واحدا بالحق .. !

كانوا يرون أن هذا عيب .. وان حسابهم مع أعدائهم لن
يكون الا في مواجهة هؤلاء الأعداء ، أمام أهل القرية ! ..

فهم يؤمنون أنهم لن يقيموا في الحبس أكثر من ساعات ،
فالحق معهم .. وما من قوة في المحافظة تستطيع أن تنتصر للباطل
أكثر من ساعات .. ومع ذلك فقد ظلوا في حبسهم ثلاثة أيام ثم
رحلوا دون أن يعرف أحد الى .. القاهرة !!

وما كنت قد ئست في اليوم الأول ..

كنت مثلهم مؤمنا أن الحق معهم ، وأنه من المستحيل أن
يبقوا محبوسين أكثر من ساعات ، ثم يدرك الذين حبسوهم بعدها
خطأهم .. ويطلقون سراح الرجال ، ويعتذرون! وان كان اعتذار
الدهر كله ، لا يمحو ظلم ساعة واحدة ، تهدر فيها حرية انسان
أو كبرياؤه ، وان كانت كل مباحج الدنيا لاتصلح عزاء عن لحظة
تعذيب ! وفيضان من دموع الندم لا يطفىء لهب الغيظ !!

ذهبت في أول يوم الى لجنة الاتحاد الاشتراكي بالمحافظة ..
وقابلت أحد أعضاء اللجنة ، وما برح في أذني رنين موج من
هتافات القرية وأنا أركب العربة في طريقى الى المحافظة .. تلك
الكلمات التي ألقتها سليقتهم وغنوها على ايقاع من نبضاتهم ..
ايقاع رائع مشير يذكى في النفس الشعور بالأمل والرغبة في

النضال .. كنت أهمهم دون أن أشعر بتلك الكلمات التي تملأ
أعماقي برنينها الشجي (الأرض لمين)
وكان الرجل الذي جلست في حجرته يتحدث في التليفون
وعندما فرغ رجب بي بابتسامة كبيرة .. كنت أعرفه .. فهو
محام في عاصمة الاقليم حقق نجاحا ملحوظا .
هو في مثل سنى أو أكبر قليلا ، يجب أن يتحدث بعناية ،
ويتلذذ بكلامه المنسق ، وبإشارات يديه الأنيقة .. وهو دائما
في حالة مراعاة .. يضاوى الوجه ، طويل ، متورد الخدين رغم
سمرته .. مستريح القسماط مطمئن النظرات .
وكنت قلقا أتفرز وهو يرحب بي في هدوء غريب ويتحدث
بتألق مستريح ويبدى لى في أدب ، واستغراب مرسوم ، دهشته
لشحوب وجهى وللشيب المبكر الذى غزا رأسى ..
ودون أن يترك لى فرصة للكلام نصحنى أن أمارس
الرياضة .. أية رياضة .. فهو فى نادى المحافظة يلعب التنس كل
يوم بلا انقطاع قبل أن يذهب الى عمله وفى البيت يلعب اليوجا .
وحاولت أن أقاطعه ولكن بلا فائدة ..
ودخل علينا رجل فى خريف العمر يلبس جلبابا أزرق وعلى
رأسه طاقية من اللباد الابيض فتجهم المحامى وهو يستقبله .
ثم عاد فابتسم على الفور ، وطلب من الرجل أن ينتظر قليلا
فى الخارج لأنه مشغول الآن بحديث هام ..
وعاد يصف لى (اليوجا) ومزاياها .. كيف يجب أن أتدرب
على الوقوف على رأسى .. والأمر سهل .. أول الأمر لدقائق ،

ثم لأكثر ، ثم لساعات .. وهذا تدريب للارادة فضلا عن أنه يصنع معجزة للجسد ويعيد اليه الشباب ويحفظه الى الأبد .. وقاطعته :

– يا أستاذ برعى أنا جاي في موضوع خطير لا يحتمل التأخير .. فيه ..

ولكنه قاطعنى بابتسامه وأقسم لى أن نهرو مارس اليوجا وأنها هى التى حفظت له شبابه .. وأخرج من درج المكتب كتابا عن اليوجا وقدمه الى هدية ، ولكنى نحييت الكتاب فى قلق ، وجفاء لم تكن لى فيه حيلة .

وقبل أن يقفز الاستاذ برعى الى حديث آخر دق جرس التليفون فانشغل بالكلام .. ورتبت فيما بينى وبين نفسى ألا أدع له فرصة أخرى للكلام عن التنس أو عن اليوجا .. وأن أهاجبه بشكواى ..

ولم يكد يفرغ من حديثه التليفونى حتى بدأت أحدثه ، ولكنه لم ينصت ومضى يحدثنى عن الجولف ومزاياه .. وينصحنى أن ألعب الجولف ان لم أستطع أن ألعب التنس ، وهو سهل ولطيف .. ولكن من واجبى مهما يكن اختيارى لنوع اللعبة أن أومن باليوجا وأن أمارس شعائرها !! ..

وظل يتكلم وأنا أتكلم .. ولاحظ هو انى لا أسمعه .. وانى أتحدث بانفعال شديد حتى لقد ارتجف صوتى ، وسخن وجهى وبدأ العرق يتساقط رغم الشتاء .. وأخيرا أصغى لى

وألقى الى بكل وجهه الحليق بعناية ملحوظة .. وغرس نظراته
في وجهي ..

وشعرت أنه لاشيء يمكن أن يشغله في هذه اللحظات غير
كلامي .. كان يصغى بانتباه شديد .. ودون أن تتغير ملامحه
المنتبهة ، ضغط على جرس صغير بجانبه ودخل شاب فالتفت اليه
وطلب منه أن يدخل الفلاح الذي جاءه منذ لحظة .. وخرج
الشاب الذي بدا لي أنه سكرتيره ..

وتضايقت قليلا .. ليس منتبها لي الى الدرجة التي سرتني ..
على أية حال .. دخل الفلاح وأنا أتكلم .. وابتسم هو له
وأجلسه على مقعد آخر أمام المكتب .. ثم دق جرسا آخر فجاءه
أحد السعاة وطلب لنا قهوة .. واعتذر الفلاح ولكنه ابتسم له
مشجعا وأقسم أن يطلب الفلاح شيئا .. فطلب كوبا من الشاي
.. وعدت أشكو له ما حدث ، وعلى وجهه كل امارات الاصغاء
.. وعيناه المستريحتان تنظران الى باهتمام وشفته مضمومتان
على ابتسامة هادئة خفية ..

وبعد أن انتهيت قال لي ان هذا الذي حدث لا شأن للاتحاد
الاشتراكي به .. وأن الاتحاد الاشتراكي لا يجب أن يقحم نفسه
في مسائل قانونية .. هو يعرف ان هناك خلافا في لجنة القرية
بين الأمين وبعض الاعضاء .. وقد كان من الممكن أن يسعى هو
لحل الخلاف .. ولكن الامر تطور على نحو مذهل .. فالرجال
المقبوض عليهم في القرية نسبت اليهم اتهامات من اختصاص

القانون وحده • ولهذا قبضت عليهم الشرطة وليس من حق أحد أن يتدخل •• فالقانون هو القانون حتى وإن كان قانوناً رجعياً فمن الواجب احترامه حتى يغير ! ••

ثم رفع صوته فجأة وبدأ يتحدث بشكل منسق وخطابي وهو يشحن نفسه بانفعالات حاول أن يجعلها صادقة :

– في الواقع أن لجان الاتحاد الاشتراكي يجب أن تكون لا قيادة فقط ولكن قدوة

وأعجبه كلماته •• فعاد يكرر :

– قيادة وقدوة •• كل لجنة هي قيادة وفي نفس الوقت قدوة •• فكون أن بعض المخربين من أعضاء لجان الاتحاد الاشتراكي استغلوا مواقعهم لامتيازات خاصة يحصلوا عليها وحدهم •• لأ •• لأ •• أنا جالي هنا الأستاذ عبد المقصود وعبد العظيم •• أنا عارف يا بيه جميع أعضاء لجان الاتحاد الاشتراكي في كل قرى المحافظة بالاسم •• والله اسم اسم تأكد يا بيه •• وشكل شكل •• وقالوا كلام كثير فيه اساءة للاتحاد الاشتراكي تصور يا بيه •• ولنظامه •• وللإشترابية ومثلها •• واحتملتهم •• احتملتهم والله •• لكن •• يعنى ايه لا يعترفوا برزق بيه أمين اللجنة؟! يا سعادة البيه دى فوضى ! •• رزق بيه الثورى رئيس الجمعية التعاونية وأمين لجنة الاتحاد الاشتراكي في القرية ؟ •• ازاي يعملوا اجتماع رغما عنه •• فين النظام الواجب احترامه واتباعه ؟ •• دى فوضى •• ثم ان رزق بك

رجل بحق يعتبر يعنى .. اشتراكى منتج .. رجل يساهم فى
زيادة الدخل القومى بينما غيره يعنى أعداؤه أمثال عبد المقصود
وعبد العظيم ناس ييعطلوا الانتاج .. أى فلاح أو أى عامل أو
أى واحد يثير مناقشات تعطل العمل يعتبر مخرب .. مخرب قطعاً
.. ثم ان يعنى اسمح لى .. أى فلاح يثير الجوس ضد المالك لمجرد
انه مالك فهو يعتبر ضد الميثاق .. ده رزق بيه رجل له مكاتته
يا سعادة البيه .. ده كان فى هيئة التحرير وفى الاتحاد القومى
معايا والله .. هو رزق بيه ايه ؟ .. ده عنده أقل من خمسة
وعشرين فدان .. يعنى فلاح طبعاً . فلاح برضه بالمقياس
الاشتراكى الصحيح .. احنا ضد الصراع الطبقي لكن دول يظهر
انهم شيوعيين ! دول ناس يثيروا الصراع الطبقي .. دول ناس
ضد الاشتراكية .. دول شيوعيين .. ضد الميثاق .. ويجب
أخذهم بكل شدة .. ومع ذلك فهم طبعاً محبوسين فى موضوع
تانى .. أظن مسائل أخلاقية .. أو سرقة . مسائل يحسن طبعاً
البعد عنها .. على أى حال دى مسائل قانونية .. لكن أنا حبيت
أنورك . الفلاح اللى يعطل الانتاج ويثير الشعب واللى يلقى
شبهات على أى مسئول فى لجنة الاتحاد الاشتراكى وفى الجمعية
التعاونية بتاعة القرية أو أى مسئول فى الجمعية التعاونية ..
هذا الفلاح رجعى وشيوعى وعميل اقطاعى وضد الاشتراكية
ومخرب ! أنا أنصحك بالبعد عن الموضوع ده فهو شائك
و .. وعلى كل حال كلهم اترحلوا لمصر والتحقق هناك فى أيدي

أمنية لكن جاز يطول شهر والا اثنين والا ثلاثة ..
وهنا .. قام الفلاح الذي كان يقعد أمامي وهو يحملق في
يأس واشمزاز وذعر . وكان صوت الأستاذ برعى قد ارتفع ،
ويداه تلوحان بحرية ، وسبابته تشير الى الفضاء باتهام .. وتهتز
بتهديد .

وجرى الفلاح مسرعا ، حتى اصطدم بالساعي الذي جاء
يحمل صينية عليها كوب الشاي وفنجان القهوة ..

والفلاح يجرى ويزعق :

— يا وقعة غبرا .. الله الغنى عن الشكوى ياعم .. سلامو
عليكم قبل ماتطلعوني من هنا رجعى ولا عميل اقطاعى ولا
شيوعى !

واندفع يقتحم الباب وقد انتزع من قدميه مداسه بسرعة
غريبة وأخذ يضرب به صدغيه .. وهو يصيح فى جزع ، وغيظ
هائل .

— ونروح لمين بس؟! .. نشتكى لمين ؟ يعنى تنضرب بالبلغ
ونسكت ؟ وان اشتكيناهم يودونا فى داهية ! سكتنا .. أهه ..
سكتنا يابھوات .. سكتنا .. وسكتنا .

واتنفض الرجل يتطوح كالنادبات وهو يلطم بمداسه فوق
صدغيه :

— وسكتنا .. وسكتنا .. ورضينا وسكتنا .
ثم تهدلت يداه وسقط مداسه .. وأنا والمحامى ننظر اليه فى

دهشة وقد سمرتنا المفاجأة في مكانينا واجتمع حوله في مدخل
الباب بعض رجال من الفلاحين ومن العاملين في لجنة الاتحاد ..
ثم نظر الى السماء طويلا وسط الصمت والذهول ووجهه يتقلص
في جزع ، ورجاء ، ووجد .. ورفع يديه الى السماء وصوته
يتهدج مشحونا بضراعة فاجعة :

— ارحمنا بقى يا رب .. يا رب .. على كل ظالم يا رب !
يا رب !

ووقع الرجل على الأرض
وأطبق صمت كالاسى ، لم تقطعه سوى زفرات سيجار
الهافانا الفاخرة من فم المحامى ، وهممة خافتة من أحد الواقفين :
« يا رب ! »
ثم .. صوت بكاء الفلاح .. بكاء رجل .. فى الستين !

عندما انتهت الضجة من على باب الأستاذ برعى ، ذهب كل الى حاله .. ولم ينطق برعى ، وما كانت هناك قوة تستطيع أن تخرجنى من صمتى •

وأخذت أتأمل برعى • هذا الطراز الجديد من القادة .. ودخل شاب صغير واضح الاناقة والوسامة ، أتشوى الوجه والحركات .. على بدنه بدلة فاخرة ، ورباط للرقبة من لون منديل وضع باتقان في الجيب العلوى للبدلة •

وهمس الشاب للأستاذ برعى .. فرد الأستاذ :

— خليها تتفضل •

وخرج الشاب الأنيق ، الذى كان أحد العاملين فى سكرتارية لـاستاذ كما يبدو وعاد يسحب فتاة طويلة بيضاء الوجه مليئة لجسم ، ينسدل ثوبها الاسود الرينفى على بدن شاب واضح لعنفوان .. يتحرك فى حرج وينتفض بالحق .. وصدرها تترجرج .. ونظرات برعى على نهدىها .. الفتيتين •

وتقدمت الفتاة، وعلى وجهها الجميل دعر وعيناها السوداءوان

الكبيرتان تدوران فى المكان بدهشة ، وهى تهمهم :

— عاوزين منى ايه بقى .. فىن أبويا .. خدتوه على فىن ..

هو عمل ايه يا افندية ؟ ضرب نفسه بالبلغة ؟ .. طيب يعمل ايه ؟
ودى جريمة فى الزمن ده ؟ .. يا بيه يا بتاع الاتحاد الاشتراكى
أبويا راح فين ..

وصاح فيها السكرتير بضيق :

— أبوكى راح فى داهية .. خدوه عالجبس • خليكى هنا
مع سعادة البيه .. وهو يطلعوه لك •

وانفجر صراخ الفتاة حادا مروعا بكل ياسها ..

— يا فضيحتى .. يا فضيحتى •

— بقى جاية أنا وأبويانشتكوا لكم الظلم تعملوا فينا كده ..

ياقلة رجالتك يابا .. ياقله رجالتى يانا .. الهى ربنا يفضحكم •
ان شاء الله تنفضحوا فضيحة اللحم .. وفجأة أطبقت بكل قوتها
على عنق السكرتير :

— حبستوا أبويه ؟ .. حبستوا أبويه ؟ وعاوزين منى ايه ؟

عاوزين منى ايه بقى •

وتخلص منها السكرتير بصعوبة .. وهى ما تزال تصرخ ..

وضغط الاستاذ برعى على جرس مكتبه .. فأقبل ساع

علاق .. وأشار اليه بعينيه ، فتدخل بين الفتاة والسكرتير ..
وجذبها الى الخارج .. وصراخها يرج المكان •

والسكرتير وراءها يدفعها فى ظهرها وهو يشتمها ..

ما هذا كله ؟ .. يا أستاذ برعى ما هذا كله ..

وقدم لى الاستاذ برعى علبة سيجار فاخرة .. فاعتذرت

وعاد وجهه الى ابتسامته المطمئنة .. وهو ينظر الى :
— لا مؤاخذه على الازعاج ده .. احنا كنا بنقول فى ايه
.. أيوه

ودخل السكرتير فجأة فقال :

— طردناها بره الاتحاد الاشتراكى خالص .. هى فاهمه ايه
.. ثم نظر الى يحدثنى بلا معرفة سابقة وكأنه يدافع عن اتهام !
— احنا كنا عاوزينها تسمع من سعادة البيه بنفسه ان أبوها
مش حايجصل له حاجة .. تحقيق بسيط ويطلع .. لأنه ضرب
نفسه بالبلغة .. ودى معناها وحش خالص .. سعادتك طبعاً
عارف احنا كنا عاوزينها تظمن من سعادة البيه شخصياً أن أبوها
بخير ؛ لكن الفلاحين دول نيتهم وحشة وتفكيرهم دائماً وحش
وقلبهم أسود .. الحمارة .. هى حرة . حاجة غريبة . ايه ده
.. فلاحين كده زى البهايم ..

فزقق فيه الاستاذ برعى :

— عيب يا ولد .. عيب تقول كده على الفلاحين .. ده كلام

رجعى .. خليك ثورى

وعدت أشرح للأستاذ برعى حقيقة الوضع فى القرية وما يصنعه
رزق ، وأذكر له أن سلوك رزق هو السلوك المجافى للروح الاشتراكية
ولكنه قاطعنى مبتسماً :

— أنا عارف كل حاجة .. لكن أنا مش من رأيك .. رزق
بك هو نموذج الاشتراكى .. مش لأنه صديقى .. أنا والله

علاقتى به سطحية جدا .. لكن لأنه رجل منتج وكفاء كفلاح .
ثم لأنه يا أخى متمسك بالنظام .. يبقى رجعى ؟ .. ما هو احنا
لو تركنا أى فلاح يهين المالك الأكبر منه .. تبقى المسألة فوضى .
اللى عملوه الجماعة دول اسمه شغب .. شغب وتخریب فى النظام
الاشتراكى ..

ونظرت اليه فى حيرة ..

كنت أصدق ان ما يجعله يدافع عن رزق الى هذا الحد ليس
هو الصداقة .

كنت أصدق أنه ليس صديقاً لرزق ، فأنا أعرف أن لرزق
صديقاً آخر أو صديقين فى لجنة المحافظة .. ولكن كيف يمكن
التفاهم مع رجل مثل الأستاذ برعى .. هاهو ذا رجل فى قيادة
لجنة المحافظة وها هى ذى نظرتة الى دفاع الفلاح عن حقه ..
لاشئء يسكن أن يغير آراءه ..

انها مصالحة هى التى تشكل نظراته للامور .. ولكنه يجب
ألا يبقى فى مكانه .. فى قيادة التنظيم الاشتراكى للمحافظة ..
الفلاحوز وحدهم هم القادرون على أن يكشفوه ويخلعوه
من مكانه ليضعوا مكانه رجلا ينطق بمصالحهم ويعبر عنهم ..
وسألته وأنا أقف ان كان هذا هو تقديره النهائى للموقف .
فأجابنى :

— على أى حال أنا فى موقع يسمح لى بوضوح الرؤية ..
ووضوح الرؤية يا بيه أهم شئ فى كفاحنا الاشتراكى والموضوع

موضوع قانونى لا سياسى .. الاتهامات الموجهة اليهم اتهامات خطيرة جدا وتقع تحت طائلة القانون .. وأنا كان ممكن أروح أحضر التحقيق معهم كمحامى .. ده صحيح .. ولكن ده يعتبر شبه تدخل فى مسائل قانونية وأنا موقى حساس بصفتى أحد المسؤولين الثوريين فى الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة .. وعلى كل حال أنا وقتى كله ملك للناس .. للفلاح .. للشعب .. بس الموضوع حرج .. أنا مضى بمكتبى وبكل وقتى ومقيم فى موقى هنا .. ليل نهار فى الاتحاد الاشتراكى .. أنا لا أتحدث عن تضحياتى .. لكن .. دى مسئولية .. أنا رجل ثورى .. على العموم ثق ان الموضوع فى أيدي عادلة وأمينه ووالله اذا ثبت للمحققين براءتهم من الاتهامات الموجهة اليهم فلا توجد قوة تبقينهم فى السجن أما ان ثبت العكس فلا بد من المطالبة بفصلهم من مواقعهم .. ويبقى سجنهم فى مصر يا عزيزى هو عين الجسد الموضوع قانونى .. قانونى وفى أيدي أمينة فى مصر .. فى يد الجهات العليا .. ده موضوع قانونى مش سياسى .

ارتفع صوت غريب بلهجة عنيفة :

— الموضوع سياسى وأبوه سياسى كمان يا أستاذ

كان شاب فى نحو الثلاثين يقف فى الحجرة ، نحىلا متوسط الطول ، على وجهه ضنى خفيف ، وعيناه حادتان ، وفى جفونه أثر السهر ..

وكان عصيبا بعض الشيء .. بذلته متواضعة، شفتاه مطبقتان
باحكام تحت شارب رفيع منسق .

وعلى الرغم من وجهه المتوتر المعذب فقد كانت تشيع في
سمرة وجهه المستدير طيبة يستريح لها المتأمل ، وفي نظراته الحادة
نفاذ مشع ، وشيء ما .. حالم .

واضطرب الاستاذ برعى فجأة . وأخذ يتأمل وجه الشاب ..
والشاب ينظر اليه من تحت حاجبين مرفوعين وجبين متغضن ،
تلك الغضون التي ترسمها الدهشة .

قال برعى وهو يحاول أن يتنسم :

— الله باسم الله الرحمن الرحيم .. هم بيطلعوا امتى .. انت
جيت امتى يا أسطى .

— أنا باقول لك الموضوع موضوع سياسى مش قانونى .
كفاية بقى يا أستاذ برعى . كفاية بقى . الحكاية زادت قوى
ولا يمكن السكوت عليها ثم جهات عليا ايه . ايه الجهات دى اللى
بتقول عليها !؟

وضحك الأستاذ برعى بلا مناسبة ..

كان واضحا انه يحاول أن يغمر شيئا فى ضجيج ضحكاته
المدوية ..

وتقدم خارج مكتبه وعانق الشاب الغريب فى مودة وربت على
كتفه قائلا وهو يقدمه لى :

— المهندس عمار الشيبينى .. عضو معانا فى لجنة الاتحاد

الاشتراكي بالمحافظة ورئيس قسم بمصنع النسيج .. انت رئيس
قسم ايه .. ياباشمهندس .. ده جديد فى العمل السياسى ..
لا كان فى هيئة التحرير ولا فى الاتحاد القومى .. مش كده
ياباشمهندس .

وقاطعه الشاب وهو يقدم نفسه لى :

— أنا مش مهندس .. أنا عامل فنى فى مصنع النسيج
وعضو لجنة الاتحاد الاشتراكي فى المصنع وفى المحافظة .. أنا
دخلت على الخطبة بتاعة الاستاذ .. لا مؤاخذه .. الصراع بقى
مر .. وهو مش ضد بقايا الاقطاع وجيوبه والجيوب الرأسمالية
بس .. ده الصراع الخطير ضد الانتهازية وحملة الشعارات ..
ضد انتهازية اليسار .. اليمين واضح قدامنا ومكشوف واحنا
قادرين عليه .. واليمين مضروب .. لكن الخطورة الحقيقية
من انتهازية اليسار لأنها فى رأى محتلة أماكن قيادية حساسة ..
وهى العدو الخفى المتسرب فى صفوفنا .. وهى فى نفس خطورة
اليمين . أو ربما أخطر لأنها مستخية ! وأنا باتهمم .. وباطالب
باجتماع سريع أنا أتهم كل من تسبب فى ضرب العناصر الثورية .
يعنى فى القبض على الاستاذ عبد المقصود وعبد العظيم وسالم
وهلالى وكل من شارك فى القبض عليهم ومن حاول تشويهمم ..
أنا أتهمم ..

ونظر اليه الاستاذ برعى مبتسما فى تودد ..

— الله ؟ انت حافظ أسماءهم كويس أهه .. والله برافو عليك .

ياعمار .. من وردية المصنع للاتحاد الاشتراكي للبحث في مشاكل الجماهير .. اشتراكي تمام .. بس لولا التطرف بتعاك اللي حايضعك .. خسارة ! .. حاسب على نفسك أحسن لك .. احنا بلد اشتراكية معتدلة لا متطرفة ! .. بلاش تطرف !

– اتم بتجيبوا الأفكار دي مين ؟ .. الأفكار دي تخفى عداا للاشتراكية ! ..

– لا .. لا .. أنا لا أسمح لك .. من فضلك .. اعتذر عن هذه الاهانة .. دي اهانة كبيرة قوى .. جدا .. اهانة فظيعة خالص .
واكهر الجو ..

وشعرت بالراحة تغمر الضيق الذي صنعه لي حديث الاستاذ برعى .. وظل برعى يكرر لعمار :
– اعتذر .. هذه الاهانة أنا لا أقبلها .. اعتذر .. انت عندك انحرافات يسارية شديدة وأنا لا أقبل هذه الاهانة ! .. أفكارك هذه مستوردة ..
واحتد عمار :

– انت تعرف معنى ايه واحد مناضل اشتراكي يقبض عليه في عهد الاشتراكية .. تعرف معنى ايه يقبض على واحد برى .. انت تفهم ايه علاقة الحرية بالاشتراكية .. حرية الانسان هي أكبر وأهم خصائص الاشتراكية لكن أمثالك بأسلوبهم الارهابي البوليسى ده بيحولوا الاشتراكية الى نقمة الى لعنة .. وبالطريقة

دى تخوفوا الناس وتكرهوهم فى الاشتراكية وتبلبلوا الأفكار
وتخلقوا حالة ذعر تدمر القوى المنتجة وتضيع حالة الثقة والاستقرار
والأمل النفسى اللى كل منتج لازم يشعر بها علشان يعرف
ينتج ! .. فاهم .. يا أخى التجارب الاشتراكية فى كل بلاد العالم
أثبتت أن عدم احترام الحريات العامة هو اللى آخر التطور
الاشتراكى .. انتم أعداء التطور الاشتراكى .. انتم فرديين
ارهابيين .. عاوزين مصالحكم وبس ، ولتحموا هيبتكم ومصالحكم
بقوة البوليس .. ده تخريب وهمجية ! انت فاهم أظن انك انت
الاشتراكى الأوحده؟! علشان يعنى ما انت بتعرف تتكلم وتضحك
فى وش الناس .. لا يا أستاذ .. لا .. لا .. لازم يا حضرة القائد
الاشتراكى تفهم كويس ان الحرية هى جوهر الاشتراكية ..
والحرية دى تخوف أمثالك من الطبقة الجديدة طبعا لأنها بتكشف
الانتهازيين وحملة الشعارات وأعداء الاشتراكية والحرية ..
والناس اللى هم بتوع مصالحهم أمثالك طبعا ما يقدروش يواجهوا
عامل أو فلاح أو مثقف فقير . فى مناقشة حقيقية وعادلة .. أسهل
حاجة عندهم توجيه الاتهام وقمع الحريات .. انتم لعنة .

وانفجر برعى :

— أنا محامى كبير ولا أسمح لعامل زيك انه بوجه لى اهانات .
ويتهمنى بالتخريب . أنا اشتراكى أحسن منك ميت مرة . وأفيد
منك للمجتمع الاشتراكى . مجتمع الانتاج والتوجيه .. مجتمع
الكفاية والعدل .

وضحك عمار ..

ثم عاد يقول بهدوء وهو يتأمل برعى يرتجف ويصفر :

— طب اتعلموها منا بقى .. اتعلم منى أنا حاجة بقى .. ماهى
الاشتراكية دى بتاعة العمال والفلاحين والمثقفين الواقفين معاهم
واللى يمثلوهم • الاشتراكية دى طريق لسعادة الانسان، آخر طريق
اهتدى له العقل البشرى .. وقبله كانت فيه محاولات كثير .. من أول
الأديان السماوية اللى نزلت كلها علشان اسعاد الناس لحد آخر
الأفكار فى القرن العشرين .. والكفاية والعدل اللى انت بتتردهم
من غير ماتفهمهم دول ضمانهم حاجة واحدة : الحرية •
حرية الانسان يا أستاذ برعى • فى المجتمعات الرأسمالية والاقطاعية
مفيش حرية بالمعنى الصحيح لأن الضغط الاقتصادى والحاجة
بتحدد حرية الانسان .. فى الاشتراكية بقى لافيه ضغط اقتصادى
ولا فيه احتياج .. لأننا احنا الشعب بنملك كل أدوات الانتاج
والتجارة والبنوك وكله .. ولأن الاشتراكية انتاج وسد احتياجات
.. يجب بقى أن الانسان يمارس كل حرياته ويشعر بأمان ..
لكن فى مرحلة التحول الاشتراكى الحرية مش فى مصلحة أمثالك ..
ولا فى مصلحة ماركة المديرين اللى عاوزين يخنقوا وراء الشعارات •
الحرية بتكشف انحرافهم أو قصورهم أو تطلعاتهم الطبقيه ..
لكن احنا حناضل باستمرار فى سبيل الاشتراكية الصحيحة ..
الاشتراكية الحقيقية اللى جوهرها الحرية • والا انت فاهم ان

الانسان انكتب عليه العذاب في كل النظم حتى في عهد الاشتراكية
كمان ؟ .. الاشتراكية حرية يا أستاذ .. انطلاق .. انسانية ..
عدالة حقيقية يا أستاذ .. فهمت .. خلوا الناس تنطلق وتفرح
وتهيص وتتمتع بالحياة ، خايفين من ايه ؟ .. عاوزين تتمتع بيهجة
العمل والاتاج والحب .. ادى الاشتراكية صحيح .. فهمت ..
وصاح الأستاذ برعى :

— انت حاتعلمنى .. انت جاي تلقى على محاضرات .. أنا
أعلم ألف زيك ! .. أنا عارف عقدة الثقافة اللي عند العمال ..
الواحد منهم يقرأ كلمتين علشان يتفلسف بهم على المثقفين : أنا
أمنعك من التدخل فيما لايعنيك ..
ونظر اليه عمار في ثبات ، وهز رأسه في اشفاق .. ثم قال
بهدوء غريب :

— على العموم .. كل ده يعنينى .. يعنى شغلى ، ولازم لجنة
المحافظة تجتمع فوراً وتبحث الموضوع وتبعت برقية لأمين المحافظة
يقطع رحلته للسد العالى ويعتذر للضيوف الأجانب اللي راح
معاهم وييجى علشان نواجه الموضوع ده .. الموضوع مش
صغير زى ما انت فاهم .. ده .. ده .. تخریب فى الاشتراكية باسم
الاشتراكية .. تقبضوا على الناس ازاي من غير جريمة .. لازم
تتحاسب ونبعد المنحرفين عن مراكز القيادة الشعبية ! .. بتدوا
أوامر لضابط المباحث بالقبض على الناس بصفة ايه .. وهو ينفذ
ازاي ده !؟

وبهرنى عمار الشيبينى ..

ولكنى لم أستطع أن أبقى لأتابع المناقشة ! كنت مشغولا
بالبحث عن طريقة عاجلة للافراج عن رجال قريتى ..
وشددت على يده معجبا ، وكلى ثقة بأن مثل هذا الرجل هو
الذى يستطيع أن ينتشل العصر من الذين يهيلون فوقه التراب .
وأسرعت الى ضابط المباحث الذى تحدث عنه عمار ..
ولكنه أكد لى أنه لايعرف شيئا عن الأمر .
فواجهته بأنى عرفت من مكتب الاتحاد الاشتراكى انه هو
الذى قبض على رجال القرية ، بغير حق .

فاحتج على كلماتى وقال لى انه ضابط اشتراكى مخلص
والأمر سرى لا يستطيع أن يتحدث فيه .
ثم نصحنى أن أبتعد عن هذا الموضوع ، فهو شائك وله نواح
أخلاقية .. والجهات العليا على أية حال هى التى أمرت بالتحفظ
على هؤلاء الرجال ! ..

وسألته أية جهات عليا يعنى ؟

فلم يجب ، وقال باذعان مصطنع أن الأمر ليس بيده .. وهذا
غاية ما يستطيع أن يقول .
وودعنى بابتسامة مهذبة وهو يقترح على أن أسأل الضابط
الذى فى الحجرة المجاورة .

وفى الحجرة المجاورة قال لى الضابط الموجود انه لايعرف
شيئا عن أمر كهذا .. وان الرجال لايمكن أن يكونوا محبوسين .

وذهبت الى حجرة مجاورة أخرى ، فلعلها هي التي يعنيها
ضابط المباحث ووجدت ضابطا صغير السن مقطب الوجه يجلس
على مكتب وأمامه طايبور طويل من رجال ونساء في ملابس فقيرة
كل يقدم شكوى .. وهم يتحدثون في وقت واحد ، وانتظرت
دوري .. والضابط يشتم رجلا وهو يناقشه في شكواه والرجل
مرتبك يهرش جسمه ورأسه ويبلع ريقه ويلم جلبابه لكيلا يلمس
المكتب ..



وما زال الضابط يلعن اليوم الذى ترك فيه القاهرة ليخدم فى الأرياف •

والرجل الواقف أمام الضابط يقرأ لافتة كبيرة أنيقة على الحائط كتب عليها (الشرطة فى خدمة الشعب) •
وزعق الرجل بغتة :

ماكفاية شتايم وامارة ومنظرة بقى وتقرأ اليافاطة اللى انت
قاعد تحتها وتعمل بها والا هى يفظ وخلاص •
وضج الطابور الطويل بالضحك ••
وارتفع من آخر الطابور صوت حاسم :
- مضبوط •• الرجل له حق يا حضرة الضابط ••
ووقف الضابط فجأة وأدى تحية عسكرية :
- (أيوه ياسيادة المدير) ••
وسرت هممة (مدير الأمن •• مدير الأمن) •

واستدرت اليه لأكلمه فسلم فى أدب جم وأخذنى الى غرفته ••
وقدمت شكواى •• وبان على وجهه اهتمام شديد ••
وبدأ يستنكر بحماس كل ما حدث لرجال قريتى وكلام ضابط
المباحث •• من هو هذا الرجل !؟ •• هذا الوجه أعرفه ••
وارتفع صوته مجلجلا حادا •• وهذا الصوت أيضا •• وعلى

الرغم من الشعرات البيض والتعب الذى يلفح هذا الوجه فما زلت
أذكر انى أعرفه !

هذه النظرات ! ما أروع أن نسترجع بغتة ذكريات أيام مرت
منذ ثلاثين عاما على شعاع من عين صديق قديم •

الفرماوى؟! •• الفرماوى ••

وتعاقنا •• انه زميل الخديوية القديم ••

وتبادلنا الذكريات السريعة •• آه •• وأيام تعودنا أن نسمع
الشيخ رفعت كل جمعة وذات يوم بعد الصلاة وقف رجل يخطب
الناس •• كان من فلسطين •• مفتى يافا •• يا للروعة التى يثيرها
اسم البلد •• كان يحذر العرب مما يصنعه الانجليز الذى يمهدون
لنسليم فلسطين لليهود •• تلك الجمعة من سنة ١٩٣٥ •• فليتحرك
العرب ليمنعوا الكارثة قبل أن تقع • والانجليز هنا أيضا يهدرون
كرامة الوطن والمظاهرات لاتهدأ والشهداء يسقطون ! ••

ووقف الفرماوى فى الجامع وانفجر يخطب بعد أن انتهى
مفتى يافا • ثم اختفت كلماته فى الدموع ••

انت دائما تغضب للحق يا فرماوى ، ولكرامة الانسان •
وطلب مدير الأمن من ضابط المباحث أن يعرض عليه الأمر
على الفور ليتصرف فيه •• وتعلل الضابط بأن التحقيق لم ينته
بعد وان فى الأمر جرائم ، فليست المسألة خلافات سياسية كما
صورت له ••

وطلب منه مدير الأمن تقريرا كاملا وسريعا عن الموضوع

كله .. ولوح له ضابط المباحث بأن الأمر له أسرار عليا .
ولكن مدير الأمن صمم على أن يفرغ الضابط من تقريره
على الفور وأن يضع فيه وجهة نظره كاملة .. فلماذا رحل الرجال
الى القاهرة والى أية جهة أرسلهم !

وعندما ودعنى مدير الأمن على باب غرفته كنت مازلت أرى
في عينيه تلك الالتماعة الدافقة المتفائلة التى عرفتها منذ ثلاثين
عاما .. وأكد لى أن الرجال سيبيتون فى دورهم بعد ليلة أو ليلتين
وانه قادر على استرجاعهم من القاهرة !

ولكنهم لم يخرجوا ..

ومر يوم آخر وأنا أنتظرهم مع أهل القرية ..
وعدت الى مدير الأمن ، فلم أجده ..
كان فى تفتيش بعض المراكز .. وقابلت ضابط المباحث
فاعتذر عن الكلام ولوح لى بسخرية خفية أن مدير الأمن يضع
نفسه فى مأزق ، ويتعرض لمشاكل أعلى منه ! ..

وبحثت عن العامل عمار الشيبينى ..
لم أجده فى الاتحاد الاشتراكى .. وقالوا لى أنه غائب منذ
يومين .. وسأت عنه فى المصنع فقال لى أحد زملائه انه اختفى
فجأة بلا أجازة ..

اختفى ؟ .. أين ؟ ..

أىكون ضابط المباحث والأستاذ برعى قد أدركاه ! ..

وهمس لى أحد الغنمال وأنا أخرج :

— ربنا يستر ! .. عمره ماغاب من غير أجازة .. حتى لما
يفيب ساعة بيعث ياخذها أجازة ! .. ربنا يلف .. حاكم أعداؤه
هنا كثير قوى الاستاذ برعى مايطيقوش !

وعدت أسأل الاستاذ برعى عن عمار فلم يجب وقال
باستخفاف :

— ده زعيم كبير .. يمكن راح مصر يلقي محاضرات ! ..
والا يعلمهم هناك معنى الاشتراكية .

وعدت الى قريتي ، وقد قررت أن أسافر الى القاهرة ..
فما من شىء أستطيع أن أفعله هنا من أجل الرجال .. ربما استطعت
أز أثير الأمر كله فى القاهرة ..

وفى قريتي علمت أن رزق قد عاد ، وعاد معه الرجل الغريب
الذى يقول عن نفسه انه مندوب الحكومة .. عاد يقول للناس
انه هو الذى نقل المشرف .

وأطلق توفيق حسنين فى القرية ينذر الناس ألا يتعرضوا
لرزق بيه .. والا فلدبه تفويض من القاهرة أن يؤدب القرية
العاصية ان هى قالت أى كلام يمس المشرف المنقول أو رزق بيه
أو مشرف الجمعية التعاونية .. لا كلام عن كل هذا لأى شخص
ولا لأية جهة ! .. حتى الذين جاءوا ويحققون .. لا اجابة لأسئلتهم
.. الا الحمد والشكر .. وكفى !

وفى الطريق من قريتي الى حيث استقل العربة الكبيرة الى

القاهرة كانت الوجوه خاشعة يلفحها الصمت ، وفي العيون رفض لكل ما يحدث .. وفي الأعماق توجسات حارقة تفضحها الزفرات .. وهمسات تتساءل : أرسلنا الشكاوى فما رد علينا أحد .. وعاد الينا رزق بالرجل الغريب ! ..

لماذا تكتم الحقيقة على من جاءوا يحققون ؟

وفوق الرؤوس المنكسة صمت حزين يخفق فيه سؤال كظيم:
أكتب علينا أن نشقى .. حتى عندما يأتي الزمن السعيد الذي عملنا من أجله وعشنا نحلم به ؟! ..
غير أن هذا كله كان ضد ايمانهم المطمئن باقتصار الحق والخير والعدل وضد ايمانهم باقتصار الحياة . وثقتهم في المستقبل .

امتلا جامع القرية بالمصلين ، ونودي للصلاة من يوم الجمعة، وما عاد الاستاذ عبد المقصود بعد ليخطب في الناس ، ويؤمهم كما حدث في الجمع الماضية وفي مائة جمعة من قبل ! ..
لم يحسب أحد لهذا الغياب حسابا ..

حتى الشيخ طلبة .. الذي كان عبد المقصود يؤم الناس ويخطب فيهم بدلا منه فيريحه من وجع القلب ، كل جمعة ، وان كان ليشق عليه أن يأخذ مكانه وأن يقول للناس من على المنبر نفسه كلاما جديدا عن الحياة والمستقبل والمصير ، لم يرد حرف واحد منه في كتاب خطب الجمعة الذي توارثته المساجد من قديم الأزل ! ..

ماعسى أن يصنع الناس الآن؟! من يخطب فيهم؟.. وصوت المؤذن
يلعلع ويمتد عبر الدور الصغيرة الداكنة ، ويقتحم الشوارع التي تخلف
فيها ماء المطر ، ليصنع بركا صغيرة ألقيت فيها الأحجار وعيدان من
قش الذرة ليحبر عليها الناس وينقر فيها الاوز الأخضر الطفل .

ان هذا الصوت الداعى الى الصلاة ليجتاز شوارع القرية
وبيوتها الصغيرة ، ليتناهى الى الحقول الخضراء ، ويكاد يعاقق
على حدودها المترامية ذؤابات التوت وهامات النخيل .. والناس
في جامع القرية ينظرون الى الباب في أمل لعل الأستاذ المقصود
يدخل بغتة !

قادر على كل شيء ! .. ولكنه لم يشأ بعد ..
هذه النظرات التي انعقدت بها القلوب لكم تطلعت الى
الطريق الزراعى تتأمل العربات الكبيرة القادمة من عاصمة الاقليم
في طريقها الى القاهرة اذ تهديء من سيرها عند المنحنى الذى تقع
عليه القرية ، لعلها أن تقف فينزل منها عبد المقصود وعبد العظيم
وسالم والخفير هلالى .

كانت هذه العربات تقف دائما بعد العصر ، ولكن لتفرغ
حمولتها من أبناء القرية وبناتها الذين يدرسون في المدارس
الثانوية أو الفنية بعاصمة الاقليم ..

ولا أحد بعد !

خمس أيام مرت بلباليها الثقيلة السوداء المرتعدة وأيامها
المرهقة ، وما عاد أحد من الرجال الأربعة ! .. ياه .. والحقول؟

زرعة القمح في حقل عبد العظيم؟! في أى يوم يجب أن تروى؟!
هو وحده يعرف .. والأرض التي مهدها الخفير هلالى ليزرع
فيها القطن .. متى يجب أن تلقى فيها البذور؟ لا أحد غيره
يعرف ..

والدرس الذى وقف عنده الأستاذ عبد المقصود في فصول
محو الأمية؟ والدروس التي وقف عندها الاولاد والبنات في
الصفوف المختلفة بالمدرسة الابتدائية؟!!

من غير عبد المقصود يتم هذا العمل وكل مدرس في المدرسة
له حمله الصعب؟ .. والأسدة في الجمعية التعاونية أيوزعها
رزق أم توفيق حسنين الذى يأكل مال النبى؟!!

وسالم المسكين الذى ينتظره الفدانان في أرض الإصلاح؟ ..
سيركب الفدانين من جديد ، وسيحصد هو الثمرات ، فكل
ما أجراه المشرف المنقول من تزوير ، سيصلحه المشرف الجديد .
انه يعرف كل شيء .. ولئن كان الرجل الغريب الذى جاء
من القاهرة يقول عن نفسه انه مثل الحكومة ، لئن كان هذا
الرجل الغريب قد استطاع أن يمنع أهل القرية من الاتصال
بالمشرف الجديد ومن الرد على أسئلته ، ان رجالا آخرين من قرى
أخرى قالوا له كل شيء .. وهو على أية حال مازال يلح على أهل
القرية أن يقولوا هم أيضا ..

لو أن سالم هنا لقال وقال ، ولما استطاع أحد أن يمنعه ..
أمة انصاف خافت ، ولم ترح للمشرف الجديد عندما استدعاها!

لم تخف الوزير وشكت له .. ولكنها تخاف تهديد هذا الرجل
الغريب القادم من القاهرة الذي يندر الناس باسم الحكومة ..
متى يعود الرجال المسجونون ، فتغلب القرية على هذا
الخوف وتتلخص من القهر؟! أيام وأيام ! .. كل لحظة من لحظاتها
المتوترة المقبضة ، أبد بأسره .. يطحن القرية المقهورة !
على أن احساسا غامضا يشيع في القرية منذ أول الصباح ..
ان الرجال لا بد أن يعودوا اليوم !

حلمت انصاف أن الرجال جاءوا الى القرية في ثياب بيضاء
على ظهور أفراس أربعة بيض ! .. وفي الغبار الذي اثارته الخيل ،
اختفى رزق ، والرجل الغريب القادم من المدينة ، وتوفيق
حسين !

وقالت القرية كلها : خير .. اللهم اجعله خيرا ..
أما الشيخ طلبة فهش لانصاف وهي تحكى له الحلم وتسأله
التفسير وهمهم :

— الأربعة في ملابس بيضاء على خيول بيضاء .. نصر والله
.. نصره يابنت يا انصاف ، الحلم مفسر نفسه .

ولكنها عندما أتت له وصف مارأته في الحلم : الغبار المثار
والذين اختفوا فيه ، مال الشيخ عليها برقبته ، وقلبه يدق من
الخوف ، وبلغ ريقه .. وسكت
ثم عاد يمز رأسه ويدفع — بضحكات متكسرة — غاشية
الرهبة التي دهمته ..

ونصحها ألا تروى هذا الجزء من الحلم لأحد لكيلا
يفسد الحلم !
وأخيرا قال لها وهو ينحيا بعيدا عنه وما زالت ضحكاته
المتكسرة تدافع خوفه ..

— على كل حال يابت يا انصاف ، على كل حال .. دهدى ..
أهى أضغاث أحلام ، أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام
بعالمين ! روحى زورى مقام سيدك مسعود واقرى له الفاتحة !
الحلم أوله خير وآخره أضغاث أحلام .. أهه !

وخرجت انصاف مسرعة الى مقام سيدى مسعود ..
ولكن تفيدة بنت الشيخ طلبة جرت وراء انصاف الى الحقول
تحت ذلك الصباح الذى كانت شمس الفاترة لم تقو بعد على أن
تنفض الندى عن أوراق البرسيم ! .. جات هذا الندى فوق
الأوراق الطفلة الغضة أشبه بدموعك ياتفيدة على أحلامك
الصغيرة !

آه .. حلمت ياخاله أم سالم ! سنالم ان شاء الله يحرسه
لشبابه ويحميه لك ولأهل البلد كلهم .. ولك يابنت ياتفيدة ..
ان شاء الله ! آه ياخاله أم سالم .. حلمت والنبى ان سالم رجع
يلبس أخضر فى أخضر والدم يقفز من خديه وكله صحة وعافية
وعلى كتفه شال من الحرير ، يتبختر كالديك الرومى ، بهذا
أصفر طويل الرقبة لم تعرفه أبدا رجله العافية .. وهو يشى
ياخاله أم سالم فى الخضرة الفسيحة .. وأنا أجرى اليه لابس

الحرير بلون الورد • الورد ياخاله أم سالم وفي يدي زهور بيضاء،
زهور يرتقال ، وفل •• و •• وتقابلنا ياخاله أم سالم على أرض
خضراء ريانة ، واذا الخضرة •• الخضرة نفسها أصبحت فراش
عرس !

واحمر وجه تفيدة وتعثرت كلماتها ، ولم تحك بقية الحلم
فقلت لها أم سالم انها الدنيا مقبلة على ابنها سالم •• والخير
والبركة يا بنتي يا تفيدة والفرح لك وله •• ولنا جميعا يا تفيدة
يا بنت طلبة •

وخرج الشيخ طلبة من بيته ذلك الصباح، يحس الشوق للرجال
الغائبين •• ويقول للناس ان غياب الرجال هذه الأيام كلها دليل على غضب
سيدي مسعود • وهو غاضب منذ امتنعت القرية عن اقامة مولده
وغضب أولياء الله شديد ، فأندروا الله يا أهل القرية أن تقيموا
مولد سيدي مسعود من عامكم هذا ان عاد الرجال اليوم
بسلامة الله !

ومضى هو الى الضريح يقرأ سورة يس وتبارك وبعض
ما يحفظ من أدعية ويسأل سيدي مسعود الرضا •• نظرة يا سيدي
الولى ! •• مددك يا ولى الله !

وقال رجال في القرية ، ما لسيدي مسعود يغضب علينا ؟!
بل هو الرجل الغريب القادم من المدينة لا سيدي مسعود
فنحن لم نقم له مولدا منذ سنوات وما غضب ، وما أصابت القرية
لعنة ، بل زاد فيها الخير •• فسيدي مسعود يرضيه البر ونفع

العباد أكثر مما يرضيه أن تنفق القرية في مولده على الغوازي
والرجال الغرباء ذوى الشعور الطويلة •

وتحت شمس الصباح الوانبة الرحبة مضى النساء الى
الضريح خارج القرية ، وعبرن مسارب حقول البرسيم ، ونفضن
بأقدامهن العارية حبات الندى عن الأوراق الغضة •

كان للندى على أقدامهن مس لذيذ ، يثير النشاط والبهجة
في القلوب التي أثقلتها هموم الأيام الذاهبة •

وصعدن تلالا من القبور القديمة ، وفي أعلى التلال كانت
الحقول المترامية الخضراء تمتد أمام عيونهن المنداة •

الحقول أيضا كأنما يلفها الدمع !

هذه هي الحقول .. فأين الرجال !؟

غياب أربعة هم زينة رجال القرية • ، لكان القرية بكل
دورها وأطفالها وحقولها وأشجارها ونخيلها ، أرض خراب !

ودخل النساء الى مقام سيدي مسعود ، واستلمن القضبان

النحاسية وتعلقن بالأستار الخضراء ، وتعالى في هذا الركن أو

بذاك تشيخ ، وارتفعت صيحة مبجوحة تطفر بها الدموع • • كفى

• • كفى يا أم سالم • وتعالى الأصوات تنذر لسيدى مسعود ان

خرج الرجال انيوم كما قالت الاحلام ان تملأ كل واحدة منهن

ماء السبيل في يوم معلوم •

لن يجف الماء في السبيل أبدا على مدار العام • • •

نذر علينا يا سيدى مسعود ، والنذر أمانة !

ونودى للصلاة والنساء يتفرقن الى البيوت .. والدعوات
تتصاعد على أبخرة ثقيلة من العود والطيب يتصاعد شذاها من
الطاقات الصغيرة وينعقد أمام البيوت في شوارع القرية حيث
تأثر بعض طلاب المدارس الثانوية *
ومن أمام دكان الحلاق انفلت الحلاق يدفع بعض الطلبة
المتجمعين *

— يا للابقي .. الجمعة ادنت .. وخذوا زينتكم عند كل
مسجد ! * وأنا زينتكم كلكم ، واقفين له بلا قافية ! ياللاعالجامع
ورد طالب :

— يعنى مستعجل قوى ليه كده يا أسطى ..
— مستعجل ؟ .. يعنى لو كان ولا مؤاخذة فيه ماتش
كورة مش صلاة جمعة ، مش كنت رمحت زى الرهوان يا سيدنا
لفدى !؟

كان الحلاق يندفع في طريقه تاركا الطلبة واقفين ، دون أن
يترك فرصة الرد عليه لأحد . وناداه الطالب الذى كان يناقشه :
— ما تستنى لبعده الخطبة .. انت يعنى رايح تسمع مين في
الجامع حاتسمع الأستاذ عبد المقصود يعنى ؟

وتوقف الحلاق وهز رأسه .. ونظر الى الطلبة في حسرة
ثم عاود السير في اتجاه الجامع مثقل الخطوات ، وهو
يتجسس رأسه ويحكم الطاقة عليها *
وقال الطالب الذى كان يناقش الحلاق :

– واحنا حانسكت كده على حبس رجالة البلد ؟ ما كفاية
اللى سكتناه .. لازم يبقى لنا موقف .. آمال طليعة متعلمة
ازاي ؟

وهز طالب آخر كتفيه ، وأدار مؤشر (ترانزستور) صغير
بيده وحركه من على المحطة التى تذيع القرآن الى محطة أخرى
فاذا بها تذيع تمثيلية عن الفلاحين .. وزعق طالب آخر :
– لأ خليلنا عالقرآن أحسن .. الواحد كفر من التمثيليات
المفتعلة اللى عن الفلاحين ..

ومرت طالبة فى ثوب صوفى بلون البنفسج فابتسمت وهى
تسمع الحديث ، واهتز جسدها المختال الذى يبدو خجلا وسعيدا
بأنوثته الجديدة ورمقت الطالب الذى يتحدث بعينها الواسعتين،
فاستمر كأنه يخطب ؛ يعلن رفضه لكل ما يسمعه أو يقرأه وتقدم
هو بحركة رشيقة مزهوة فأعاد مؤشر الترانزستور الى المحطة التى
تذيع القرآن قائلا بخفة :

– القرآن أرحم !

ورد الطالب الأول الذى كان يناقش الحلاق :

– يعنى عاوزهم يذيعوا أغاني الخنافس ؟

– لا ياسى عدلى .. عاوز أسمع الكورة

واختفت الطالبة فى أحد منحنيات القرية ورد عدلى :

– بلاش استعراضات وحركات كل ما تشوف تلميذة فائتة

.. وخلينا فى المهم ..

– يا أخى خليك انت فى الكورة .. ثم اسمع بقى يا عدلى ..
ما تعملش زعيم على قدام البنات .

– فاكر يوم ماسبتنا فى المضيقة وقمت من أهم اجتماع بيقرر
مصير البلد علشان تسمع مباراة الأهلئ والزمالك !

– اتم حاتدلونئ بالكورة ؟ .. ماكل الدنيا مهمة بالكورة ..
ما كلنا كنا عاوزين نسمع المباراة دئ بالذات .. أنا على الأقل
كنت صريح وواضح مع نفسئ وشجاع قدام الناس وقمت أسمع
المباراة .. ما انت أول ما قابلتنئ سألتنئ عن النتيجة يا أخئ ..
هو يعنى عشان الأهلئ بتاعك ما انقلب .

– اخرس .. زمالك مئ اللئ يغلب الأهلئ . دا الحكم ..
الأهلئ هو الكورة !

وتدخل الطلبة الآخرون لانهاء النقاش الذى أوشك أن
يتطور الى مشاجرة
وقال عدلى :

– أنا عاوز أثير موضوع آخر .. أنا باقول أننا كطليعة
واعية ومثقة فى البلد لازم يكون لنا موقف من كل ما يحدث ..
موقفنا ده سلبي .. احنا لازم نعرف مئ الراحل اللئ جه
من مصر ده وبيتكلم باسم ايه ؟!

ينفذ سياسة ضد الاشتراكية وهو يرفع الشعارات
الاشتراكية .. لا ارهاب مع الاشتراكية .. هكذا تعلمنا من
دراستنا الواعية .

أنا قرئت كتاب عن بعض التجارب الاشتراكية في البلاد
الأخرى ان أعداء الحرية يطلعوا في النهاية أعداء للاشتراكية
مهما اعتصموا في مراكز قيادية..هم اللي أخروا النمو الاشتراكي
في العالم كله .. والنهاية انكشفوا بعد نضال مرير وتبين أنهم
في أعماقهم عناصر معادية للشعب ..

يجب ألا نسمح لأحد بأن يخيب أملنا في الاشتراكية ..
هذا القمع ليس من طبيعة الاشتراكية بل هو عدوها .. بل وأخطر
أعدائها كمان .. الحرية هي السلاح الوحيد في أيدي جماهير
الشعب . الحرية هي قلعة الاشتراكية .. لا انتصار للاشتراكية
الا بالحرية .. الاشتراكية لا تنطلق ولا تحلق الا بجناحين من الحرية
والعدل . روحوا اقروا كلام جمال عبد الناصر .

ولم يكذ عدلى يسكت حتى تعالى التصفيق مختلطاً
بالزغاريد !

وفجأة غمر الزغاريد صوت أجش كرهه :
— بتزغردى على ايه يامرہ اتى وهية .. اتم سايين ؟
ما لكومش رجالة ؟ ومحشورين كده ليه يا بنات البلد في وسط
الفحول دول ..

واحتدت طالبة :

— اخرس يا توفيق يا بو حسنين .. انا لا أسمع تقول كلام
بذىء بالشكل ده على تلميذات البلد .
واستمر عدلى يقول للطلبة والطالبات :

— أنا أطلب جميع طالبات وطلبة المدارس الثانوية والفنية
من أهل البلد انهم ما يسكتوش على الموضوع ده .. لا بد من
مناقشة الموضوع في لجان الاتحاد الاشتراكي بالمدارس وفي لجان
منظمة الشباب ولجان الأصدقاء السياسيين ولا بد من تصعيد
الموضوع الى أعلى مستوى .. كفاية بقي .. احنا انشغلنا كثير
بكتابة تقارير ضد بعض ضد المدرسين ودي كلها أعمال غير
أخلاقية وده كمان مش شغلنا .. الطلبة في مصر كانوا دايمًا قوة
وطنية دافعة .

وردت طالبة بتردد وفي غيظ :

— بس اللجان مختصة بمشاكلنا الطلابية مش بمشاكل
الفلاحين ..

وأجاب عدلى محتدا :

— اسمي .. الطلبة أبناء الشعب المسئولين عن حماية
الشعب

وتعالت الزغاريد من جديد :

ومن جديد غمرها الصوت الأجش المتصاعد من توفيق

حسين :

— كده كده يا عدلى .. يا ابن عبد الواحد .. دا انت او

قلت الكلام ده قدام أبوك حايقع مايقومشى ! حايفتكرك بتكلم

باللاوندى .. ياواد دا أبوك عمره ما ..

وانفجر عدلى من أعماق غيظه من الالهانة :

– اخرس .. أوعى تقول ياواد تانى .. انت اللي ولد .
– طب والله بكره لأخليك تحصل الاربعة المحبوسين ، انجر
قدامى بقى ! أنا ولد ؟

ثم هوى توفيق بغتة على صدغ عدلى بكفه الغليظة ..
وأمسك عدلى بخناقه .. وتوالت صفعات الطلبة على وجه توفيق
وراسه وكتفه المليئة باللحم وتوفيق يضرب عن يمين وعن يسار
ويلعن الطلبة وآباءهم .

وضرب بيده طالبة .. وفجأة صرخ توفيق كثور ذبيح .
وارتفعت زغرودة والتفت وراءه فوجد تفيدة تزغرد وفي يدها
حجر كبير وهى تستعد لتعاود ضربه .. وترنح وابتعد قبل
أن يسقط .. فاستند على حائط وعيناه تنظران فى دعر واستنكارا!

– كده .. يا تفيدة يا بنت طالبة .. اتنى اللي تضربيني .
بقى أنا كنت عاوز أملك واستتك ، طيب .. والله لاجبس لك
التلامذة دول كلهم والله ما انى عاتقك عن ضرب البلغة يا بنت
طلبة .

واستند الى حائط بعيد بينما كانت اللمة تتفرق .. الطالبات
يضحكن واحداهن تقبل تفيدة والطلاب يسرون الى الجامع ..
مصميين على ألا يسكتوا بعد .



امتلات القرية بيئعى العجوة ، وأصابع الحلوى الحمراء
لذين يقايضون بضائعهم بكيزان الذرة والبيض والدجاج ..
تعودوا أن يجيئوا من قرى مجهولة مع كل شتاء .

ومع كل شتاء كانت تجيء أحيانا قوافل العجر ، معهم قارئات
لبخت ، نساء صغيرات حسناوات فى الغالب ، لهن عيون سوداء
راسعة ونظرات نفاذة تفلق الحجر ، الواحدة تسير شامخة فارعة
لعود ممتلئة الصدر والعجز تتأود فى جلباب واسع على وسطه
مزام ولمعان الخرز يخطف اليها الأبصار ، وعلى وجهها القمحي
يشم فى الذقن ، وشفثاها الدسمتان قادرتان دائما على الابتسام عن
سنان كبيرة بيضاء .

فى أول الشباب عرفت واحدة من هؤلاء العجريات ، ولم أكد
نس اليها وتأنس الى حتى واعدتنى على أن أفتح لها باب البيت
يلا .. ليلا ؟ ولماذا يا .. لست أذكر اسمها آه . كان اسمها جليلة !
اجليلة يابنت مرة .. كما يقول الفتى سالم فى قرىتى ياتفيدة
يابنت طلبة !

ولم أفتح لها باب البيت وسمعت اذ ذاك تحذيرا مرعبا وهائلا
ما تصنعه العجريات !
ما زال فى أعماقى شغف غامض بهذا العالم المجهول .. لكم

اشقت احدى العجريات (فيون) الشاعر الفرنسى بطل المقاومة
ضد لويس الحادى عشر ، هذا الذى أحببته كما لم أحب شاعرا
أجنبيا آخر !

ولكن ها أنذا أعود فأحدث عن باريس !
آه لو كان هنا عبد العظيم .. كم ذا كان سيسخربى ويقول
لى فى ثقة ، وطأينة الذى ترسخ قدماء على أرض يعرفها :
خليك هنا !

وها هو ذا الشتاء يعود الى قرىتى .. فى شتاء آخر بعيد
كنت أسكن على مشارف باريس فى حى عمالى ينام فى العاشرة كى
ليلة ولا يسهر أبدا الا فى ليلة الأحد .

هناك حيث الشارع الرئيسى يشرف على حقول شاسعة ،
كانت تقوم مضارب للفجر تحت مستوى الشارع ، تعودت أن
أقف دائما كل صباح على السلم الذى يهبط الى تلك المضارب ..
كانت مضاربهم بيوتا من خشب أسود .

وهناك تعودت أن أنظر حتى تصعد ذلك السلم عجربة شابة ..
وهاتان العينان ، والنظرات التى تطلق الحجر ، والبدن الفارع
الراسخ المتلىء الصارخ بالدعاءات ! كل هذه النداءات الى
اجتناء لذات غريبة عرفتها ذات يوم فى قرىتى .

وطلبت العجربة الفرنسية يوما أن تقرأ لى الكف .. وماذا
عسى أن تقرئى أيتها العجربة ؟! الى أى قبيلة تنتمين ؟ وهذه اللغة

التي تتحدثين بها مع صاحباتك ؟ هذه اللغة الغريبة عن كل لغات العالم ، أهي نفس اللغة التي كنت اسمعها في قرىتي وأنا صغير؟! أهي لغة واحدة ؟ ربما ! .. فهكذا قال لي صديق في بوخارست عندما حدثني عن مشكلة العجر في بلادهم ! لهم لغة واحدة هؤلاء العجر وهم يتحدثون بها أيا ما تكون الدولة التي ينتمون إليها ! انها الجيبسي ؟ أهي اللغة المصرية القديمة ؟ أم هي لغة التتار ؟! أم نوع من الهندية ؟ أم ... ؟

ولكن ... لماذا أعنى بذلك كله ؟ .. آه لو ان عبد العظيم كان في القرية لأشبعنى سخرية من كل هذه الاهتمامات ! .. ما اهتمامى بكل هذا وفي قرىتي يفعل بالناس الأفاعيل ؟

عاد العجر كما ألفوا منذ قرون طويلة لا يعرف أحد عددها . النساء الصغيرات يضربن الرمل ، ولهن نفس القامات الفارعة والنهود الصارخة والنظرات التي تفلق الصخر ، ومن الصخر .ايتشقق فيخرج منه الماء .

والرجال يبيعون الاحرمة والابسطة الصوفية ، والنساء الكبيرات يبعن أو يصلحن أعواد الحديد التي تحمل عليها الارغفة والفظائر الصغيرة الى الأفران .

جاء العجر .. فلتحذر كل امرأة تملك البط أو تربي الأوز والفراخ ، فللعجريات أكمام واسعة تسع الطيور وللعجريات طريقة في اخفاء أصوات الطيور ! فلتحذر الأمهات فقد يخفى الصغار ، وبصفة خاصة الأولاد ..

جاء العجريات فلتحذر الفتيات أيضا .. فللعج سحريغشين
به من يكتشف سرقاتهن ، فيحرم من الزوجات الجديدات من
الانجاب ، والفتيات من الزواج ، والأزواج الجدد من الاتصال
بالزوجات !

وهكذا اختفت تفيدة ..

لزمت دارها .. منذ هبط العجر . كغيرها من الفتيات .
ولزم توفيق حسنين داره أيضا ..

ولم يكن هبوط العجر هو الذي ألزمه داره ، ولكنه الجرح
الذي أصابته به تفيدة .. عاده الحلاق مرة بعد مرة بصبغة اليود
والضمادات وظل يغير على الجرح أياما ..

ولم يشأ توفيق حسنين أن يخرج وعلى رأسه ضمادات ..
وفي يوم الجمعة قبل الصلاة كان العجر قد رحلوا عن القرية
والقرية تتحسس خسائرها ، وتوفيق حسنين يتحسس رأسه .
قال له الحلاق انه يستطيع أن يخرج الآن ! .. ونزع عنه
كل الضمادات .

ولكن توفيق حسنين داخ .

ونصح الحلاق أن يتناول قطعة من الأفيون لتقويه ! ولكن
أنى له الأفيون ! ان كل ما استطاع أن يحصل عليه في الاساييم
الماضية أخذه اسماعيل الرجل القادم من القاهرة ... الأفيون
يأسر هذا الرجل الذي جاء من المدينة يأمر وينهى ويغتصب ، لانه
يمثل الحكومة !

هذا الرجل يا « توفيق يا أبو حسنين » بالوعة حشيش
وأفيون .. وهو لا يشبع من النساء . حملت له كل نساء القرية
السهلات ولكنه لا يقتنع الا بتفيدة بنت طلبة !
يا عم .. أتركنا وحالنا .. أنا أطمع في زواج تفيدة بنت طلبة!
ولكن اسماعيل يقول تزوجها لى !
أتزوجها لك يا سعادة ممثل الحكومة ؟ نحن في الخدمة !
ولكن هذا الأمر ؟!

لديك في القاهرة أحلى النساء . أحلى الممثلات والراقصات
وأحلى الفتيات والهوانم اللواتى في الخدمة ! لا .. لا .
ونودى للصلاة من يوم الجمعة ..

وخرج توفيق من داره . لم يكن في كامل عافيته ، وكان في
الحق يعاني من الخجل أن يلقاه أحد من الطلبة أو الطالبات الذين
أهانوه والذين شاهدوا تفيدة بنت طلبة توقعه على الارض .
ومشى في اتجاه الجامع .. انه سمع وهو مريض أنرزق بك
واسماعيل بك عادا ..

اسماعيل بك ؟ لماذا .. لماذا !

انه يقصد ممثل الحكومة .. فما ينبغي لتوفيق أن يذكر
اسمه !

وفي الطريق الى الجامع شاهد زحام الطلبة .. وبعض الطالبات
.. كانوا هذه المرة يضحكون ويقول لهم عدلى بن عبدالواحدانه

ناقش مسئولين فيما يحدث للقرية وأقنعهم بالاهتمام به، فهذا أجدى
وأشرف وخير للوطن من الاهتمام بكتابة تقارير ضد الآخرين
والإيقاع بهم !

وتقدم توفيق ليواجه تفيذة • فواجهته ساخرة :

— الحمد لله عالسلامة ••

وضحك الجميع فأجابها بهدوء :

— كده •• كده يا تفيذة يا بنت طلبية • بقى أنا حايش البيب

مندوب الحكومة تقومى تعملى كده؟! طب والله لو سبتته عليك

لياخذك غضب عنك والا يجبس أبوكى ما حد يعرف له جرة •

ووجم الجميع !

ولكن تفيذة انقضت عليه بكل غضبها فدفعته الى الحائط

واصطدم رأسه بالحائط فوق مغشيا عليه ••

واندفعت مسرعة تنفخ أنفاسها ، وصدرها يعلو ويهبط وسط

اعجاب الجميع ••

وقالت لها طالبة مستنكرة :

— ايه ده يا تفيذة ؟

فأجابت بحنق :

— الشديد ماله الا الأشد منه •

— يا خسارة !

— يا خسارة لو تعلمت •• والله كنت بقيتى واحدة مهنة !

القيادة السياسية ••

- وهى الحكاية دى يعنى لازم لها علام ؟ على كل حال أنا
ستخرت الله ونويت أدخل فصول محو الأمية .. ولو ان أبوى
ش راضى .. قال ايه خايف عليه .. ما بنات البلد كلهم يتعلموا
سط الرجالة .. والله الحررة حررة والخايبة خايبة ! • ربنا يهدى لى
• بويًا •

وكان أبوها الشيخ طلبة يبحث عن رجل عجوز من الجالسين
، المسجد ليعث به الى الدار فيحضر كتاب خطب الجمعة من
لقاعة .. ما عليه الا أن يطلبه من تفيدة وهى تعرف كل شىء ..
اختار الشيخ طلبة رجلا يبعث به ، وعندما وقف الرجل ، ثم تحرك
سرعا اكتشف الشيخ طلبة أنه شاب فزعق :

- استنى يا نجس انت .. بترمح كده على ايه .. خليك انت
رزى هنا

وبحث عن رجل آخر أكبر سنا • ولكن أحد الجالسين قال :

- يا عم الشيخ طلبة ريح نفسك انت .. أنا اللى حاخطب
لجمعة .. البلد بقى لها مدة على شكل تانى من خطب الجمعة ..
لاش الخطب التقليدية البالية دى ! مادام الأستاذ عبد المقصود
أوصلش لحد دلوقت أنا بقى اللى حاخطب بدلا منه • كفاية انت
نظبت بداله الجمعة اللى فاتت، وسمعتنا حاجات أكل عليها الدهر
• شرب •

— أستغفر الله العظيم .. احنا يا أخى فى بيت الله .. كلام
ايه ده ياسى ريان .

وتقدم ريان الى المنبر ، ثابت الخطوات ، فأمسك بالسيف
الخشبي الذى تعود أن يمسك به الخطباء فى صلاة الجمعة .

وصعد درجات المنبر فى وقار أكثر مما تحتمله سنه

وسرت هممة : « الأستاذ ريان » .. « الأستاذ ريان » .

وعلى أعلى المنبر وقف ريان بقامته الربعة ، ووجهه المستدير
حليق الشارب واللحية : النظرات المطمئنة تنبعث من عينيه
الواسعتين تحت حاجبين كثيفين مقرونين ، وعلى رأسه طاقة
من الصوف لف عليها منديلا أبيض كالشال ، تهيؤا للموقف على
المنبر .. وعلى محياه راحة هادئة وثقة متفائلة . كأنه ما عانى من
قبل أبدا ، وكأنه لا يكابد فى مطلع كل شهر تدير مال يكفى أخاه
الذى يتعلم فى جامعة أسيوط ، وأخته فى بيت الطالبات بجامعة
القاهرة ، وثلاثة طلاب فى المدرسة الثانوية والاعدادية بعاصمة
الاقليم .. وحمد الله وأثنى عليه بنبرات هادئة .. وهمس رزق
الى جاره الرجل الغريب القادم من المدينة :

— ده ولد خطر ا جدا ..

وفتش رزق الجامع بنظرات سريعة وهمس :

— فىن توفيق ؟ ..

فرد صوت طالب من خلفه :

— بيرطع فى العيطان بعيد .. بيجرى ورا بنت ! ..

وسرت همهمة ضاحكة وسط الطلاب ..

ومال الرجل الغريب القادم من المدينة على اذن رزق وهمس :

– الجدع الخطيب ده صغير جدا على كده ! ده لايجوز انه

يؤم الناس .. ده لايمكن تكون سنه أكثر من ثلاثين سنة ..

هو متجوز ؟ اذا ماكانش متجوز مايصحش يبقى امام ، فين توفيق؟

اذا الولد ده لخبط خللى توفيق يسكنه بالقوة . توفيق واد جدع

والحاجات دى لعبته .

واسترسل ريان يخطب بلا ورقة ..

تحدث عن الطمع الذى يفسد القلوب .. ويحول الناس عن

طبائهم السمحة ..

ثم قرأ الآية : (هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة

واحدة فقال اكفلنيها وعزني فى الخطاب) وهمس بعض الناس :

– زى رزق عنده اللى عنده واستولى على أرض سالم

وخيرات الجمعية !

وحاول رزق أن يشير الى الشيخ طلبة ولكن الشيخ طلبة

لم يره .

ومضى ريان يتحدث عن الفئة الباغية التى لعنها الرسول فى

المدينة .. والتى مازالت تعيش حتى فى ظل النظم الاشتراكية ،

وهى فئة لاتستغل غيرها بل تستعلى عليهم بما لها وأبجائها أو بما

تملك من صلات .

وهنا وقف الرجل القادم من المدينة كالملسوع :

— أنا أمنعك من الكلام !.. انت بتعرض بالنظام الاشتراكي!
ثم انت لايجوز انك تكون امام لأنك صغير السن بالنسبة
للموجودين .. ثم انك غير متزوج .. وده حرام !
وارتفعت الأصوات من بعض الطلبة أولا ثم من الفلاحين :

— أقعد .. أقعد .. أيوه يا أستاذ ريان .

واستمر ريان كأنه لم يقطع يحدث الناس عن عمر وسيرته
وكيف كان يوزع الثروة بين الجميع على سواء .

وتزايد الشيخ طلبة ، وتكوم على نفسه ولم يعد أحديراه،
واسماعيل يصرخ في طلبة . وريان مازال يتحدث عن عدالة عمر
وأسلوبه في السياسة والحكم . ووقف اسماعيل ووقف من حوله
بعض رجال يديرون النظر بين (ريان) وبين هذا الرجل القادم
من المدينة في مزيج من الخوف والأمل والاشفاق .

واستمر ريان وكأنه لم ير شيئا . ولكن بان من طريقة القائه
أنه سينهى الخطبة فزقق رجل :

— لا .. لا .. كتر لنا من الكلام الحلو ده ياسى ريان !
واتنفض الشيخ طلبة كأنه وجد يدا قوية تنتشله من
موقفه :

— اخرس ياواد يابحيرى .. اخرس ياوله . احنا فى بيت من
بيوت الله ! الكلام الحلو ؟ حلا فى شداقك . انت قاعد تسمع
الشاعر ! حلا فى شداقك وشداق اللى خلفوك .
ووقف بحيرى : الطاقة الصوف السوداء على رأسه ووجهه

الأعرج الأسمر يتأمل الموجودين ونظرات عينيه الضيقتين
تستلقى على وجه رزق والرجل القادم من المدينة ، وقميصه
الازرق الداكن يتهدل على جسمه الطويل المقتول وينفتح من على
صدره العريض الذي يبرز منه الشعر .

وتحسس شعر صدره وعاد يزعق :

— قول وقول على طول من كلامك الحلو ده ياسى ريان ..
واهدم انت شوية يا عم الشيخ طلبة .. ياسيدنا دا أنا بحيرى ..
أنا شهم • أنا واد أ .. أ .. أنا الفتى بحيرى .. أنا
وعاد يبحث عن كلمة ؛ فصاح بملء صوته فرحا باكتشاف
كلمة فصيحة :

— أنا واد ط .. طلي .. طليعة .. على رأى كلام التلاميذ
والمدرسين ..

وضج المسجد بالضحكات وتعال أصوات مختلطة :
— الله يخيبك يا واد يا بحيرى ! قال طليعة قال ! الله
يخيبك فتى ..

وتوقف ريان عن الخطبة وهو يجاهد فى كتم ضحكاته ..
وعلى الرغم من كل محاولاته فقد أضاءت وجهه ابتسامة زرعلها
شفتيه ..

ووقف الرجل القادم من المدينة يصيح غاضبا :
— ده ما بقاش جامع .. ده شغل كباريهات .. ضحك وهزار؟
فين حرمة الجوامع .. ده اعتداء على الدين وحرمة المساجد ..
يا شيخ طلبة يا .. يا شيخ زهت !

وقاطعه ريان بهدوء والشيخ طلبة يتكوم على نفسه ويستغفر
ويستعيد :

– الكباريهات دى تعرفوها فى مصر ياسيد انت ! احنا فى
بيت من بيوت الله •• وبيوت الله ليست أماكن عبادة صماء ••
ولكنها كانت دائما أماكن لتدبر الأحوال ولتناقشة شئون العباد
وللعلم • ولتحرير الإنسان كمان • والاحتامع الاجتماع فيها
كمان زى الجمعية واللجنة •

وضجت الضحكات من جديد ونظرات ساخرة تستلقى على
اسماعيل تدافع الخوف والتوجس •

ثم استمر ريان يختم الخطبة وهو ينزل من فوق المنبر :
– عباد الله •• ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء
ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم
تذكرون ••

والتفت الى الشيخ طلبة :

– أقم الصلاة ••

ووقف الشيخ طلبة يؤذن •

واستقام الناس فى صفوف وراء الأستاذ ريان •
وهمس رزق فى أذن الرجل القادم من المدينة :

– يعنى يا اسماعيل بك مسكنا عبد المقصود الناظر، طلع لنا
المدرس ريان •• مسكنا ثلاث فلاحين طلع لنا الكلب ده بحيرى ،
ان سكتنا لهم حايطلع عشرات • والله لاجبسك مع الخيل فى اسطبل

السراى يا بحيرى الكلب .. ابقى اعمل لى فتى ! البلد خايفة
يا سعادة البيه ولازم تنتهز الفرصة لضرب أى واحد يطلع لنا والا
يعرض بنا دلوقت والا مش حانعرف نسيطر على الموقف ..
الفلاحين دول وحوش .. وحوش ياسعادة البيه • أنا اللى عارفهم ..
ان ما كنتش تقيدهم وتكلمهم ما تعرفش تعيش معاهم !

– البلد فى جيبى ماتخافش •

وكان صوت ريان قد انطلق يقرأ الفاتحة . فرفع رزق والرجل
القادم من المدينة أيديهما الى قرب اذانها • ونويا الصلاة ، ونكسا
رأسيهما فى الارض فى هيئة خشوع كامل ، وامثال ، كأنهما لم
يطغيا أبدا ، وريان يقرأ بعد الفاتحة آية يضغط على حروفها :
(اذهب الى فرعون انه طغى)

وعندما انتهت الصلاة وسلم كل واحد على جاره ، وقف ريان
ورفع صوته على نحو لم يعرفه المسجد طيلة القائه الخطبة :

– اسمع ياسيد ياللى جاى من مصر • احذر أن تتعرض لما
تجهل .. أولا من قال لك أن غير المتزوج لا تصح امامته .. ثانيا
يا أخى مين قال لك أن صغر السن يمنع من الامامة؟ أنا سنى حوالى
ثلاثين سنة والرسول عليه الصلاة والسلام أمر على الجيش وعلى
كبار الصحابة رجلا دون العشرين وعلى هذا سار أبو بكر • ثم
يعنى ايش عرفك انت بالاسلام وبحضارة الاسلام؟ ثم لما انت
عارف الاسلام ، اعرف بقى الاسلام دين الحرية .. ضد الظلم

والبغى والفساد .. ثم احنا يعنى عاوزين نفهم حضرتك تبقى مين ومخبي أصلك وفصلك علينا ليه ؟ سيادتك يعنى بتشتغل ايه فى مصر وبتمثل مين وبتتكلم باسم مين ؟ قل لنا كده حتى على سبيل التعارف يا أخى !

واتنفض الرجل زاعقا فى غضب هائل :

— أسكت • أنا هنا بامثل مصر • باتكلم باسم مصر • واذا أى واحد فى البلد نطق تانى حايحصله زى ما حصل لعبد المقصود وعبد العظيم وسالم وهلالى • • احنا مش عاوزين شغب • مش عاوزين شغب • مش عاوزين تعطيل للاتجاج • مش حانسمح بالفوضى أبدا • والا حاخليكم عبرة •

ولاحظ الطلبة الذين كانوا يقفون وراءه أنه يرتعد • • وتهامسوا وهم يرون قفاه يحمر وأذنيه تلتهبان والعرق يسيل من مؤخره رأسه • • ثم زعق عدلى عبد الواحد :

— انت بتقول احنا • • مين احنا دى ؟ اتم مين ؟ مين اتم؟! انت بتتكلم باسم مين ؟ • • باسم مين؟! باسم مصر؟! باسم مين فى مصر ؟ مصر ما فيها قادة اشتراكيين وفيها كمان عملاء واتهازيين ومتسللين ورجعيين • • بتتكلم باسم مين فيهم !

واستدار الرجل ، فوجد وجوها شابة متحفزة ، ونظرات لن تقع حتى تقتحم كل الاستار التى يختفى وراءها المجهول •

وحسب الأمر بسرعة ، فوجد ان من الخير ألا يدخل فى اشتباك مع الطلبة فماذا يهمهم هؤلاء الطلبة • • ليسوا موظفين

يخافون على لقمة العيش ولا فلاحين يخافون على الارض ..
ولكنه تشجع :

– اسمك ايه ؟ قل بسرعة انت اسمك ايه .. ابن مين في
البلد .. أبوك بيشتغل ايه ؟

– وانت مالك ؟ اسمك ايه انت ؟

وساد صمت مشحون بالتوجس .. واتجهت الانظار الى
رزق فاذا به قد اصفر ، والى الرجل القادم من المدينة ولكنه خرج
دون أن يرد .. تلاحقه النظرات .. وشيء كالراحة يزيح الخوف
عن القلوب التي أثقلها الهم والرعب خلال الأيام الخمسة الماضية .
وحين كان يلبس حذاءه الفاخر على باب الجامع ورزق يسنده
تعالى صوت بحيرى .

– أنا واد طليعة .. أنا واد طلائع .. أنا اللي حاطلع سالم
ساحبى وكل رجالة البلد .

وتناثرت الضحكات والرجال يخرجون من المسجد ..
والنظرات المعجبة تتابع ريان وبحيرى وعدلى عبد الواحد ..

وأمام المسجد جلس بعض نساء : عيونهن على المئذنة تدعوان
يعود الرجال الغائبون ، والشمس تملأ الطرقات والحقول وواجهة
المسجد بالشعاع والدفء .

ومر توفيق خلال الزحام متجها الى رزق الذى كان يسير الى
جوار الرجل الغريب القادم من المدينة .

وصاح رزق متجهما :

— كنت فين يا توفيق يا بو حسنين .. ما حضرتش صلاة
الجمعة ليه يا ولد ؟

وهمهم توفيق شاردا وهو يتحسس مؤخرة رأسه ووجهه الى
الأرض :

— طيب يا تفيدة يا بنت طلبة !

وضج بحيرى بخفة :

— طب ما تقول يا جليلة يا بنت مرة .. زى ما يشعروا في
حكاية الزير سالم .

وتعالت الضحكات يقطعها صوت نحيل :

— أيوه ياواد يا بحيرى قول .. يا جليلة يا بنت مرة أحدثت
في القلب أمرا ..

— لا .. لا يا ابا عبد الواحد وانت السادق .. ياتفيدة يا بنت
طلبة أحدثت في الرأس أمرا ..

وفي ضجيج الضحكات ، غاضت أصوات السخط والشتائم
التي انطلقت من رزق وتوفيق والرجل الغريب القادم من المدينة
.. وتوالت على الضحكات أمنيات الرجال والنساء : متى يخفى
هؤلاء الثلاثة في الغبار الذى يثيره انطلاق أربعة أفراس بيضاء

يعود على ظهورها الاربعة رجال الغائبون .. يعودون في ثياب
بيض بلون الفل .. كما حلمت أنصاف ليلة أمس !؟

لا . ليست هذه أضغاث أحلام يا سيدنا الشيخ طلبة . لا .
انه حلم يجب أن يتحقق .. خير .. يا رب خير .. اللهم اجعله
خييرا !

سافرت الى القاهرة مثقل القلب ، ممتلىء النفس بما حملنى
الناس فى قرىتى من توصيات يفجرها اليأس ، وأنا مع ذلك اضطرم
بالأمل !

قالوا لى فى القرية لا تفرع باب أحد • لا تقصد ابن آدم ،
لا تقف الا عند أهل البيت ، فلتتخذ منهم الوسيلة الى الله • •
حملناك الدعاء وسألناك الفاتحة • • اسأل الله أن يزيل الكرب وان
يمحق الكافرين • • قف طويلا عند مقام الحسين فالتمس من سيد
شباب أهل الجنة أن يكون وسيلتك الى الله تعالى لينتقم لنا ممن
بغوا علينا وليعيد الى القرية رجالها الغائبين • • قل له يا حسين انها
قرية مؤمنة ما كفرت بأنعم الله فلماذا يذيقها الله لبأس الجوع
والخوف ؟! • فليمنحها الشبع والرى وليهبها شجاعة القلب وأمن
الجوانح • • فليرفع مقته وغضبه عنها • • اسأل لنا الله فى مقام
الحسين أن يولى علينا خيارنا ولا يولى علينا شرارنا ، واسأله أن
ينتقم من الظالمين ، بحق الشهيد المظلوم •

ولكن لا تذهب الى الحسين قبل أن تقرأ الفاتحة فى مقام
السيدة زينب الست الطاهرة ، فسرها باتع • •
أندر لها أن تكنس القرية أرض الضريح وأن ترشه بماء
الورد • • وأندر لها مائة شمعة ان خرج الرجال ، ومائة أخرى ان
انتقم الله للقرية من ظالمىها • •

وعندما تفرغ من زيارة أهل البيت فلتذهب الى السلطان
الحنفى .. واحذر أن تركب اليه ..
رح ماشيا فما يجب أن يقصده الراكبون .. انه ولى الفقراء
.. صل العشاء أمام الضريح واشك له باسم القرية ..
قل له كل شيء .. ارفع صوتك واجأر بالشكوى كما تكلم
الأحياء .. وعاتبه أشد عتاب .. فلماذا يتخلى عن الفقراء في قريتنا؟!
مدد يا امام .. مدد يا ست .. مدد يا سلطان يا حنفى مدد ..
با من ارتعد أمامك سلاطين الأرض وأمراء مصر وأدوا الحقوق
الى أهلها خشية غضبك .. لاتنس الحنفى .. وتذكر .. رح اليه
ماشيا

فاذا فرغت من زيارة هؤلاء الثلاثة ، فلا تجعل يوما يمر بك
الاطفت بمقام أحد أولياء الله ..
انهم هم الذين يحرسون مصر .. ولا تنس سانت تريزحامية
الضعفاء وصديقة المسلمين .. وأنذر لها نذرا ..

احذر أن تضيع وقتك في مقابلة رجل أو امرأة فلا جدوى ..
لن ينصفنا أحد ، ولو كان من الممكن أن نجد الانصاف عند
أحد في القاهرة لما رمتنا القاهرة برجلها الذى يبطش بنا ، ولما حدث
للقرية كل ما حدث .. انهم فى القاهرة يرسلون الينا الكلمات
الحلوة ، فاذا صدقها رجال مثل عبد المقصود وعبد العظيم وسالم
وهلالى ، ألق بهم القاهرة فى السجن ! ..
من الذى يصنع هذا اليأس للفلاحين بعد ثلاثة عشر عاما من الثورة

التي قامت لترد الأرض الى الفلاح وتتيح له أن يمارس حرثه وأن
يسيطر على مصيره؟! ..

ولكنى على الرغم من كل هذه التوصيات ، وعلى الرغم من
الأصوات الضارعة التي ما برحت ترن في أذنى كالآنين ، وعلى الرغم
من كل الكلمات المنعممة بدمع يفجره اليأس .. على الرغم من
كل شيء ، لم أقصد أولياء الله لأرفع اليهم شكوى القرية بل ذهبت
الى دور الصحف والى كل رجل اعتقدت لبعض الوقت أنه يستطيع
أن يرفع عن قريتي الظلم ، وان يعيد اليها الثقة بما تصدره القاهرة
من كلمات .

شرحت الأمر لكل من استطعت أن أقابله في دور الصحف ،
ثم اتجهت الى الاتحاد الاشتراكي ، فقدمت عدة شكاوى وطالبت
بالتحقيق فيما يحدث بقريتي ، وناشدت كل من قدمت له شكوى
أن يسعى بكل جهده للافراج عن الرجال ، وأن يطالب برد البسمة
الى شفاه الأطفال ، وبإدخال الطمأنينة على القلوب ، وبحماية الأمل
العزيز الذى تتعلق به أحلام الفلاحين .

وعندما خرجت من الاتحاد الاشتراكي قابلت فى الطريق
صديقى القديم (الفرماوى) مدير الأمن فى المحافظة .

كان فى طريقه الى وزارة الداخلية نشيطا خفيف الحركة فتيسا
كالعهد به عندما كنا فى المدرسة الثانوية .. وشعرت بألفة غريبة معه
كأننا لم نفترق أبدا منذ كنا فى صدر الصبا ..

وأخذ يذكرني وهو يضحك ببعض ما كنا نصنعه ونحن طلبية
وبمظاهراتنا ضد الانجليز •

وقال لي بزهو ان موضوع قرنتامحل بحث جدى، وضحك:
— دا موضوع عامل وش فى كل مكان •• وان شاء الله ربنا
حاي نصركم •• لكن ايه •• نصرة قوية صحيح •• بكره رجاله البلد
طالعين ، بكره بالتحديد •• مبروك يا عم ••

كنت قد سمعت أكثر من مرة أن الرجال عائدون •• عائدون
بلا ريب ولكنهم لم يعودوا •• من أجل ذلك لم أشعر بالفرحة التي
قد يثيرها مثل هذا الخبر ، بقدر ما شعرت بأسى •• وقلت له فى
لهجة لم أستطع تخليصها مما يثقلها من فتور :
— امتى •• ماسمعنا الكلام ده كثير ••

— خليك مع الله ! •• ايه يعنى لو كانوا طلوعوا من يومين
واتمسكوا تانى •• المهم انهم يطلعوا وان الأسباب اللي أدت الى
انتقالهم تزول نهائيا يعنى بصراحة الرجل المسئول عن اعتقالهم جت
رجله •• وهو •• بس اسمع •• دا كلام سر خالص •• بشرفك ••
فيه تحقيق سرى معاه •• هو من امبارح هنا فى مصر •• تصوراته
كان عاوز ينقلنى واتهمنى بتحريض الفلاحين •• النوع ده فى منتهى
الخطورة •• نوع فى أعماقه معادى ويجب فضحه والتخلص منه ••
ده ايه التصرفات دى يا أخى •• ده تشويه لكل حاجة •• لكن
الحمد لله ••

كان مندفعاً ، يتكلم فى حماسة وثقة كالعهد به دائماً ونحن

صغار .. وسرح يبصره في الفضاء عبر النيل على خضرة الجزيرة
المستلقية في دفاء الشمس تحت سحب خفيف .. وكنا مازلنا نمشي
على « كورنيش النيل » .. ثم قال فجأة :

— يا أخى لازم أشوفك كثير .. لازم نجدد أيام زمان . تعرف
جيلنا ده ؟ .. جيلنا ده اللي حارب الانجليز ووقف في وش رصاصهم
.. هو ده الخير والبركة .. ياسلام .. كنا بنقف في وش الرصاص
في نفس السن اللي أولادنا فيها دلوقتي بيرقصوا التويست .

لا .. يافرماوى .. ليسوا كلهم .. لماذا تملأ رأسك بهذه
الأفكار ؟؟ ألم تعرف سالم ؟ .. انه في نفس السن التي كنا نواجه
فيها رصاص الانجليز .. وهناك آلاف وآلاف في القاهرة والمدن
الكبرى يواجهون بكل حماس سنهم تحديا وخطرا وتهديدا مثل
رصاص الانجليز .. هنا أيضا جيل يبنى يافرماوى ، ويهتف لفلسطين
كما كنا نهتف ، ويصنع المعجزة في وجه القدر .. لاتحمل في نفسك
كل هذه الاستهانة التقليدية التي يحملها جيل كبر للجيل الذي يليه
.. ليس كل أبناء هذا الجيل راقصين للتويست .. وفي جيلنا أيضا
يافرماوى .. أنسيت ؟! كان هناك من يزوغ منا بعد الاضراب ،
. نكتشف في اليوم التالي انه كان يرقص على « الباتيناج » في نفس
اللحظات التي تواجها بالرصاص ! ..

وعندما ودعت الفرماوى على مقربة من وزارة الداخلية ..
وقف قليلا ليحبر شارع القصر العيني .. ومنعته العربات المتدفقة
من الاتجاهين ..

فقال ضاحكا :

— الواحد خد على الأرياف خلاص .. بقى يدوخ من دوشة
مصر وزحمة مصر .. أنا عارف ايه غرام الضباط الجداد بمصر! ..؟
كلهم عاوزين مصر • ياما نفسى أعلمهم أن حقيقة الشعب ده
موجودة فى الأرياف .. الأرياف وبس .. الفلاح هو المصرى ..
وبعد كده اردم ..

انت دائما هكذا يا فرماوى .. متحمس ، مندفع ، تطلق
الأحكام .. وقلت له :

— ما انت بتضرب الفلاح ده ..
فصاح مستنكرا :

— أنا ..؟! مستحيل ، أنا طول مدة خدمتى ماضريت فلاح
والله .. أمال ايه اللي جابنى مصر من يومين ؟ طب دا أنا أول حاجة
أعلمها للضابط الجديد من دول ان الفلاح هو الأصل .. وان اللي
يحترم نفسه لازم يحترم الفلاح .. أنا باربى الضباط الجدد على
احترام الفلاح .. احترام كرامته وحرته ، شوف .. الراجل اللي
يهين كرامة غيره لأنه فى السلطة دا راجل ما عندوش كرامة ..
والراجل اللي يهدر حرية غيره ده فى أعماقه عبد .. بقى أنا اللي
قاومت ظلم الانجليز تفكر يعنى انى أظلم أهل بلدى ولو حتى بكلمة
غير لائقة .. لا والله .. أمال طلعتنا الانجليز ليه بقى ؟ .. ما الظلم
كله واحد .. ما فيش ظلم أحسن من ظلم • الظلم مالوش جنسية
وظلم المصرى للمصرى ألعن .. على رأى الشاعر .. وظلم ذوى
القربى أشد مرارة •

وأخيرا استطعنا أن نعبر الشارع معا .. وسلمت عليه ..
وانصرف على وعد منى بأن أزوره في مكتبه بالمحافظة ، ووعدنى
بأن يزورنى فى بيتى بالقاهرة .. وأعطيته رقم تليفونى وأكد لى أنه
سيحدثنى صباح الغد بعد أن يتيقن من الافراج عن رجال قرىتى ..
وأقسم لى أنه سيصحبهم بنفسه الى المحافظة ويرسلهم معززين
مكرمين الى القرية .. فالافراج عنهم على أية حال نصر للحقيقة،
وله أيضا ..

وانتظرت طيلة صباح الغد .. ولكن الفرماوى لم يتصل بى ..
وقضيت صباحا قلقا معذبا .. وقلت لنفسى انه وعد كالوعود الأخرى
السابقة .. فماذا يستطيع الفرماوى أن يصنع؟! له الشكر على أية
حال ولكن متى يخرج الرجال؟! ماذا يمنع الافراج عنهم بعد أن
تبين أن اسماعيل هو المسئول ، وبعد أن استدعوه للتحقيق فيما فعل
برجال قرىتى!؟

ولم أستطع أن أطعم على الغداء .. وحاولت أن أنام قليلا
ولكن بلا جدوى ..
وخرجت الى الطريق ..

فلأزر أهل البيت كما طلبت منى القرية .. والسلطان الحنفى
أيضا . سأمشى اليهم جميعا . لا لا . أهل القرية طلبوا منى أن
أمشى الى السلطان الحنفى وحده .. قالوا لى ابدأ بالسيدة زينب
ثم سيدنا الحسين . وامش من الحسين الى الحنفى لتصلى العشاء
أمام ضريحه .. وحدث الضريح كما تتحدث الى الأحياء! ..

واتجهت الى السيدة زينب ، ودخلت ضريحها ووقفت أمامه
أخوض الزحام اقرأ الفاتحة ولافتات عليها أبيات من الشعر في مدح
أهل البيت .. ما كل هذا الزحام؟! ..

وسألني رجل أشهب اللحية على وجهه وضاعة خاصة ان كنت
أريد أن أقرأ عديّة يس بأى شيء أجود به .. وأخرجت من جيبي
عشرة قروش وسألته أن يفعل .. فقال لى : - على النية ؟ ..
ولم أفهم جيدا وهزرت له رأسى •

وانصرفت الى الحسين .. وأنا أردد ما حملتني القربة من دعاء
منذ كنت في مقام السيدة وعلى طول الطريق كلما شاهدت مقام ولى
أو مؤذنة مسجد •

وبعد صلاة العصر في مسجد الحسين ، دخلت الى المقام ..
كان البخور يعطر الجو وهممة خافتة تملأ المكان والوجوه
الضارعة تنظر الى السقف والأيدى تمسح الأعمدة الفضية المتشابكة،
ودموع كثيرة تتساقط على الزفرات .. ووسط الهمهمة انطلقت
صرخة : (يارب امحق الظالمين) .. وأسرع شيخ المقام الى الرجل
الذى يصرخ وربت على كتفه وطلب منه أن يتحرك ليطوف الآخرون
بالمقام ، وهمس له ألا يصرخ فالله عليم بذات الصدور .. وما كانت
أذناى تلتقطان الا الدعاء الى الله أن ينصر العدل ويمحق الظلم ..
لكم هو مشحون بالمأساة هذا الهواء المعطر بالبخور ! .. من
يدرى؟! .. فربما كان آخرون مثلى جاءوا محملين بشكاوى
قراهم ! .. وهناك امرأة صغيرة جميلة تبكى وتهمس من فجوة

السور الفضى : (يا حسين .. قوينى .. عاوزة أعيش بشرفى ..
يارب .. يارب) ..
ما كل هذا الزحام؟! أهو الاندفاع الى أولياء الله أم اليأس من
بعض خلق الله ..؟! ..

وخرجت من المكان الذى اختلطت بعطر بخوره أنفاس الشاكين
والضارعين والقاصدين .. وعلى باب الضريح وجدت يدا تمسك
بكتفى وتهزنى بعنف ومودة :

– مش معقول ؟ ..

– فرحات بك ..

هذا هو فرحات شقيق رزق جاء قاصدا هو أيضا .. ماذا
يريد ؟ .. مم يشكو ؟ .. وعانقنى .. وسألته فيم جاء فقال مبتسما
وهو يمسح بيده شعر رأسه الفضى الأنيق :

– يا أخى جيت استزيد .. ولئن شكرتم لأزيدنكم ..

ياه ! .. حتى هنا تزحمون الفقراء ! .. ومن يدري ؟ ربما
نفحت من يقرأ لك عدية يس قدرا من المال لا يستطيعه غيرك ! ..
وطلب منى أن أنتظره لنخرج معا .. وقرأ الفاتحة بسرعة وأقبل
الى .. وعلى باب المسجد نفح حارس الأحذية ورقة بخمسة
وعشرين قرشا .. ولبس حذاءه الفاخر وانطلق بى الى سيارته
وأقسم أن يأخذنى الى مشرب وسط البلد نشرب فيه القهوة ..
ولكنى اعتذرت فألح .. ولم يتركنى حتى وعده أن أزوره فى
بيته وحدد لى موعدا الليلة بعد الغروب .. وأعطانى بطاقة عليها
العنوان ..

وبعد الغروب كنت أمام مسكنه في «جاردن سيتي» على النيل
وسمعت موسيقى جاز تتصاعد من الداخل وصراخ مراهقين وضجة
رقص .. لا .. لا .. مستحيل .. لقد أخطأت العنوان .. ولكن
على الباب لافتة باسم الرجل .. ودققت الجرس ففتح لي بنفسه ..
ووجدت الصالة فسيحة مملوءة بشموع على مائدة كبيرة وفتيات
وفتيانا يرقصون ويتطوحون كالمجاذيب في الذكر ويقفزون والفتيات
في أذرع فتيان يرفعونهن فتتكشف الفساتين القصيرة عن الأفخاذ ..
كانوا يرقصون بلا بهجة ويحركون الأذرع والأجسام والسيقان في
عصبية غريبة .. حتى الضحكات كانت تنطلق في جنون .. كنت
ما أزال واقفا بالباب تدور عيناى الى هذا المنظر الذى لم أشهده
الا في الكهوف وعلب الليل في بعض المدن الأوروبية الكبرى ..
وفرحات بك يبدو مبتسما ويهز رأسه وهو ينظر الى فى اعتذار :

— لا مؤاخذة .. اتفضل .. النهارده عيد ميلاد ابني وأنا ناسى
.. الولد عامل بارتى وداعى بعض زملائه وزميلاته .. اتفضل ..
معلش بقى .. شباب .. شباب ! ..

وشعرت بالدوار والضيق .. آه لو شاهد الفرماوى هذا
المنظر !؟

وحاولت أن انصرف .. ولكن مضيفى جذبنى برقة الى حجرة
أخرى بالداخل وخضت فى الردهة المزدهمة بالفتيات والفتيان ..
واصابتنا ضربات السيقان والأرداف والنهود المتطوحة ونحن نعبر
على عيون تتفجر منها نظرات غريبة بلهاء .. بلا حياء وبلا معنى !

وأحسست بطراوة السجاد الفاخر .. ولمحت لوحة على الحائط
غالية جدا .. وبهرتنى الأضواء المنبعثة من مصابيح الكريستال
والاينية النادرة المعلقة هنا وهناك على الجدران ..

وفي حجرة من الداخل أجلسنى مضيفى على مقعد وثير امام
عربة متحركة عليها كل أصناف الشراب .. خمور من اسكتلندا
وفرنسا وانجلترا وبولنדה .. وعرض على كأسا من أى نوع
فاعتذرت وألح فى أن أتناول فى هذا البرد كأسا من فودكا بولندية
وقال ضاحكا :

– حاجة اشتراكية

– أنا ذاهب بعد قليل الى السلطان الحنفى ..

وحدثت فرحات عما يصنعه أخوه رزق وعما حدث لرجال
قريتى بسببه فأبدى استنكاره لما يصنعه أخوه وقال لى أن سلوكه
ليس اشتراكيا وانه ليس بالفائد الذى يمثل القدوة .. ولطالما
نصحه ، بلا فائدة .. ولكنه قال لى انه لا يستطيع أن يصنع شيئا
للرجال المعتقلين ..

وأحسست أننى أختنق وخرجت مسرعا وأنا أشكر له حسن
ضيافته وهو يعتذر لى عن هذا الضجيج الذى يحدثه الشباب ..
وشيئى قائلا – زمان تانى .. مش زى زماننا !

وبينما كنت أقف على باب الشقة ومضيفى يودعنى ، اذ
بشباب وسيم يترك زميلته التى كان يطوح بها فى الهواء ويختفى
فى الزحام خلف الراقصين .

ولكنى عرفته .. وصرخت من شدة الصدمة :

– فتحى ..

وأقبل الى فتحى عبد العظيم يتعثر .. ولم أستطع أن أقول له شيئا .. ولكنى انصرفت ، وهو يسير ورائى . وفى الطريق حاول أن يعتذر لى ولكن لم أجد عندى الرغبة فى أن أكلمه .. وألح على فى الاعتذار .. فهذه أول مرة يحضر فيها حفلا من هذا النوع وما كان يستطيع أن يتخلف عن الرقص لكيلا يقولوا عنه « فلاح » . ووجدت يدي تهوى على وجهه فى الطريق بصنفة حملتها كل غيظى منه وما رأيت ، وكل صدمتى من المفارقة بين ما هو فيه ، وما فيه أبوه عبد العظيم ! ..

أبوك يفتخر بأنه فلاح وانت تصنع مالا يرضيك لكيلا يقال عنك انك فلاح .. وانت أخيرا ترقص هنا وأبوك مرمى فى السجن لا يعرفه أحد !

وتلقى الصنفة كأنها أمر مسلم به .. وشعرت أنا بندم شديد ، وهو يتحسس خده ويقول :

– على العموم حضرتك عمى ولما أغلظ برضه تربيى .. بس فيه أساليب تانية للتربية .

وضغط على صدرى الندم ..

أنا أيضا لا أحب هذه الطريقة فى التربية ..

وأحببت احتجاجه ، وان كنت ما ازال ساخطا عليه لأنه يهدر نفسه فى رقصات من هذا النوع .. لكم كانوا منفرين جميعا وهم

يرقصون .. لماذا تمتهن بعض الفتيات نضارتهم وريق الشباب
في الوجوه والأجساد الى هذا الحد؟! والفتيان أيضا؟! من
الرقص ماثير البهجة .. ولكن هذه الهستريا .. لا .. لا .. آه
يا ابن عبد العظيم لو كنت تعرف كم يعلق عليك أبوك من آمال ..
وانت هنا ترقص الروك اند رول والتويست ! .. وسألته : أيعرف
أين أبوه الآن ! فقال بفرح وبساطة :

— ماروح .. روحوا كلهم .. خرجوا النهارده الصبح ..
وخدمهم مدير الأمن على المحافظة .. زمانهم في البلد دلوقت ..
أحنا كافحنا كثير هنا علشان الافراج عنهم والحمد لله أهو المسئول
عن اعتقالهم بيحققوا معاه ..
— بتقول ايه !! ..

— بالامارة كان معتقل معاهم عضو قيادي من لجنة الاتحاد
الاشتراكي بالمحافظة .. الشيبني .. كلهم روحوا .. هو حضرتك
ما تعرفش ؟

ووجدت نفسي أعانقه .. واعتذرت أنا له لأنى صفعته .. لعله
الفرح هو الذى دفعه الى الرقص الجنونى فى بيت فرحات واهم
يحسن هو الدفاع عن نفسه !! شباب ! ولكن كله الا هذا النوع من
الرقص يا ولد ..

ولكن ما كل هذا الذى يجرى؟! أتم أيها الطلبة فى
القاهرة كافحتم من أجل الافراج عن الفلاحين فى قريتى ؟ ..
ومضى يشرح لى ماصنعوه هنا فى منظمة الشباب ، ودور منظمة

الشباب في المحافظة .. انها قضية كل مدافع عن الاشتراكية ..
الحرية .. الحرية ياعمى ! .. حرية الانسان وحقوق الفلاح ..
ولكن كيف عرفت بكل التفاصيل يا فتحي؟! .. خطاب من
الأستاذ ريان .. وخطابات ومذكرات من منظمة الشباب في
المحافظة وبصفة خاصة من طلاب القرية ، يا عمى .

وطلبت منه وأنا أمام مسجد الحنفى أن يعود هو الى الحفل
في بيت فرحات ولكنه صمم على أن يدخل معى الى ضريح السلطان
الحنفى .. فما حضر الحفل الا مجاملة لصديقه ابن فرحات بك !
قرأت الفاتحة شكرا لله ..

كان الضريح خاليا ..
ولكنى سمعت من خلفه صوتا يتهدج .. صوت شيخ يهمهم
والدموع تغمر الصوت ، ويداه ترتجفان وهى تمسح خشب الضريح
.. والى جوار الشيخ قعدت فتاة شابة منكسة الرأس تبكى فى
صمت وضراعة .

وراعنا صوت الفتاة والرجل ..
وهمهم الشيخ وبان صوته شيئا فشيئا :

— ياسلطان .. ده يرضيك ؟ .. بقى يا اما ياخذ منى بنتى
يشغلها خدامة عنده وهو راجل عازب يا اما يجبسنى .. زى ماجبس
رجالة البلد؟! ده يرضيك؟! .. اطلع فى هيئة سبع ياسيدى الحنفى
.. هيئة سبع كاسر وفرتكه يا شيخ .. ياسلطان .. دا انا جاى لك

ماشى من بلدنا أنا وبنتي تفيدة • بقى لنا يومين ماشيين انقذنا أغشنا
أدر كنا يامننى عيني •• أعمل ايه بس •• دى بنتك •• اغتها ادركها
بقى ، ياريتنى جوزتها للواد اللى عينه منها كان عرف خلاصه مع
المقتري •• يا ريتنى جوزتها له •• الواد سالم ابن انصاف

الشيخ طلبة؟! وهذه هي ابنته تفيدة ••
وقبل أن أتقدم الى الرجل وابنته ••

ارتفع من ورائى صوت ابن عبد العظيم رهيبا بكل تلك
الرغبة فى العبث التى تحرك ظرف الشباب عندما يجدون من هم
أكبر منهم فى المأزق :

– طيب أنذر انك تجوزها له ياشيخ طلبة ••
وانتفض الشيخ وارتعشت يده على الضريح ، وهى تتهاوى:
– حاضر يا سلطان •• حاضر يا سيدى •• ندرن على
لاجوزها له ان أزحت عنا الكرب باذن الله ندرن على لأجوزها له
ياشيخ •• بس أغشنا أدركنا ••

ولم أستطع أن أكنم ضحكى •• واندفعت الى الشيخ طلبة :
– أهلا يا شيخ طلبة •• ما الرجالة طلوعوا •• واللى بالك فيه
بيحققوا معاه •• أهو الكرب زال يا سيدى •• تعالوا باتوا عندى
الليلة بقى واصبح جوزها له •

وقال ابن عبد العظيم ضاحكا :
– روح البلد بقى •• وأوفى الندر •

وبان على الشيخ طلبة كأنه يفيق من حلم ؟
- الندر؟! بقى أجوزها للواد سالم ابن أنصاف .. جه وجع
بطنه •

وقالت تفيدة فى حياء يخاليج فرحتها :

- دا ندر يابا ..

وقال فتحى مداعبا :

- ياسيدنا .. حرام تندر وتخلف •

وأطرق الشيخ قليلا ثم رفع وجهه وابتسم ..

وارتفعت زغرودة وسط الضريح .. وأقسم الشيخ طلبة أن
يجلس ليلته يقرأ القرآن حمدا لله .. وانطلق صوته يرتل القرآن
بوالزغاريد تغمر المكان •



عاد الربيع الى قرىتى ..

وسرت أنسام الصباح مفعمة بعطور غريبة تثير في النفس حب
الحياة والمغامرة ، وامتلات الحقول بنوار البرسيم ..

نضج القمح ، وفي الفضاء العريض ترامت مساحات ذهبية من
الأرض تجاوزها خضرة زاهية من نباتات أخرى •

وانطلقت تفيدة بنت طلبة تقطف «السريس» و«الجعضيض»
من الحقول وتآكل قرون الفول الأخضر مع فتيات من مثل سنهام.
ثم جرت الى شجرة توت مثقلة بالثمرات وتسلفت هي الشجرة
بخفة وهزت غصنها المترع بحبات التوت والأخريات يتسابقن
ليجمعنه من على الارض خلال الضحكات ، وينفخن التراب من
على الحبات ويأكلنها ، استطعاما وفرحا •

ونزلت تفيدة من على الشجرة وجمعت بعض الثمرات ونفخت
ترابها ثم قطعت عدة أوراق جعلت منهن غطاء لكفها ووضعت
أكبر الحبات وهي تنطلق ضاحكة :

— دا نصيب سالم جوزى •

وضحكت الفتيات ..

كانت تفيدة قد انطلقت •

تركها أبوها تذهب الى المدرسة الليلية وعقد لها على سالم

وأقامت القرية فرحا كبيرا مازالت تتحدث عنه •
ولكننى لسوء الحظ لم أشهد هذا الفرح ، وبقى لى منه
ما خلفه من ذكريات عزيزة على القرية ••

فقد خرج الرجال منذ شهر ، جاء بهم مدير الامن نفسه الى
القرية ، وعقد اجتماعا كبيرا فى دار الجمعية التعاونية ، وأحضر
معه بعض رجال الشرطة •

وخلال الزغاريد ، وعناق أبناء القرية للرجال الأربعة العائدين
وقف مدير الأمن يخطب فى الناس ، فقال لهم ان رجالهم عادوا
مكرمين أعزاء ، وانهم لم يقترفوا جرما ، وأنهم مدافعون كرام
عن حقوق القرية وآمالها ، وهم مثل طيبة للفلاح الجاد وللمواطن
الصالح •• وان من واجب كل رجل وامرأة فى القرية أن يعترز بأنه
يعرف مثل هؤلاء الأربعة وأن يجعل من تضحيتهم فى سبيل ما يؤمنون
به أسوة حسنة !

وانصرف مدير الأمن ورجال الشرطة والقرية مازالت مجتمعة •
انصرفوا وسط هتافات الناس بحياة العدل ، وبسقوط الظلم!
حدث هذا كله فى الضحى ••

ولم يكد النهار ينتصف حتى كان الشيخ طلبة يقتحم مكان
الاجتماع وفى يده ابنته •• يعاق كل الرجال العائدين ••
وعندما عاتق سالم قال له :

— حلال عليك تفيدة يامديوب •• أنا ندرت ان طلعتم

بالسلامة لاجوزها لك .. والله ما تستحق ضاferها .. لكن الندر
أمانة بقي .. مبروك عليك ياللي تنديب !

وضحك كل من كان بدار الجمعية التعاونية وانطلقت
الزغاريد ..

وأقسمت أنصاف وهي تقبل تفيدة ان يعقد الشيخ طلبية
للبنيت على ابنها من لحظته ..
وتعالت الأصوات تستحلف الشيخ طلبية أن يعقد الزواج
الآن !!

وتطوع كثيرون أن يذهبوا الى الدار ليحضروا دفاتر قسائم
الزواج ، وأقسم عدد من الرجال أن يشاركوا في تكاليف الفرح ..
وقالت امرأة :

– أنا مزغطة ذكر بط والنبي لادبعه •

وقالت أخرى :

– وأنا على فرخة الوفق •

وقال رجل :

– وأنا حاروح المركز أجيب أحسن واحد يقول مواويل •

وأقسم رجل آخر :

– على الطلاق لاجيب الطبل البلدى ، يزفهم دلوقت ..

وتداخلت الاصوات •

– وهدوم العروسة علينا حانجيبها جاهزة من المركز •

– وهدوم العريس على عيلتنا ، نجيبها دلوقت أهه برضه
• جاهزة من المركز •

– والنبي يابا الشيخ طلبة نكتب الكتاب بقى •

– خللى البلد تفرح •

– نفسنا تفرح يا أولاد ••

– قوموا بنا نجيب الدفتر من دار سيدنا •

– حلفناك يابا الشيخ طلبة •• حلفناك ياسيدنا بشرف

الأوليا اللي زرتهم ، خلينا تفرح ياشيخ •

وعندما جاء العصر كانت القرية تنهياً للزفاف ، وقد أحضرت

كل شىء رأته لازما للعروسين ••

وخرج سالم من منزل الحلاق بعد أن حلق واستحم هناك ،

والحلاق يرقص أمامه على دق كهوف الرجال ••

وطاف موكب العروس بالقرية ، على أنعام الطبول والمزامير

يتقدمه العريس سالم ، والى جواره هلالى وعبد العظيم والاستاذ

عبد المقصود والاستاذ رمان وأمامه بحيرى يرقص بعصاه وحوئه

رجال القرية وشبانها ومن ورائهم الفتيات يغنين ويرقصن ••

وأمام ساحة واسعة توقف الموكب ، وبدأ الرجال يلعبون

العصا ••

والح توفيق حسنين على عبد العظيم أن يلاعبه العصا •• كان

عبد العظيم كغيره من الرجال العائدين لم يلتقطوا أنفاسهم بعد ••

حدث كل شيء بسرعة ، ما كادوا يعاقنون الرجال خلال الدموع
حتى أخذتهم دوامة الفرح ..

وسمع ذلك فقد كانوا لا يتحدثون : الابتسامة على الشفاه ،
وعلى الوجوه ذهول ، وفي الأعماق انفعالات عديدة مختلطة • وكان
عبد العظيم كمريض ناقه يستقبل الحياة بعد غياب طويل خطير في
فراشه ..

الأشياء تبدو أمامه كأنها جديدة • كأن لكل شيء لونا آخر
• • وكأنه يعرف الحياة في هذه القرية لأول مرة !!

وعرض عليه أحد رجال القرية أن يلعبه بالعصا ولكنه اعتذر •

ثم ألح عليه توفيق حسنين ، ففاض حنينه الى لعب العصا والى
اجتناء المسرات التي حرم منها طويلا ، والتي خيل اليه لبعض الوقت
وهو في سجنه أنه لن يعود اليها أبدا • • فلن يرى ضوء النهار بعد ،
ولن يستنشق أنسام الحقول آخر الدهر ! • •

ووسط الزغاريد تقدم عبد العظيم يلعب العصا متاقلا ودار

• • ودار توفيق حسنين •

وأشار عبد العظيم بطرف عصاه الى رأس توفيق حسنين :
• • هنا مكان يستطيع أن يضربه منه ، ولكنه اكتفى بالإشارة اليه • •
• • وانطلقت الزغاريد من النساء وصيحات الاعجاب من الرجال • •

واستدار عبد العظيم ، وحين كان ظهره الى توفيق حسنين
وقبل أن يبدأ دور جديد انقض توفيق بسرعة خاطفة ف ضرب

عبد العظيم على مؤخرة كتفه ، ورقبته ، وسط صرخات التحذير ،
واندفاع رجال فطنوا لما يريد توفيق حسنين .

وسقط عبد العظيم على الارض ، وسط صياح مضطرب :
- خده غدر ..

- ضربه خيانة . غدر .

وأحاط رجال بعبد العظيم ، واستطاعوا أن يوقفوه آخر
الأمر ..

وحين وجد توفيق حسنين نفسه محاطا بلهب النظرات ،
والعصى تهتز من حوله صرخ في انهيار وذعر :

- أنا ماليش دعوة .. ما حدش يضربنى وحاقول لكم الحق
.. رزق بيه هو اللى سلطنى ..

واحتد الشيخ طلبية :

- رزق بيه؟! اخرس .. دا مدينا الجمل بتاعه علشان

زفة العروسة .. رزق بيه؟ اخرس يانجس .. ده منقط

العروسة بعشرة جنيه .. اداهم لى بايده ساعة ما رحت ادعيه

لحضور الفرح .. ده لولا عنده شغل فى مصر ومضطر يسافر كان

بات مخصوص علشان فرح البنت .. رزق بيه؟! قطع لسانك ..

لو قلت لى اسماعيل كنت اصدقك لكن البيه رزق لا . والبيه

اسماعيل أهو غار فى داهية .. يبقى مين اللى سلطك بقى!؟

وصاح رجل :

— ما كفاية بقى يا سيدنا الشيخ طلبه ..

وضاقت الحلقة حول توفيق حسنين فعاد يقسم ان رزق بنت
هو الذى طلب منه أن يلعب العصا مع عبد العظيم وينتهز اية فرصة
ليضربه فى مقتل .. وأفهمه أن لا عقاب عليه ، فالأمر كله سيؤخذ
على أنه خطأ فى اللعب ..

وارتفع صوت من أحد الذين يحيطون بعبد العظيم :

— على العموم جت سليمة .. عبد العظيم أهه قام كويس
والحمد لله .. ألف حمد لله على كل حال .. والمسامح كريم
.. عبد العظيم سامحك يا بغل !
واعترض رجل :

— الحمد لله يا سيدى .. لكن لازم الحكاية دى ما تعديش
كده .. لازم نشتكى لمدير الأمن .. يا نهار أغبر .. هى حصلت
القتل .. تقدر يا توفيق يا بو حسنين تثبت الكلام اللى بتقوله لنا
ده ؟ .. تقدر تثبت ان رزق بيه هو اللى سلطك ؟ .. ما النهارده
ضرب الراحده فى لعب بكره يقتل بجد !

وانهار توفيق تماما :

— فى عرضكم بلاش فى دى .. كتموا عالخير ده .. أنا
محقوق وآدى راسكم أبوسها واحد واحد .. يا ناس .. فين
عبد العظيم ..

واندفع الى حيث وقف عبد العظيم محاطا ببعض الرجال

— آدى راسك أبوسها •• فى عرضكم يا ناس •• أنا مستعد
تعملوا حق عرب تحكموا عليه فيه بأياها مبلغ •• ان شا الله حتى
أدبح عجل •• بس بلاش الشكوى ••
وارتفع صوت الحلاق :

— طب ادبح لنا عجل يا عجل •• آدى الحكم •• نفذ بقى !
وابتسم عبد العظيم •• وضجت أصوات بالموافقة •• واتسحب
توفيق ومعه بعض رجال وقد أقسموا أن يذبحوا العجل ويوزعوه
على المحتاجين من أهل القرية •• وتنازعوا •• لا •• فليكن العجل
هو عشاء الفرح الليلة ••

لا •• فليوزع •• وأخيرا اتفقوا على أن يطبخ اللحم ويصنع
طعام فى بيت توفيق ويقدم على الصوانى ليأكل من يشاء من أهل
القرية •• وضحكوا قائلين :

— أهى الغرامة دى عند توفيق أبو حسنين أكثر من الشنق !
ووافق توفيق على هذا لينجو بنفسه وقد استخلفهم فى مقابل
هذا أن يكتموا عليه ما قال على رزق ••

وسهرت القرية حتى الصباح تسمع المواويل والاعانى ،
وتأكل من الطعام الذى صنع فى بيت توفيق أبو حسنين •

ولكن الرجال العائدين من الحبس أصبحوا فحدثوا القرية
عما جرى لهم فى السجن •• كل ما عانوه من فظائع •• وأقسم
عبد المقصود وهو يحكى للمدرسين أنه لم يكن يتصور أنه يوجد
فى الارض رجال يحملون كل هذه الكراهية للانسانية وكل هذه

القدرة على تحطيم ما هو نبيل ، ولا كل هذه الطاقة الهمجية، حتى
عرف الذين حققوا معه في السجن !

انه لآثم كل رجل لا يرفع صوته بالاحتجاج ضد هذه الفوضى
.. آثم كل من يسكت على العذاب ! .. ان طريق الخلاص أمام
هذا الوطن هو اتقاذه من هذه المهانة .. من هؤلاء الذين يهدرون
انسانية المواطنين . انهم لا يجسرون على أن يعاملوا العجائز كما
عاملونا يا أهل البلد ! .. أكتبوا الشكاوى الى كل جهة في
القاهرة واحكوا فيها ما جرى لنا .. وأتمم يا تلاميذ البلد ..
ناقشوا هذا كله في منظمات الشباب .. فمن هو الذى يستفيد
من هذا كله؟! ليس هو الوطن .. لحساب من تدمر معنويات
المواطنين وتمتهن كرامتهم ويسحق كبريائهم؟ .. أليفقدهم الثقة
في العصر الذى يعيشون فيه .. ولكننا لن نفقد الثقة .. ان الذين
يصنعون هذه الجرائم انما يدمرون روح الشعب ، وينشرون
الخوف .. وحين يسود الخوف ، فهى النهاية .. تحركوا يا أولاد
القرية .. روحى يا انصاف قابلى الوزير الذى قابلته وقدمى له
هذه الشكوى وأنت يا ابن عبد الواحد ناقشهم في هذا الامر
بمنظمة الشباب في المحافظة .. واتتم يا أعضاء لجنة الاتحاد
الاشتراكى أكتبوا كلكم الى قياداتكم .. قولوا لهم ان الذين
يصنعون هذا بالانسان انما يهدون الأرض أمام العدو . قولوا
لهم .. ان الذين .. ولكن لا ، لا ، لا تقولوا شيئا .. لقد انتهى
عبد المقصود .. كنت يا عبد المقصود وانت طالب في مدرسة

المعلمين تهتف بسقوط الانجليز وتتحدى الرصاص وتقاتل بثقة ،
ولكم قبضوا عليك مع غيرك من الطلاب • الانجليز أعداء الوطن ،
ومع ذلك فما صنعوا بك شيئاً مما صنعه بك أبناء وطنك •• انهم
ياسم حماية الاشتراكية ، يمزقون الاشتراكية وينتهكون قداسات
الحياة جميعاً • وماذا يصنع وطن منتهك؟! ولكن لا بأستاذ
عبد المقصود دع القرية ترفع شكواها •• الذين صنعوا هذا
برجال القرية لا يمكن أن يكونوا أبناء شرعيين لهذا الوطن •• لا ••
انهم ينفذون فيه خطة عسف يريدونها أعداء الوطن •• انهم يدمرون
الاشتراكية •• •• اسمع كلامنا يا أستاذ عبدالمقصود •• لاتعزلنا
•• قف معنا كما كنت •• لاتقفل على نفسك الباب ، سنحطم الذين
صنعوا لكم كل هذا العذاب •• ابسم يا شيخ وتفاءل واعتمد على الله
•• أتحسب أن اسماعيل هذا من حماة الاشتراكية •• لماذا لاتفكر
في رجال مثل مدير الأمن؟! مثل الفرماوى •

وظللت طويلاً أحاول أن أقنع عبد المقصود بالخروج من داره
الى الناس كما كان •• ولكن بلا جدوى ، لقد خرج وناضل
واستمسك بكلمات الميثاق فاذا به يمزق ويعذب وتهدر انسانيته ،
وتبول عليه الكلاب! •• رجال كاسماعيل صنعوا به وبرجال القرية
مالهم يقرأ عنه في أى عصر! آه لو أن عبد العظيم خيمت عليه هو
أيضاً هذه الغاشية من اليأس القاتم!

ولكن عبد العظيم لم يفلق على نفسه بابا •• مضى يقول انهم
لاقوا مالا يوصف من الهوان •• هذا حق •• ولكنهم يعرفون أن

للفلاح دائما مثل هؤلاء الاعداء حتى في زمن الاشتراكية .. انهم
أعداء الانسان ومن واجب الانسان أن يقاومهم مهما اعتصموا
بقلاع السلطة أو تسلحوا بالزيف . انهم بلا رب لا يستطيعون أن
يجهروا بعدائهم للشعب ، ولكنهم يتسللون الى الأماكن الحساسة
ليوجهوا منها أكثر الضربات قذارة وضرارة وواحكاما .. ولم نروح
الى بعيد؟! .. هاهى ذى القرية معطلة .. آلات الجمعية التعاونية
مغلق عليها .. والفلاحون يلتمسون الرى أو الحرث فلا يجدون
الآلات . والزروع تذوى ، ويضطر الفلاح الى الرجعة لما كان قد
هجره من وسائل .. الى الطنبور والمحراث الذى تجره الحيوانات
.. رجعة الى الوراء بعد أن كانت القرية قد تقدمت الى أمام .
رجعة دائما .. آه .. هؤلاء الرجعيون !

أما سالم فقد أقبل على حياته مع تفيدة واندفع بها وكأنه نسى
كل ما حدث له . مازال فى حلقة طعم من تلك المرارة ولكنه يقسم
للناس أن الذين صنعوا بهذا هو الرجال ليسوا مصريين ولا من
بنى آدم على الاطلاق .. وعلى كل حال . فلهم يوم ، ومصيرهم
أن ينكشفوا فاذا هم أعداء للاشتراكية وللبلد كلها ، والله منتقم
جبار ! فكما صنعوا بنا لابد أن يصنع بهم !

انشغل سالم بمساعدة تفيدة فى مذاكرة دروس محو الأمية
إذا كان الليل .. أما فى النهار ، فكان يذهب الى أرضه .. سعيدا
بالمشرف الجديد ، يروى كل ما كان يصنعه المشرف القديم ، على
الرغم من أن عبد المقصود كان قد حذره ألا يندفع فى الثقة بأحد .

فما جاءتهم الكارثة الا لأنهم كانوا يثقون بلا حساب ! ..
وما كان هلالى مشغولا بشيء من هذا كله .. كان يعرف أن
عبد المقصود سيعود الى طبيعته الأولى ذات يوم عندما يزول أثر
الصدمة وهكذا أقسم له ريان .. فالذين عذبوهم كانوا يريدون
منهم على التحقيق أن يمتنعوا عن الاهتمام بأمور الجمعية التعاونية
والاتحاد الاشتراكي .. كانوا يريدون منهم أن يسكتوا عن الحق ،
ليدعوا الظلم يسود .. ولكننا لن نسكت !

كان شيئاً لم يحدث لهلالى ! ..

ولكنه كان قد فكر وهو في سجنه في أولاده الصغار ..
كيف يعيشون ؟ ماتت أمهم منذ عام وتركتهم له .. أكبرهم في
العاشرة ، كان يبكي أحيانا وهو في سجنه ، وهناك قران أذن الله
بالفرج أن يتخذ له زوجا لترعى الاولاد ..
وفكر في انصاف ! ..

وكلم سالم .. وشعر سالم بالخرج فلم يجبه ..
فذهب الى انصاف نفسها يكلمها .. ولكنها قالت له انها
لن تتزوج ..

— ليه يابت .. ما الواد اللي اترملت عليه كبرأهه واتجوز ..
— أنا خلاص كبرت على الجواز ..

— كبرت عالجواز؟! دا اللي قدك في مصر لسه ما اتجوزوش
دا انت في عز شبابك يا انصاف .. غيرشى هو الهم؟! فكرى
يا شيخه

وفكرت انصاف ..

ومضى هلالى يوسط لها الشيخ طلبه ، وعبد العظيم ..
واقترح على عبد المقصود فشغله بهذه الوساطة عند انصاف .

وعندما أعاد عليها الكرة قالت له انها لن تتزوجه حتى تسقط
القرية رزق بيه فى انتخابات الجمعية التعاونية والاتحاد الاشتراكى
.. انتخابات؟! ولكننا لم نفكر فى هذا أبدا يا انصاف ! ..
ياسلام .. انت والله امرأة بمائة رجل .. روحى يا شيخه، اكسرى
الباب المغلق على عبد المقصود ليخرج معنا الى النور .. فوالله ما فتح
قلبه لموضوع منذ خرج الالموضوع زواجك يا انصاف ..

نعم .. نعم يا أهل البلد ..

يجب أن تجتمع البلد كلها وتجرى انتخابات جديدة للجمعية
التعاونية وللجنة الاتحاد الاشتراكى ..
وسيطرت الفكرة على القرية ..

وبدأ عبد المقصود يخرج من داره ليخالط الناس .. آه ..
هكذا يا شيخ .. بدلا من أن تفص بمرارتك يا عبد المقصود ،
فلتبصق كل ما عندك من مرارة فى وجوه الاعداء .

راح هلالى الى الشيخ طلبة فى داره يسأله عما اتتهت اليه
مباحثاته مع انصاف ، فهلالى لا صبر له حتى تجرى الانتخابات
ويسقط فيها رزق .. ربما نجح رزق ، أفترض عليه انصاف
الآن؟! مادخل الزواج ولم الشمل بهذا كله؟! .. لعن الله
كل شىء! ..

وسمع له سيدنا وهو قاعد القرفصاء فى القاعة التى مازال
يخفق فيها شعاع المصباح فى تلك اللحظات الأولى من الصباح ..
وسيدنا يفكر فى أن هذه القاعة لم يوقد فرنها ليلة أمس ، ولا
الليلة التى قبلها .. من ليال طويلة لم يجد من يحمى له الفرن ..
منذ تزوجت ابنته تفيدة وتركت له البيت يعيش فيه وحده لتعيش
هى فى الدفء عند سالم فى بيت أمه انصاف .

وسكت سيدنا طويلا ثم قال لهلالى :

— عاجبك يا هلالى قعدتى كده ؟ .. وشرف المصطفى يا شيخ
أنا طول الليل نايم مقرص ومرصرص من البرد .. صقعة ايدهى
يا اخواتى؟! وادينى فى آخر العمر باصحى أدور على لقمة .

وارتفع من وسط الدار صوت محتج يقاطعه :

— ليه بقى يا بابا .. ماأنا باشقر عليك الصبح والعصر ..

وقال الشيخ طلبة بألم :

– فضلة خير سي سالم ..

واستمرت تفيدة :

– أنا نسيت أحى القاعة ليلة امبارح • يقطعنى .. الدنيا
ماكانت دفت والربيع جه كده والقمح اصفر فى الغيطان .. أنا
عارفة ايه اللى رجع السقعة تانى .. دا برد العجوزة يابا ..
وغضب الشيخ لكلمة العجوزة فشتها •
ودخل هلالى قبل أن تستمر المناقشة يسأل سيدنا عن رد
انصاف ..

أتراه يعتمد كثيرا على مايستطيعه سيدنا الشيخ طلبة معها ؟
فانصاف لا ترد له كلمة !!

أخذه سيدنا من يده وخرج به الى الطريق البارد ، وسارا
تحت ضباب الصباح .. وشمس الربيع تفتحم الفضاء بجسارة
وتستلقى على الطرقات المزدهمة بالناس والبهائم •
ووقفا أمام باب الحلاق .. لم يقل أحدهما للآخر الى أين
يتجه • ولكن كلا منهما كان يريد أن يبدأ نهاره بالزينة •
وعندما فتح الحلاق بابه راعه منظر لحية هلالى .. كانت قد
استطالت على نحو لم يعرفه أبدا ، وشعراتها البيض تغمرالشعرات
السود .. وعلى الوجه سهاد وضنى ، وفى الجفون ذبول .. قبل
أن يتبادل الرجال تحية الصباح ، صفق الحلاق ضاحكا وهو
يسلم على هلالى ..

– أهلا .. أهلا .. سايب دقنك كده ليه ؟ يعنى مجنون ليلى

ياخى ؟ تعال ياخوفا أزينك وأخليك عريس بصحيح بدل ماتدور
فى البلد كده زى مجنون ليلي •

وضحك سيدنا ، ولكن هلالى رد غاضبا :

– جن لما يلهفك •• خد دقنى وانت ساكت ••

والتفت هلالى الى سيدنا :

– بدل الضحك ده ياسيدنا ماتخلصنى من شد المسخرة على

فى البلد الغبرا دى ••

وضحك الحلاق وهو يسن الموسيقى على قطعة مشدودة من

الجلد ••

– بقى العروسة مش فاضية ، مشغولة بالجمعية والانتخابات

والعريس سيد الرجالة ، أبو زيد الهلالى ، حاله بقى عدم ؟ هع ••!

حالى عدم من كبر هجرانك ! هع •• والله دى بلد غبرا صحيح •

ولم يطق هلالى مزاح الحلاق فانفجر فى سيدنا ••

– دهدى ؟ قلت ايه ياسيدنا ؟ •• ايه رد الست أم سالم ؟!

ورد سيدنا :

– ياواد ياهلالى ما انت شايف بعنيك اللى حياكلهم الدود

دول ان الدار صفصفت عليه من يوم ماتفيدة اتجوزت ! •• أنا

قلت تتلم كلنا •• تيجى تفيدة وسالم يعيشوا معايا ومعاهم الست

أم سالم كمان •• خلى الدار اللى بقت خراب دى تعمر ياهلالى

•• أيوه خلى الدار تعمر بالست أم سالم •

وضحك الحلاق والدهشة تعلق وجهه :

— الست أم سالم ؟ • انت ست انصاف يا سيدنا •• يبقى عليه
العوض •

ثم ترك الموسيقى وذقن هلالى وصفق :

— الله •• الله •• دى القعدة حليت •

ورد هلالى ورغوة الصابون تغمر شفقيه :

— يعنى ايه معنات الكلام ده يا سيدنا • رسينى بقى •

— معناته؟ •• يا أخى ان الله لا يستحى من الحق •• معناته انى

أنا اللى حاجوز الست أم سالم •• انصاف يعنى •

ودفع هلالى يده فى صدر الحلاق بعنف فنجاه بعيدا ••

وانقض على سيدنا :

— يعنى أسوقك عليها علشان تجوزها لى تقوم تخطفها انت

لنفسك ؟

— أقعد ياواد ياهلالى مطرحك •• أقعد •• خطفك عفريت

ويكون من الذين كفروا •• أخطفها قال !

— تتجوزها ازاي ياسيدنا ؟ •• تتجوز انصاف ازاي ؟ وهى

ترضى بك ؟ دا انت سنك ييجى •• ييجى ثمانين ، تسعين ، قول

ميت سنة • دا انت مولود قبل ثورة عرابى ياسيدنا •

— ياك تنسور فى دماغك ياهلالى • بقى أنا مولود قبل هوجة

عرابى ؟ أنا يا هلالى ؟ •• بتقول الكلام ده علشان يبلغ الست

أم سالم ؟! لا ياسيدى أنا مولود سنة ١٩٠٠ واحنا فى ١٩٦٥ يعنى

سنى ٦٥ سنة ٠٠ ايه يعنى ٦٥ سنة ؟ ٠٠ هه ؟ ابقى كبرت عالجواز؟
دانا فرخ أكثر منك ! ٠٠ ولو كنت بالعب عصا كنت غلبتك فى لعب
العصا كمان !

ولم يجب هلالى غير أن الحلاق قال بخفة :

— على كل حال ياسيدنا الميه تكذب الغطاس ٠٠

واحتد سيدنا الشيخ طلبة على الحلاق :

— احلق وانت ساكت غطست ماقييت ٠٠

وابتسم الحلاق :

— اسمع ياسيدنا أنا حاقول لك كلمة ماترعلشى منها ٠٠ اسمعنى

كويس ٠٠ وانت حر بعد كده ٠٠ سيبك من الجواز دى ٠٠ انصاف

لهلالى ٠٠ سنهم قريب من بعض ولا يقين لبعض ٠٠ وانت ياسيدنا

راجل كبير برضه وما يصحش ينقال ان هلالى وسطك تفتح باب

الكلام فى الجواز مع انصاف علشان تدخل انت ٠٠ هع ٠٠ والله ان

سمعت الكلام ده يبقى يا دار ما دخلك شر ٠٠ وان ما سمعتوش، أنا

يا سيدى مستعد أزينك وأهندزك وأخليك عريس بحق وحقيق ٠٠

وأخللى الحنة عندى وتنزف من هنا ٠٠ قال على رأى المثل انصح

حبيبك من الصبح للضحى وكمل له بقيت النهار غش •

وارتفع صوت شاب :

— ماهو ده اللى ودانا فى داهية ٠٠ ماهو ده اللى ضيع كلمة

الحق وأخر البلد •

• ورحب الجميع بالقادم ٠٠ كان هو سالم ابن الست أم سالم •

وقال الحلاق بخفة :

— بس .. آدى الجمل وآدى الجمال ..

وتخرج سالم وضاق صدره .. انه لا يريد أن يناقش زواج أمه ، ولا أن يفكر فيه ، ولئن شاءت هي أن تتزوج أى رجل ، انه لن يحدثها فى هذا الأمر . ولكنه على أية حال لن يقول لزوج الأم يا عم . هلالى هذا كان صديقا لأبيه ، وكان أبوه يأخذه ويسهر مع هلالى فى نوبة خفارته يشربان الشاى ويتحدثان عما يلقيان . ولطالما سمع منهما بشغف وهو طفل الى حكايات عن رجال الليل وعن عفاريت من الجن والانس . ولكن هذا الأمر كله ينبغى ألا يشغل أحدا الآن .. أمه نفسها لا تفكر فيه وهى منذ أيام تدعو نساء القرية ليشهدن الاجتماع الذى سيعقد فى دار الجمعية بعد ساعة .. وهو نفسه قد طاف بكثير من الرجال يدعوهم الى هذا الاجتماع .. والأستاذ ريان يجمع الطلبة .. اتنا فى يوم جمعة .. يوم اختاره عبد المقصود ليكون طلبة القرية الذين يدرسون فى عاصمة الاقليم موجودين فى القرية . وليكون الموظفون موجودين أيضا .. وان كان عبد العظيم لا يرحب بدعوة الموظفين لأنهم ليسوا كالفلاحين ، ولأنهم قد يحسبون حساب الفصل ، أو التشريد .. والرجال من أمثال اسماعيل حين يضغطون على الناس فهم يلجأون الى كل ما هو غير انسانى ، حتى الفصل وحرمان الصغار من لقمة العيش . ولكن سالم طاف بيوت جميع الموظفين . وطافت تفيدة بيوت طالبات . وبحيرى يرمح فى طرقات القرية يدعو الناس بصوت

مرتفع الى اجتماع اليوم في الساعة الثامنة صباحا .. انه يقلد
أصوات المذيعين الذين يسمعون في الترانزستور .. هنا القاهرة
.. في الساعة الثامنة تماما تنتقل الى اذاعة خارجية في دارالجمعية
التعاونية ومقر الاتحاد الاشتراكي .. هنا القاهرة .. بحيرى
لا يخط على دار أحد .. ولكنه يطلق صوته بالنداءات
ضحكا .. لاتسوا الساعة الثامنة .. وأطفال من القرية ينطلقون
في جماعات يغنون مصنفين (الساعة ثمانية في الجمعية) لم يطلب
أحد منهم هذا ، وما علمهم أحد هذا الايقاع .
كل القرية تحتشد لاجتماع الساعة الثامنة .

ولكن هلالى هنا مشغول بشيء آخر .. وهو مازال يلح على
الحلاق أن يهذب له شاربه من هذه الناحية .. ومن الناحية الأخرى
.. لا .. لا .. المقص جار على الشعر ، ساو اذن من جديد ..
ثم يرتفع صوته مخاطبا الشيخ طلبة حول الزواج !

يا هلالى أخرج من عند الحلاق وانظر في طرقات القرية ..
أولادك الصغار يارجل ينادون مع أطفال القرية : (الساعة ثمانية
في الجمعية !) ولكنك أنت ! .. أتم الثلاثة .. أى أمر هذا الذى
فيه تختلفون !؟



وفي الساعة الثامنة كانت دار الجمعية التعاونية تفيض
بالناس .. لم يتسع المكان للحاضرين .. جمعوا كل ما في القرية

من كراسى ودكك .. وامتلات الاماكن الخالية بين المقاعد بالواقفين
وامتلا الفضاء أمام الجمعية بالزحام .. والزغاريد ترتفع وأحد
الرجال يحاول أن يسكت النساء .

— بتزغردوا على ايه؟! يعنى خلاص؟ البلد نالت المنى؟!
ماكينات وآلات الجمعية ماهي مقفول عليها والحال واقف ..
ماحدش مستنفع بيها غير سى رزق! .. جاتكو الغم . بكره ييجى
لنا من مصر راجل تانى زى اسماعيل! والا اسماعيل نفسه ..
جاتكو الهم!

وخضت فى الزحام المتحفز النابض بالأمل الى أن وصلت الى
مائدة كبيرة فى وسط المكان جلس اليها عبد المقصود وعبدالعظيم
وريان وجميع أعضاء الجمعية التعاونية برئاسة رزق .

كان رزق هادئا .. استقبلنى بابتسامة عريضة ، وهو يتوسط
أعضاء المجلس .. وأقسم أن أجلس على المائدة مع أعضاء المجلس
ولكنى اعتذرت وأقسمت أن أقف وسط الزحام .. كنت أريد أن
أشعر اننى حقا أحد هؤلاء الناس الواقفين .. كفانى بعدا عنهم
طيلة هذه السنوات!

وحاولوا أن يتنحوا ليجدوا لى مكانا أستريح فيه على مقعد
وتنادوا ليحضروا لى كرسيا لكنى أقسمت على الجميع أن يتركونى
واقفا . فأنا هكذا بينهم سعيد! .. لماذا يجب أن أتميز .. لماذا
يشعرون حتى هم أنفسهم أنه من الواجب عليهم أن يميزونى

بمقعد؟! كل هذا الانفصال بين الرجل منا وأهله ؛ لمجرد أنه عاش في المدينة وأتيح له هناك ما لم يتح لهم؟!!

وشعرت وأنا أقف وسط الناس بانفعالات غريبة لم أعرفها من سنوات .. لكم هو مؤلم أن نكتشف فجأة أننا عشنا السنوات تتحدث عما لا نتقنه ؛ ونصوغ عواطفنا بالعقل والحكمة وبمنطق ما يجب أن يكون! لكم هو معذب أن نكتشف ان للناس رائحة غير التي تعودناها ، وان في أعماق الفلاح عالما بأسره من الرؤى والخوف والأمل لا يعرفه أحد حتى نحن الذين خرجنا من أرضهم لكيلا نعود اليها الا بعد الموت . وربما لم نعد حتى بعد الموت !

وشعرت بأن نظرات الذين وقفت في وسطهم تستلقى على خفية .. في شيء غامض من التساؤل ! لم تكن هي الكراهية ؛ ولكنه لم يكن الحب أيضا .. ولا الثقة ..

ما كان واحد يوجه مثل هذه النظرة المتسائلة المستخفية الى أخيه الفلاح .. ولكن لى أنا؟! لكم اقتنصت من نظرات لم أشهدها من قبل .. ما كنت أعرفها وأنا معهم منذ سنوات .. ولكن بعد طول هذا الانفصال أصبحت عندهم رجلا من المدينة ، مسؤولا الى حد ما عما تصنعه المدينة بالقرية .. لم تكن نظرات رافضة .. لا .. ولكنها أيضا لم تكن هذه النظرات التي تتلصق بالترحيب؛ وتعانق موداتك في حنان كنظرات الأبناء والاخوة والاعزاء الذين يلقونك بعد طول غيابك وتشعرك نظراتهم أنهم في حاجة الى

وجودك .. أهي اللحظات الحالكة التي عاشها رجال القرية في
سجن المدينة الكبيرة .. مدينتي القاهرة ، خلقت هذه الهوة
بيننا ؟ ..

حتى نظرات عبد العظيم كان يخالطها شيء غريب •
والوقت يمضى .. وأنا أشعر بطمأنينة أكثر وسط الزحام
وصوت رزق يرتفع موجهها الناس في أدب وألفة ومزاح أن
يتنحوا بعيدا عن الجدران لكيلا يخفوا ما عليها من صور وشعارات
والمقتطفات من كلمات الميثاق والرئيس ..

وقام هو بنفسه ينحى الناس .. ماكل هذا ؟ وعندما وصل
الى همس بكلمات فهمت منها أنه عرف لقائى بأخيه فرحات وأنه
قد استمع الى نصيح فرحات ! وعاد يلح على أن أجلس .. واذ
كررت اعتذارى ذهب الى مكانه يعلن افتتاح الجلسة ؛ وتركنى
محاطا بنظرات فيها الشك هذه المرة ! .. لماذا يا أخى جئت
تهمس لى !؟

وارتفع صوته ثقيلًا :

— يا توفيق ما ترقش حد .. الناس من نفسها فاهمة انها
مايصحش تخبى الحاجات المتعلقة على الحيطان .. عامل الناس
بأدب يا توفيق يا أبو حسنين أحسن أقطع جدرك من البلد ..
خليك اشتراكى • الملتصقات دى تخص أهل البلد .. تخص الشعب
وهو حريص على اظهارها •

وساد صمت ووجم توفيق حسنين الذى كان يدفع الناس
بعيدا عن الجدران لتظهر الشعارات والمقتطفات •
وانطلق صوت رجل من بعيد فى نبرة متحدية •• كان هو
ريان يقول :

— المهم ان الكلام ده نستوعبه بقلوبنا ونعمل به • مش المهم
يعنى وضعه على الجدران ••
وتحفظ ريان بعد كلمته للدخول فى مناقشة •• ونظراته
تستنجد بعبد المقصود وعبد العظيم •
وعلق رزق مبتسما :

— طبعا •• طبعا •• يا أستاذ ريان •• أنا والله دايمًا معجب
بحكمتك وعمق تفكيرك •• وداوقت يا اخوان بصفتى رئيس
الجمعية وأمين لجنة الاتحاد الاشتراكي •• وبصفتى واحد منكم
لى كلمة مهمة جدا •• احنا طول عمرنا أهل •• وطول عمرنا يد
واحدة من أيام المرحوم البيه الكبير ماكان واقف ضد الأمير ••
ويوم مامات كانت البلد كلها بتبكي عليه بدل الدموع دم ••
الفاتحة له ••

وسرت هممة بقراءة الفاتحة •• تقطعها أصوات خافتة :
« الله يرحمه •• لكن النار بتخلف رماد •• الله يرحمه ويحسن اليه
أبوك كان حاجة وانت حاجة •• أبوك ؟ انت فين وأبوك فين ؟
ايش جاب لجاب » •

كان رجلا طيبا أبوك هذا الذي تستنجد بذكره يارزق ..
وكان ينتمى الى حزب يصارع الأمراء . وكان الحلاق اذ ذلك يقول
حين تتخرج الأمور - كما يقول الآن - انه مع الشعب والأمرا
والوفد والوزرا .. نعم مامن أحد ينسى أباك .. كان الأمير دائما
حاتقا عليه وكان هو عضو الشيوخ عن الدائرة ، وكان عندما
يستخدم الأمير رجال السلطة للعسف بأحد ، يذهب أبوك هو نفسه
الى عاصمة الاقليم والى القاهرة ويقيم الدنيا على بطش الأمير
فتكتب الصحف مقالاتها عن الحرية والحق ، ولا يعود أبوك الا اذا
رد الى المظلوم حقه .. ولكن الفلاحين فى أرض أيبك .. كيف
كانوا يعيشون ؟ أما كان هو أيضا يسلبهم ثمرات العرق ؟ !! انه لم
يجلد أحدا كما جلدت أنت سالم .. حتى عندما كانت حكومة
حزبه فى السلطة ، ما كان يجرؤ على هذا لأن صحف المعارضة كانت
حرية بأن تمزقه ! والفلاحون يملكون الآن .. هؤلاء الذين كانوا
معدمين فى أرض أيبك أصبحوا اليوم ملاكا .. ولكنك تسجنهم
لأنهم يتمسكون بحقوقهم فى العدل يارزق ! .. لماذا هذا الخيار
اللعين بين الحرية والعدل ! ولكن العدل هو حرية الانسان فى
الحصول على كل حقوقه لو علمت يارزق .. فلا عدل بلا حرية !
ولكنك لا تفهم هذا . كان الناس يحبون أباك هذا حق ، لأنه لم يكن
أمامهم خيار .. اما الاقطاعى الكبير واما هذا المالك المتوسط !
وأمام طغيان الأمير ، فان الاستغلال يهون .. وليس من يسلب
الناس جزءا من الرزق كمن يسلبهم كل شىء .

كان الفلاح أيامها في المأزق : اما العدل واما الحرية ! خيار
مأسوى هو القهر بعينه ! .. ولكن الفلاح كان دائما يختار
الحرية ! .. أتدرك أنت يارزق أية بلوى تنزلها بالناس أنت ومن
يحمونك؟! .. انه لبلاء عظيم !

فالذي كان أجيرا مستغلا أيام أبيك أصبح الآن يترحم على
تلك الأيام على الرغم من أنه يملك الآن أرضا ، ولا أحد يستغله
فيها بعد ! انه يملك قوام الحرية : الا نعتاق من ضغط الحاجة ؛
ومع ذلك فرجال مثلك يسلبونه الثقة والأمن والانطلاق ! .. انك
باسم الاشتراكية تسحق كل ماهو رائع ونبيل في الاشتراكية:حلم
الانسان بالحرية أمام الحاجة ، وبالانتصار على الخوف والقوة
أمام المصير • شعور الانسان بأنه سيد الكائنات وسلطان الأرض •
واحساسه بقداسة كيانه وروحه ! .. وبأن له الحق في أن يحترم !

كل هذا أهدرته أنت واسماعيل تحت راية الاشتراكية يارزق
.. وانت مع ذلك فلاح تملك سبعة عشر فدانا .. وترأس لجنة
الاتحاد الاشتراكي والجمعية التعاونية ! • واسماعيل قريبك الذي
يستعمل سلطان الدولة ليسحق كبرياء الرجال وليمتهن شرف الوطن
ويثير الخوف في القلوب • من أى أغوار العصور الهمجية شكل
لنفسه وجدانا وأعصابا ووضع في صدره قلبا ؟ ..

وأى جزاء يمكن أن يكون قصاصا عادلا من هذا الذي
يسحق بالقمع كل ماهو متفتح في هذا الوطن ؟

أمثالك انت واسماعيل قد سلطتهم قوى شريرة غاشمة من خارج التاريخ على عصرنا هذا الوضىء الذى يريد فيه الانسان أن يكون أخا للانسان ، أتمم؟! انكم لعارنا ووصمتنا .. يا من تحولون الحياة الى غابة ضارية تحكمها الافعى والوحش والخديعة .. ويتهراً فيها تحت الاظلاف نخاع الانسان !

وأخذت أتأمل وجوه الرجال الاربعة الذين كانوا قد خرجوا من السجن مثقلين بأهوال العذاب .. هذه الابدان الشريفة الرائعة احتملت كل هذا الهول ، والجلاد بينهم يتسم وفي أغواره رضى عظيم على نفسه !

وثبتت عيناي على هلالى هذا الرجل الذى صارع الذئب نفسه .. أى فخر ملأه ذات يوم وهو يقا تل الذئب وأى خوف واشمئزاز من الحياة استبد به وهو فى السجن يتلقى العذاب من رجال يمشون على قدمين ويتكلمون . وهم بلا أنياب ولا أظفار! ورأتنى انصاف أنظر الى عبد العظيم فى اشفاق كبير يخالطه الاجلال . مع ذلك فهاهو ذا هنا يرفع الرأس مازال .. وما زال يملك الثقة فى الحق . . وما زال قادرا على أن يتحدث عن المستقبل وان يصنع المصير !

وعدت أدير النظر الى عبد المقصود وسالم . وثبتت نظراتى مفعمة بالدمع على هلالى .. ياهلالى .. أى الذئب أكثر شراسة: الذى صرعه فى الحقل أم الذين عذبوك فى القاهرة؟! وملأت عيني

الدموع فلم أعد أرى شيئاً من كل ما حولي .. فنحن مع ذلك نعيش ونستمتع بجمال الشمس والأزهار وعطر الليالى ونطلق الضحكات ونعشق النساء ونعاقب الأبناء ونفكر فى الأدب والفن ونقرأ شكسبير ونخفق لبيتهوفن ونحلم بالأيام السعيدة القادمة ونشعر بلذة انفاق المال الذى نكسبه ومن حولنا خلف الأسوار رجال من أعز الناس علينا يلقون مثل الذى لقيه عبد المقصود وعبد العظيم وسالم وهلالى ! .. لكم هو زرى" هذا كله !

لو علمت يا هلالى؟! .. هلالى .. ماذا عسى أن يقول عنا الأبناء عندما ينكشف كل شىء ذات يوم؟! معذرة يا هلالى ! ولكنك صرعت الذئب .. يا هلالى ..

وضج فى أذنى فجأة اسم هلالى .. كانت أنصاف تهز كتنفى .. وتنبهت .. انها تحاول منذ حين أن تنتزعنى من شرودى الباكى وأن تضحكنى :

— شايف هلالى؟! هلالى اللى جاب الديو من ديله .. هلالى اللى واللى .. مش تقول له يروح يغسل وشه ؟ بقى هلالى ييجى الاجتماع برضه ملغمط وشه زى حريم مصر ..! ما يحط أبيض وأحمر وزواق بقى؟!!

وراعنى أن وجه هلالى ملئ (بالبودرة) ثم رأيتة يحشر نفسه فى الزخام وهو يلعن الحلاق وطول لسان الست أم سالم وينصرف الى الخارج .

وقرع رزق المائدة بيده ليست الضجة التي أحدثها خروج
هلالى • وحاول أن يتكلم •• وارتفع صوته فوق الضجيج :

— ودلوقتى عاوزين نقرأ الفاتحة للنبي عليه الصلاة والسلام
اتنا ننسى كل اللي فات ونبتدى صفحة جديدة وأنا رأيى اتنا نعلن
الثقة فى مجلس الادارة الموجود ونخلص ويا دار مادخلك شر ••
وفى الحالة دى كل آلات الجمعية ترجع تشتغل للبلد كلها •

واتنفض الأستاذ عبد المقصود يقاطعه ؛ وارتفع صوته غريبا
كأنه ينبع من حيث ينتفض الذعر :

— اسمعوا يا أهل البلد ! احذروا من النفاق والخداع •
احنا شفنا أشياء يشيب لهولها الولدان وحتى الأجنة فى بطون
الأمهات •• والمستول عن هذا هو عدم وعى الفلاح ••
الذين عذبونا فى السجن هم من الفلاحين •• لو كان عندهم
وعى سياسى حقيقى كانوا رفضوا الأوامر • واذا أعداءنا فشلوا فى
تسليطنا على أنفسنا ولم يجدوا من يسمع أوامرهم الظالمة فان
العدل هو الذى سيسود •• اسمعوا يا أهل البلد • اسألوا اللى
كانوا معايه ، اللى عذبونا وظلمونا لا هم تتار ولا هم همج •• دول
زينا أولاد شعبنا •• ينفذوا فينا أوامر أعداءنا ليه ؟ •• لأنهم
ناقصين وعى • انه لا طاعة فى معصية •• ولو كل واحد رفض تنفيذ
الأمر بظلم غيره ؛ العدالة حاتسود •• و ••

وفقد رزق كل ما كان يصطنعه من هدوء فوق يزق :

— انت بتلخبط بتقول ايه يا أخى •• انت عاوز تفرق البلد
•• علشان ما خدت لك كام يوم فى السجن • افرض حتى انك
اتظلمت تقوم تيجى تفسد البلد كلها؟! وكلامك ده فى منتهى
الخطورة عليك وعلى اللى ييسمه ويسكت •

وارتفع صوت عبد المقصود فوق صوته :

— أنا باحذركم يا أهل البلد من النفاق والخديعة •• ده اللى
أفسدنا وأخرنا •• لا بد من محاسبة الظالم وعزل الفاسد وعمل
انتخابات لاختيار العناصر الصالحة •• لازم كل واحد يفهم كويس
ايه اللى بيجرى •• احنا اتاخذنا علشان نبقى عبره لكم • اتعذبنا
علشان يخوفوكم وعلشان نسكت على الظلم اللى حاق بنا •

ووقف الشيخ طلبة مغضبا :

— يا أهل البلد •• الفاتحة على الظالم • لكن ده كله من
النجس اسماعيل والله العظيم • رزق بيه مالوش دعوة! واجب
برضه نكرم رزق حتى كرامة للمرحوم والده البيه الكبير الخير
الصالح اللى ما كانش ينام لو الأمير حبس أصغر واحد فى البلد!
وتداخلت الأصوات •• ولم يعد من الممكن أن يسمع أحد
ما يقوله الذين وقفوا يتناوبون الكلام •

وصاح ريان :

— شايف يا سى رزق انت اللى بتفرق البلد ازاي ••

ورزق يحاول أن يستعيد هدوءه .. وأخيرا نجح في أن يسترد
الابتسامة الى وجهه ؛ وأحد الموظفين يقول متهدجا :

— ما تدخلوناش في مشاكل معاكم .. احنا موظفين وورانا
عيال عاوزين نربيهم ! .. الله بلاش توريط .. اتم داعيينا علشان
تتفرج على الخناق •

وقال رزق بهدوء :

— العبارة كلها بسيطة .. أنا باقول الانتخابات دي بتفرق
الناس وتغير القلوب .. الفاتحة للنبي •

وهب عبد العظيم يلوح بيديه في الفضاء كأنه يضرب عدوا
مجهولا .. لم يترك رزق يكمل وما كان أحد يستطيع منع
عبد العظيم :

— اللي زيك ده فاكر الفلاح منا ايه يعني ؟ بهيمة مطرح
ما تسحبها تمشى ؟ دا احنا أصحاب البلد والاشترافية دي بتاعتنا •

وقال رزق بهدوء :

— أقعد يا عبد العظيم ما تبقاش داعية خلاف .. هدى
نفسك كده واستهدا بالله .. أستغفر الله العظيم يارب • انسى
مرارة الأيام اللي فاتت وفكر كويس في أن الانتخابات دي بتفرق
الناس وتزعلها من بعض ..

وقال أحد الموظفين :

— أمال يا سيد رزق يعنى لما الانتخابات بتشير الفرقة والفتنة
ايه بقى فايده الديمقراطية؟ ما بلاش بقى .. والأمر يبقى شورى
بينكم ازاي؟!

وأجاب رزق :

— طب بس نقرأ الفاتحة للنبي اتنا نصفى لبعض وتنسى اللي
فات ..

ولم يستجب أحد .. وتسمرت النظرات على وجه رزق

واحتد توفيق أبو حسنين :

— يا ناس .. رزق بيه يقول لكم اقرأوا الفاتحة للنبي ..
هو اتم ايه؟ كفرة؟ مالكم قلبكم اسود كده؟ اخص على كده

وهاج بحيرى ..

— انت اللي قلبك اسود انت ورزق بيه بتاعك .. واللى

نخلفوك كمان

وجرى بحيرى الى توفيق فأمسك بخناقه ولكن الموجودين
فرقوا بينهما؛ وانقض سالم يناصر بحيرى فضرب توفيق بقبضة
يده على رأسه .. وأبعده الناس .

وتداخلت الأصوات .. ورزق هادىء لايقول شيئاً ..
وارتفعت أصوات الطلبة والطالبات تنادى بأن الغاء الانتخابات
خديعة .

ووقف عبد المقصود واتخذ هيئة خطيب ليقول انهم انما

اجتمعوا لاجراء محدد ولا بد من المضى فيه .. لا بد من انتخاب
لمجلس ادارة جديد للجمعية ولجنة قيادية جديدة للاتحاد الاشتراكي
.. وعاد رزق يدعو الى الوثام والى نسيان ما مضى ، وتصفية
القلوب الطيبة مما فيها .

وأخيرا وقف عبد العظيم :

– احنا قلوبنا بيضا .. أنا سامحت توفيق أبو حسنين على
عملته .. الرجال مالهاش حمل .. واحنا مستعدين كلنا تقراً
الفاتحة للنبي ان قلوبنا تصفى ولو انى مش حانسى أبدا اللى
حصل لنا فى السجن من تحت راسك .. لا انا حانسى ولا البلد
حانسى

وهب الشيخ طلبة :

– الفاتحة ان ربنا ينتقم من اللى ظلموكم ..
وارتفعت الأصوات بالفاتحة ..

ثم استمر عبد العظيم :

– لكن لا بد عن الانتخابات .. هه ..

وزعق سالم :

– نصفى لبعض ازاي ؟ دا كلام ؟ .. بعد اللى جرى دا كله
.. وحتى ان صفيانا احنا السيد رزق حايفنى لنا !

وقال رزق فى هدوء وضح فيه أنه يضبط نفسه بجهد :

– وأنا أول واحد أقرأ الفاتحة . وأنا قلبى صافى يا لبن

فردت أنصاف :

– وهو الديب عمره يصفى للغنم ..

واعترض بحيرى :

– بقى احنا غنم يا خاله أم سالم ؟ احنا غنم يا خاله أنصاف؟!

الله يسامحك ..

ولوح توفيق حسنين بيده :

-- يعنى البيه رزق هو اللى ديب ! بقى رزق بيه ديب ؟

ياك تنديب يا بحيرى ..

وصاح أحد الطلبة :

– يا جماعة دا صراع طبقى .. لا يمكن تصفيته بقراءة

الناقحة أبدا ولا حتى بقراءة القرآن كله .. صراع شاق ومرير

وأعداؤنا بيستعملوا فيه كل الوسائل حتى الهمجى منها ..

وتساءل بعض الناس عما يعنيه ابن عبد الواحد ولكن هلالى

كان قد عاد بعد أن غسل وجهه وأزال اثار (البودرة) ليعلن

بخطورة :

– أنا اديت اشارة بالتليفون ان البلد فيها انتخابات • اشارة

لمدير الامن علشان ما حدش يرجع يقول لنا عملتم انتخابات

واجتماعات من غير اذن ليه ؟ أعمل ايه ؟ اذا كان العمدة سايب

البلد وقاعد فى مصر • سايبها كده بلد من غير عمدة •

وقالت أنصاف ضاحكة :

— ما انت أهه قمت مقام العمدة وأكثر .. هو فيه حد غيرك
في البلد قدر يجيب الديب من ديله
وصاح الشيخ طلبه غاضبا :
— الله الله يا ست أم سالم ! ايه لزوم الكلام ده ؟ لزومه ايه
يعنى الكلام الفاضى ده ؟ دهده .. دهده يا بت يا أنصاف !
وقفز عبد العظيم فوق المائدة بغتة نافذ الصبر ووقف فارعا
مهيبا يصيح :

— اسمعوا بقى بلا كتر كلام احنا فاض بنا خلاص . ولا عاد
فيه حاجة تهمنا . يعنى حانشوف ألعن من اللى شفناه ؟ أعداءنا
حايعملوا فينا ايه أكثر من اللى عملوه ؟ يا البلد تكون بلد
بصحيح عارفة حقوقها وتعرف تدافع عنها يا نروح نتردم كلنا
ونخلص .. آه نروح ندفن نفسنا بالحياة .. ما فيش تهاون مع
العدو .. ما فيش رجوع .. الاشتراكية بتاعتتنا واحنا اللى
حانعملها .. اسمعوا يا أهل البلد .. اللى موافق على ان رزق
يقعد رئيس جمعية وأمين لجنة يرفع صباعه

وساد صمت غريب .. لم يرتفع اصبع واحد ، الا ذراع
توفيق أبو حسنين ! وكان الشيخ طلبه قد رفع اصبعه ... ولكنه
عاد فهز رأسه بأسى وأنزل اصبعه ... وكذلك صنع أحد الموظفين
.. رفع اصبعه وهو يرى رزق ينظر اليه ثم هبطت ذراعه دفعة
واحدة

وهب رزق يصرخ وقد احمر وجهه وأصبح بلون الدم :

— دى فوضى .. دى مش طريقة انتخابات .. انتم فاكرين
اننى محتاج للمجلس والا للجنة .. الجمعية واللجنة والبلد كلها
فى جزمى .. أنا برضه رزق بيه ابن عطا الله بيه .. أنا حاعرف
ازاى أربيكم ! .. انتم ضد الثورة .. ضد الاشتراكية ده ارهاب
وساد وجوم مفاجيء . واقتحم هو الزحام ينحى الناس عنه
بغضب .. وتدافع الناس الى الجدران حتى سقط بعض ما علق
عليها ودهس رزق عليها بحذائه فى غيظ .

وقبل أن يخرج قال عبد المقصود بهدوء :

— أوعوا حد يقرب له . الكلام ده لن يمر من غير حساب ..
أوعوا حد يغلط ويرد عليه .. فيه أسلوب تانى للرد .. أولا يجب
اسقاطه وعزله عن كل عمل سياسى أو جماعى
ولكن رجلا زعق :

— البلد كلها فى جزمته ازاى؟! وايه يعنى بقى اللي قولة
انه حايربينا؟ طب ما احنا تقدر نشتمه ونضربه كمان ونربيه قليل
الرباية ده؟ ده ايه الافترا ده .. وواحد يهين بلد كلها كدهه
ونسبيه؟!

وكان رزق قد خرج ووراءه توفيق حسنين . وتمسح به
توفيق قائلا :

— يا سعادة البيه .. انت برضه سيد الناس .. ارجع بس .
خللينا تفاهم .

فهوى رزق بكل غيظه على وجه توفيق •
 - امشى يا ولد •• ارجع يا كلب •• هو اتتو ناس !
 ورننت الصفعة وسط الصمت الواجم ••
 ولكن سالم زعق ، ورزق يمضى :
 - بكره يا رزق نشوف مين فى جزمة مين؟! آه •• يا رزق
 حاف مافيش سى ولا حاجة
 وضحك بعض الطلبة •• وقال ابن عبد الواحد :
 - ده اللى كان عايز يصفى الخلافات؟! كله علشان يهرب
 من الانتخابات •• الصراع شاق ومرير وطويل ووسائله غريبة !
 وقاطعه عبد المقصود :
 - يا أهل البلد •• دلوقت علشان كل شىء يبقى قانونى
 وسليم •• لازم نعمل الانتخابات •• أولا •• تقترح على الثقة
 فى المجلس واللجنة •• اللى عاوز يغير مجلس ادارة الجمعية
 التعاونية ولجنة الاتحاد الاشتراكى يرفع صباغه •
 وارتفعت الأذرع وتشابكت وانطلقت الزغاريد وتعالى من
 ناحية تجمع الطلبة هتافات منغمة راقصة : (شيلوا المجلس •••
 شيلوا المجلس)
 ثم وقف عبد العظيم يطالب من يريد ترشيح نفسه بأن يقدم
 اسمه الى الاستاذ عبد المقصود •
 وجرى الانتخابات فى سرعة •• كان الرجل أو المرأة يقترح

اسما ما ، فلا ينتخب الا بالاجماع .. وهكذا سقط توفيق
أبو حسنين والحلاق ... ونجحت أنصاف .. ونجح سالم .
لكن عبد المقصود قال ان سالم دون السن الواجب
واتتخب عبد المقصود رئيسا للجمعية التعاونية وعبد العظيم
أميناً للجنة الاتحاد الاشتراكي وأنصاف أمينة للصندوق في الجمعية
يساعدها ريان ..

وارتفع صوت يغمر الزغاريد :
— دلوقت عاوزين ناخذ آلات الجمعية .. الواحد قلبه
انقطع من العزق .. عاوزين المكن الللى بيحرت .. عاوزين نشغل
بالمكن .. مش عاوزين نرجع لورا تانى
وزاحمه صوت آخر :

— ووابور ضم الغلة ؟ كل المكن لازم ناخده .
وقالت امرأة :

— وحياة النبى لنزف المكن زى العرسان ..
واندفعت الجموع الى حيث كان رزق قد أغلق على آلات
الجمعية فلا يخرجها الا لتخدم أرضه .
وأخرجوا الآلات .. وساقوها أمامهم وهم حولها يرقصون
فى زفة كزفة عرس لم تشاهدها قرىتى طول العمر .. الأولاد
يتواثبون والبنات والنساء يزغردن ويرقصن والرجال يتعانقون
ويلعبون العصا كل عدة خطوات ... وكأن قرىتى لم تبك من
قبل أبدا

قال بحيرى :

— يا ريتنا جينا الطبل الكبير

وصاح هلالى ضاحكا :

— أنا اللى حاجيه ان شاء الله يا جدع

ثم التفت الى أنصاف ضاحكا :

— البودرة وغسلناها ... والانتخابات ونجحنا فيها ورزق

وسقطناه .. ناقص ايه بقى؟! ناقص ايه بقى يعنى على الطبل

الكبير!؟

تعالت الضحكات، وأنصاف تضربه بيدها فى صدره، وتدارى

فمها المبتسم بأطراف أناملها ، وعيناها تلتمعان .. وقد غمرت

وجهها راحة مشعة ..

واتجهت الى الطريق الزراعى وأنا أفكر فى كل ما حدث

وأقسم أن أعود الى القرية فأعيش فيها عدة أيام من كل شهر ..

وعندما أعلنتهم اننى مسافر من ساعتى أقسموا ان يودعونى على

الطريق الزراعى والا ينصرفوا حتى تأتى العربة الكبيرة التى

ستحملنى الى القاهرة

وانتظرنا العربة على مقربة من بيت رزق ... وعبد المقصود

وعبد العظيم وريان وأنصاف والشيخ طلبة يبعدون الناس عنه

ومن بعيد ثار غبار كثيف من وراء منعرج الطريق .. حسبها

الناس عربة الركاب القادمة من القاهرة .. حسنا سأخذها الى

عاصمة الاقليم . ومن هناك أسافر ؛ بدلا من الانتظار الطويل

للعربة القادمة من الاتجاه الآخر .. ولكنها كانت عربة سوداء
فاخرة جدا حديثة الطراز .. وتوقفت أمام القرية .. وصمت
الناس وهم يرون رجلا بالغ الاناقة ينزل من العربة يصاحبه رجل
آخر أشد أناقة .

وخيم على الجو ذهول رهيب ..
كان هو اسماعيل وصاحب له !

وتقدم اسماعيل في هدوء الى الواقفين .. ونظر الى
عبد المقصود ثم عبد العظيم وأخذ يفتش عن سالم وهلالى .. وقال
بهدوء غريب :

— اتو طلعتوا ازاي !

وترددت أصوات شاحبة :

— انت اللى طلعت ازاي ... جت لنا تانى ازاي ؟!

ونحى اسماعيل الناس عن طريقه فى ازدراء وأنفة ! ودخل

الى بيت رزق !

ولم ترتفع كلمة من كل الواقفين فى وجوم .. ولاحت على
الوجوه دهشة يخالجهما الخوف .. كيف عاد؟! ولم عاد ؟

وأخذ الشيخ طلبة يحتضن ابنته ويخفيها وسط الزحام ..
ويده على رأسها لتحنيه فلا يبين لها وجه ! وهو يقول :

— يا بركة يس !

ولكن سيارة مقبلة من عاصمة الاقليم أطلقت من بوقها
أصواتا متتالية .. ليست هذه هى أمارات سيارات الركاب ..

وأخيرا ظهرت السيارة من المنحنى .. كانت سيارة مدير الأمن
خلفها سيارة أخرى مليئة بالجنود .
وهبط من سيارته مسرعا والجنود وراءه من سيارتهم ..
وقال بخفة :

— واقفين كده ليه؟! الانتخابات تمت على خير؟

وقال عيد العظيم :

— كله تم بخير ..

— الحمد لله

وقال الشيخ طلبة :

— بس اسماعيل بيه رجع .. مع انى قارى عليه عديّة يس فى

السلطان الحنفى .. يابركة يس !

ورددت القرية فى رهبة :

— رجع .. يارب لطفك ..

وضحك مدير الأمن .. قائلا :

— وانتم مالكم وماله؟ كل واحد يرجع لشغله .. واطمنوا

.. روحوا شغلكم ولا يهتمكم واتكلوا على الله .. وسيبوني

لشغلى .. أنا اطلعت على كل حاجة وراجع مكتبى على طول ..

أى حاجة تحصل اتصلوا بى .. ولو باشارة تليفونية .

وحاولت أن أفهم شيئا من الفرماوى .. ولكنه سلم على بخفة

وثقة ونصحنى أن أسافر .. وأن يهتم كل بشغله .. وأمر أحد

جنوده أن يستوقف العربة الكبيرة الداخبة الى القاهرة .. هكذا

أنت يافرماوى لك دائما نفس الثقة بالنصر .

وعندما جاءت العربية قال لى :

– مش قلت لك الظلم مالوش رجلين • لكن •• لسه المعركة
كبيرة •• أنا راجع مديرية الأمن فورا •
وصعدت الى العربية •• وقد بدأت الأصوات ترتفع من زحام
أهل القرية وأنا أسلم عليهم :

– أوعى تنسانا وانت فى مصر •• شق علينا • خللى مصر
تحوش عنا اسماعيل •• خليه يكتبوا عنه فى الجرائد • خللى
جرايد مصر تقف معنا وتحكى على اللى حصل لنا •
وهمس لى الفرماوى :

– رجالة بلدكم دول يتاقلوا بالذهب •• بكرة تبان حقائق
كثيرة •• أنا داخل فى معركة جامدة قوى مع اسماعيل ده •• ادعى
لى •• لكن النصر لنا ان شاء الله •

آه يافرماوى •• انه حقا لصراع طويل ، وشاق ورهيب !
وانطلقت بى العربية الكبيرة فى الطريق الزراعى الى القاهرة ••
والقلب يجيش ا

هذا كله وانسام الريح الدافئة تهب على حقول القمح ،
والأعواد اللينة تتدافع أمام النسومات وتتموج كأنها شعر امرأة
شقراء فاتنة •• حقا •• فالأعواد قد اصفرت الآن وأصبحت
ذهبيات السنابل •• ولكن •• لماذا كأنها شعر امرأة شقراء !؟
كانت الحقول تنتظر سواعد الرجال ••

لقد نضج القمح الجديد !

تمت

مطبعة الاستقلال الكويتي
١٧٤٨



Bibliotheca Alexandrina



0355571

الشمس ٤٥ قرشا